رحلة إلى الدار الآخرة
للشيخ محمود المصري - أبو عمار
ج 2

الموت والسكرات

• الموت فى اللغة والاصطلاح •

الحياة والموت متناقضان تناقض النور والظلام والبرودة والحرارة، ولذا فإن معاجم اللغة العربية تُعرف كل واحد منهما بأنه نقيض الآخر، ففى تعريف الحياة تقول: «الحياة نقيض الموت، والحى من كل شىء: نقيض الموت، والجمع أحياء»(١)، وفى تعريف الموت تقول: «الموت والَموتَان ضد الحياة»(٢)، وأصل الموت فى لغة العرب: السكون، وكل ما سكن فقد مات(٣)، فتراهم يقولون: «ماتت النار موتا: إذا برد رمادها، فلم يبق من الجمر شىء، ومات الحر والبرد إذا باخ، وماتت الريح: ركدت وسكتت، وماتت الخمر: سكن غليانها، والموت مالا روح فيه»(٤).

وإذا كان السكون أصل الموت فى لغتنا، فإن الحركة أصل الحياة، ففى لسان العرب: «الحى كل متكلم ناطق، والحى من النبات ما كان طريا يهتز»(٥)، والحياة الإنسانية تتحقق بنفخ الروح فى جسد الجنين فى رحم أمهُ، والموت «انقطاع تعلق الروح بالبدن، ومفارقته وحيلولة بينهما، وتبدل حال، وانتقال من دار إلى دار»(٦)(٧).

❊ ❊ ❊

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

(١) لسان العرب، لابن منظور: (١/ ٧٧٤).
(٢) لسان العرب: (٣/ ٥٤٧).
(٣) لسان العرب: (٣/ ٥٤٧).
(٤) لسان العرب: (٣/ ٥٤٧)
(٥) لسان العرب: (١/ ٧٧٣).
(٦) التذكرة للقرطبى: (ص: ٤).
(٧) القيامة الصغرى/ د. عمر سليمان الأشقر (ص: ١٤).

www.ibtesama.com

• لا تغفلوا عن الحقيقة الكبرى •

* الموت حتم لازم، لا تمنع منه حصانة القلاع ولا يحول دونه الحجاب ولا تردُّه الأبواب قال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ (النساء:٧٨).

وقال تعالى: ﴿قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (آل عمران:١٦٨).

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الجمعة:٨).

وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (آل عمران:١٨٥).

إنه لا بد من استقرار هذه الحقيقة فى النفس: حقيقة أن الحياة فى هذه الأرض موقوتة، محدودة بأجَل؛ ثم تأتى نهايتها حتمًا.. يموت الصالحون ويموت الطالحون. يموت المجاهدون ويموت القاعدون. يموت المستعلون بالعقيدة ويموت المستذلون للعبيد.. يموت الشجعان الذين يأبون الضيم، ويموت الجبناء الحريصون على الحياة بأى ثمن.. يموت ذوو الاهتمامات الكبيرة والأهداف العالية، ويموت التافهون الذين يعيشون فقط للمتاع الرخيص.

الكل يموت.. «كل نفس ذائقة الموت».. كل نفس تذوق هذه الجرعة، وتفارق هذه الحياة.. لا فارق بين نفس ونفس فى تذوق هذه الجرعة من هذه الكأس الدائرة على الجميع. إنما الفارق فى شىء آخر. الفارق فى قيمة أخرى. الفارق فى المصير الأخير:

﴿وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾.

هذه هى القيمة التى يكون فيها الافتراق. وهذا هو المصير الذى يفترق فيه فلان عن فلان، القيمة الباقية التى تستحق السعى والكد. والمصير المخوف الذى يستحق أن يُحسب له ألف حساب:

«فمن زُحزح عن النار وأُدخل الجنة فقد فاز»..

www.ibtesama.com

ولفظ «زُحزح» بذاته يصور معناه بجرسه، ويرسم هيئته، ويلقى مثله! وكأنما للنار جاذبية تشد إليها من يقترب منها، ويدخل فى مجالها! فهو فى حاجة إلى من يزحزحه قليلاً قليلاً ليُخلصه من جاذبيتها المنهومة! فمن أمكن أن يزحزح عن مجالها، ويُستنقذ من جاذبيتها، ويدخل الجنة.. فقد فاز..

صورة قوية. بل مشهد حى. فيه حركة وشد وجذب! وهو كذلك فى حقيقته وفى طبيعته. فللنار جاذبية! أليست للمعصية جاذبية؟ أليست النفس فى حاجة إلى من يزحزحها زحزحة عن جاذبية المعصية؟ بلى! وهذه هى زحزحتها عن النار! أليس الإنسان ـ حتى مع المحاولة واليقظة الدائمة ـ يظل أبدًا مقصرًا فى العمل.. إلا أن يدركه فضل الله؟ بلى! وهذه هى الزحزحة عن النار؛ حين يدرك الإنسان فضل الله، فيزحزحه عن النار!

«وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور».

إنها متاع. ولكنه ليس متاع الحقيقة، ولا متاع الصحو واليقظة.. إنها متاع الغرور. المتاع الذى يخدع الإنسان فيحسبه متاعًا. أو المتاع الذى ينشىء الغرور والخداع! فأما المتاع الحق. المتاع الذى يستحق الجهد فى تحصيله.. فهو ذاك.. هو الفوز بالجنة بعد الزحزحة عن النار[١].

* قيل لبعض الزهاد: ما أبلغ العظات؟ قال: النظر إلى الأموات[٢].

وقد أحسن القرطبى فى وصف الموت حيث يقول: «إعلم أن الموت هو الخَطب الأفظع، والأمر الأشنع، والكأس الذى طعمها أكره وأبشع، وأنه الأهذم للذات. والأفظع للراحات، والأجلب للكريهات، فإن أمرًا يقطع أوصالك، ويفرق أعضاءك، ويهدم أركانك، لهو الأمر الفظيع، والخطب الجسيم، وإن يومه لهو اليوم العظيم»[٣].

* يُروى أن أعرابيًا كان يسير على جمل له، فخر ميتًا فنزل الأعرابى عنه، وجعل يطوف به، ويتفكر فيه، ويقول: مالك لا تقوم؟ مالك لا تنبعث؟

هذه أعضاؤك كاملة، وجوارحك سالمة، ما شأنك؟ ما الذى كان يحملك؟ ما الذى كان يبعثك؟ ما الذى صرعك؟ ما الذى عن الحركة منعك؟

---

(١) فى ظلال القرآن (١/ ٥٣٨ ـ ٥٣٩).

(٢) التذكرة للقرطبى (ص: ٩٩).

(٣) التذكرة للقرطبى (ص: ٢٤).

www.ibtesama.com

ثم انصرف متفكرًا فى شأنه، متعجبا من أمره[١].

وأنشدَ فى بعض الشجعان مات حتف أنفه[٢]:

جاءَته من قبل المنون إشارة ... فهوى صريعًا لليدين وللفمِ

ورمى بمحكم درعه وبرمحه ... وامتد ملقى كالفتيق الأعظمِ

لا يستجيب لصارخ إن يدعه ... أبدًا ولا يرجى لخطب معظمِ

ذهبت بسالته ومرَّ صواره ... لما رأى حبل المنية يرتمى

ياويحه من فارس ما باله ... ذهبت مرارته ولما يُكْلَمِ

هذى يداه وهذه أعضاؤه ... ما منه عضو غدا بمثلمِ

هيهات ما حبل الردى محتاجه ... للمشرفى ولا اللسان اللهذمِ

هى ويحكم أمر الإله وحكمه ... والله يقضى بالقضاء المحكمِ

• أكثروا ذكر هاذم اللذات •

قال اللَّه تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُم يَوْمَ القِيَامَةِ فَمَنْ زُحْزِحَ عنِ النَّارِ وأُدخِلَ الجَنَّةَ فَقَدْ فازَ وما الحَيَاةُ الدُّنْيَا إلاَّ مَتَاعُ الغُرُورِ﴾ (آل عمران:١٨٥).

وقال تعالى: ﴿وما تَدرِى نَفسٌ مَاذا تَكْسِبُ غدًا وما تَدرِى نَفْسٌ بِأَىِّ أَرضٍ تَمُوتُ﴾ (لقمان:٣٤).

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُم لا يَسْتأْخِرُونَ ساعةً ولا يَستَقدِمون﴾ (النحل:٦١).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تُلْهِكُمْ أَموَالُكُمْ ولا أَولادُكم عَن ذكرِ اللَّه ومن يَفعَل ذلكَ فَأُولَئكَ هم الخَاسِرُونَ * وَأَنفِقُوا من مَّا رزَقْنَاكُم من قَبلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ المَوتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَولا أَخَّرْتَنى إلى أَجلٍ قَرِيب فَأَصَّدَّقَ وأَكُنْ منَ الصَّالحينَ * ولن يؤَخرَ اللَّه نَفسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا واللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعملُونَ﴾ (المنافقون:٩ ـ ١١).

وقال تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ المَوْتُ قَالَ رَبِّ ارجِعُونِ * لَعَلِّى أَعمَلُ صَالِحًا

(١) التذكرة للقرطبى: (ص٤).

(٢) التذكرة للقرطبى: (ص٥).

www.ibtesama.com

فيما تَرَكتُ كَلاَّ إنَّهَا كَلمَةٌ هو قَائلُهَا وَمن ورائهم بَرْزَخٌ إلى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * فَإذَا نُفِخَ فى الصُّورِ فَلا أَنسَابَ بَيْنَهم يومَئذ ولا يَتَسَاءَلُونَ * فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولئكَ هُمُ المُفْلحُونَ * وَمَن خَفَّت مَوازِينُهُ فَأُولئكَ الَّذينَ خَسرُوا أَنْفُسَهُم فى جَهَنَّمَ خَالدُونَ * تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُم فيهَا كَالحُونَ * أَلَمْ تَكُن آياتى تُتْلَى عَلَيْكُمْ فكُنتُمْ بهَا تُكَذِّبُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿قال كَمْ لَبِثْتُمْ فى الأرض عَدَدَ سنينَ * قالُوا لَبثنَا يَومًا أَو بَعضَ يَوم فاسأَل العَادِّينَ * قال إن لَبثْتُمْ إلاَّ قَليلاً لَو أَنَّكُم كُنْتُمْ تَعلَمُونَ * أَفَحَسِبْتُم أَنَّمَا خَلَقْناكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إلَينَا لا تُرجَعُونَ﴾ (المؤمنون:٩٩ ـ ١١٥).

وقال تعالى: ﴿أَلَم يَأنِ للَّذينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لذكرِ اللَّه وَمَا نَزَلَ منَ الحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذينَ أُوتُوا الكتاب من قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِم الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُم وكَثيرٌ منهُم فَاسقُونَ﴾ (الحديد:١٦).

* عن ابن عمر رضى اللَّه عنهما قال: أَخَذَ رَسولُ اللَّه ﷺ بمنكبى فَقَالَ: «كُنْ فى الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَريبٌ أَو عابرُ سَبيلٍ» وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ رضى اللَّه عنهما يقول: إذا أَمسَيتَ، فَلا تَنْتَظرِ الصَّبَاحَ، وَإذَا أَصْبَحْتَ فَلا تَنْتَظرِ المَسَاءَ، وخذ من صِحَّتِكَ لَمَرَضِك وَمن حَيَاتكَ لَموتك[1].

وعنه أَنَّ رسول اللَّه ﷺ قال: «ما حَقُّ امْرِئٍ مُسلمٍ لَه شَىءٌ يُوصى فيه. يبيتُ لَيْلَتَيْنِ إلاَّ وَوَصيَّتُهُ مَكْتُوبَةٌ عنْدَهُ»[2].

وفى رواية لمسلم: «يَبيتُ ثَلاثَ لَيَال» قال ابن عمر: مَا مَرَّتْ عَلَىَّ لَيْلَةٌ مُنذُ سَمعتُ رسولَ اللَّه ﷺ قال ذلكَ إلاَّ وَعنْدى وَصيَّتى.

وعن أَنس رضى اللَّه عنه قال: خَطَّ النَّبىُّ ﷺ خُطُوطًا فقال: «هَذا الإنسَانُ وَهَذا أَجَلُهُ.

---

(١) [صحيح]: أخرجه البخارى (١١/ ٦٤١٦/ فتح) الرقاق.

(٢) [صحيح]: أخرجه البخارى (٥/ ٢٧٣٨/ فتح) الوصايا/ باب: الوصايا وقول النبى ﷺ وصية الرجل، ومسلم (١٦٢٧) فى الوصية.

* قال الشافعى ـ رحمه الله ـ: ومعنى الحديث: ما الحزم والاحتياط للمسلم إلا أن تكون وصيته مكتوبة عنده. فيستحب تعجيلها، وأن يكتبها فى صحته، ويشهد عليه فيها. ويكتب فيها ما يحتاج إليه فإن تجدد له أمر يحتاج إلى الوصية به ألحقه بها.

www.ibtesama.com

فَبَيْنَما هو كَذَلِكَ إذ جَاءَ الخَطُّ الأَقْرَبُ»(١).

وعن ابن مسعُود رضىَ اللَّه عنه قال: خَطَّ النَّبىُّ ﷺ خَطًّا مُرَبَّعًا، وخَطَّ خَطًّا فى الْوَسَطِ خَارِجًا منْهُ، وَخَطَّ خُطَطًا صِغَارًا إلى هَذَا الَّذى فى الوَسَطِ منْ جَانبِه الَّذى فى الوَسَطِ، فَقَالَ: «هَذَا الإنسَانُ، وَهَذَا أَجَلُهُ مُحيطًا به أو قَد أَحَاطَ به وَهَذَا الَّذى هُوَ خَارِجٌ أَمَلُهُ وَهَذه الْخطَطُ الصِّغَارُ الأَعْراضُ، فَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذَا، نَهَشَهُ هَذَا، وَإِنْ أَخْطَأَهُ هَذا نَهَشَهُ هَذَا»(٢). وَهَذه صُورَتَهُ:

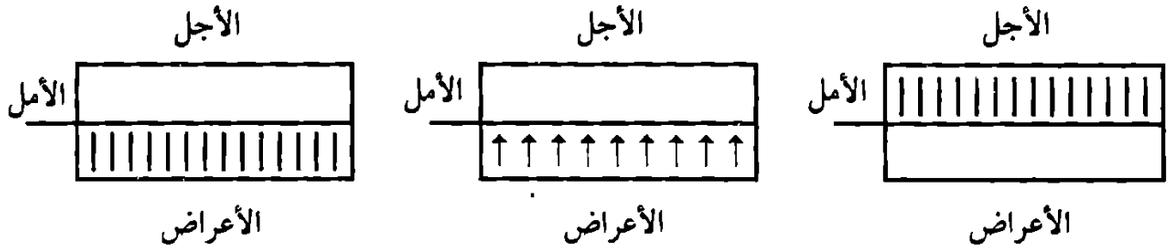

* وعن أبى هريرة قالَ: قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ» يَعنى: المَوْتَ(٣).

* وعن أُبَىّ بن كعب رضى اللَّهُ عنه: كانَ رَسولُ اللَّه ﷺ إذا ذَهَبَ ثُلثُ اللَّيْلِ، قامَ فقالَ: «يا أَيها النَّاسُ اذْكُرُوا اللَّه جَاءَت الرَاجفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادفَةُ، جاءَ المَوْتُ بما فيه، جاءَ المَوْتُ بما فيه» قلتُ: يا رَسُولَ اللَّه إنى أُكْثرُ الصَّلاةَ عَلَيْكَ، فَكَمْ أَجْعَلُ لكَ من صَلاتى؟ فقال: «ما شِئْتَ» قُلْتُ: الرُّبُعَ؟ قالَ: «ما شِئْتَ، فَإِنْ زدتَ فَهُوَ خَيْرٌ لكَ» قُلْتُ: فَالنِّصْفَ؟ قالَ: «ما شِئْتَ، فإنْ زدْتَ فهو خَيرٌ لكَ» قُلْتُ: فَالثلثَين؟ قالَ: «ما شِئْتَ، فإنْ زدْتَ فهو خَيرٌ لكَ» قُلْتُ: أَجْعَلُ لكَ صَلاتى كُلَّها؟ قال: «إذًا تُكْفَى هَمَّكَ، ويُغْفَرُ لكَ ذَنْبُكَ»(٤).

---

(١) [صحيح]: أخرجه البخارى (١١/ ٦٤١٨/ فتح) الرقاق/ باب: فى الأمل.

(٢) [صحيح]: أخرجه البخارى (١١/ ٦٤١٧/ فتح) الرقاق/ باب: فى الأمل.

(٣) [صحيح]: أخرجه الترمذى (٤/ ٢٣٠٧) فى الزهد/ باب: ما جاء فى ذكر الموت، وابن ماجه (٤٢٥٨) فى الزهد/ باب: ذكر الموت والاستعداد له، وصححه الشيخ الألبانى فى صحيح الجامع (١٢١٠) والمشكاة (١٦٠٧) والإرواء (٦٨٢) و«صحيح سنن الترمذى» (١٨٧٧).

(٤) [حسن]: أخرجه الترمذى (٤/ ٢٤٥٧) فى صفة القيامة، وحسنه الشيخ الألبانى فى صحيح الجامع (٧٨٦٣) والسلسلة الصحيحة (٩٥٢) و«صحيح سنن الترمذى» (١٩٩٩).

www.ibtesama.com

* وعن ابن عمر رضى الله عنهما: أن النبى ﷺ سُئل: أى المؤمنين أكيس قال: «أكثرهم للموت ذكرًا وأشدهم استعدادًا له أولئك هم الأكياس»(١).

وقال الحسن البصرى: فضح الموت الدنيا، فلم يترك لذى لُبٍ فيها فرحًا، وما ألزم عبد قلبه الموت إلا صغرت الدنيا عليه، وهان عليه جميع ما فيها.

وكان ابن عمر رضى الله عنهما إذا ذكر الموت انتفض انتفاض الطير، وكان يجمع كل ليلة الفقهاء، فيتذاكرون الموت والقيامة ثم يبكون، حتى كأن بين أيديهم جنازة.

وقال ابن مسعود ـ رضى الله عنه ـ: السعيد من وُعظ بغيره، وقال أبو الدرداء رضى الله عنه: إذا ذكر الموتى، فعُدَّ نفسك كأحدهم.

• **قال الإمام القرطبى:** قال علماؤنا رحمة الله عليهم: قوله ﷺ: «أكثروا ذكر هادم اللذات الموت» كلام مختصر وجيز قد جمع التذكرة وأبلغ فى الموعظة فإن من ذكر الموت حقيقة ذكره نغّص عليه لذته الحاضرة، ومنعه تمنيها فى المستقبل وزهده فيما كان منها يؤمل، ولكن النفوس الراكدة، والقلوب الغافلة تحتاج إلى تطويل الوعاظ، وتزويق الألفاظ، وإلا ففى قوله عليه الصلاة والسلام: «أكثروا ذكر هادم اللذات» مع قوله تعالى: ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ ما يكفل السامع له، ويشغل الناظر فيه(٢).

• أثر تذكر الموت فى إصلاح النفوس •

إن لتذكر الموت أثر كبير فى إصلاح النفوس وتهذيبها، ذلك أن النفوس تؤثر الدنيا وملذاتها، وتطمع فى البقاء المديد فى هذه الحياة، وقد تهفو إلى الذنوب والمعاصى، وقد تقصر فى الطاعات، فإذا كان الموت دائما على بال العبد، فإنه يصغر الدنيا فى عينه، ويجعله يسعى فى إصلاح نفسه وتقويم المعوج من أمره... فقد روى البيهقى فى شُعب الإيمان، وابن حبّان فى صحيحه والبزار فى مسنده بإسناد حسن عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «أكثروا ذكر هاذم اللذات: الموت، فإنه لم يذكره فى ضيق من العيش إلا وسعه عليه، ولا ذكره فى سعة إلا ضيقها»(٣).

ويذكر ابن المبارك أن صالحًا المرى كان يقول: «إن ذكر الموت إذا فارقنى ساعة فسد

(١) رواه ابن ماجه والحاكم وحسنه الألبانى فى الصحيحة (١٣٨٤) بمجموع طرقه.
(٢) التذكرة/ للإمام القرطبى (١/ ٤٧).
(٣) رواه البيهقى وابن حبان عن أبى هريرة وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٢١١).

www.ibtesama.com

علىَّ قلبى»[١].

وقال القرطبى: قال العلماء: تذكر الموت يردع عن المعاصى، ويلين القلب القاسى، ويذهب الفرح بالدنيا ويهون المصائب[٢].

وقال القرطبى أيضا: قال العلماء ـ رحمهم الله ـ ليس للقلوب أنفع من زيارة القبور، وخاصة إن كانت قاسية، فعلى أصحابها أن يعالجوها بثلاثة أمور:

أحدها: الإقلاع عما هى عليه بحضور مجالس العلم بالوعظ والتذكير والتخويف والترغيب وأخبار الصالحين، فإن ذلك مما يلين القلوب.

الثانى: ذكر الموت، فيكثر من ذكر هاذم اللذات، ومفرق الجماعات، وميتم البنين والبنات.

الثالث: مشاهدة المحتضرين، فإن النظر إلى الميت ومشاهدة سكراته ونزعاته، وتأمل صورته بعد مماته، مما يقطع عن النفوس لذاتها، ويطرد عن القلوب مسراتها، ويمسح الأجفان من النوم، والأبدان من الراحة، ويبعث على العمل، ويزيد فى الاجتهاد والتعب[٣].

• مَن أكثر من ذكر الموت أكرم بثلاثة أشياء •

قال الدقاق: من أكثر من ذكر الموت أُكرم بثلاثة أشياء: تعجيل التوبة، وقناعة القلب، ونشاط العبادة، ومن نسى الموت عوقب بثلاثة أشياء: تسويف التوبة، وترك الرضى بالكفاف والتكاسل فى العبادة.

فتفكر يا مغرور فى الموت وسكراته، وصعوبة كأسه ومرارته، فيا للموت من وعد ما أصدقه، ومن حاكم ما أعدله، وكفى بالموت مقرحًا، ومبكيًا للعيون، ومفرقًا للجماعات، وهادمًا للذات، وقاطعًا للأمنيات، فهل تفكرت يا ابن آدم فى يوم مصرعك وانتقالك من موضعك، وإذا نقلت من سعة إلى ضيق، وخانك الصاحب والرفيق، وهجرك الأخ والصديق، وأُخذت من فراشك، وغطائك إلى عرر[٤]، وغطوك من بعد لين لحافك

(١) الزهد والرقائق لابن المبارك (ص: ٨٨).

(٢) التذكرة (ص: ١٢).

(٣) التذكرة (ص: ١٢).

(٤) العرر: القود، والعرر أيضا القتال والشدة فى الحرب، فشتان بين الحرب والنوم فى الفراش.

www.ibtesama.com

بتراب ومدر[١]، فيا جامع المال، والمجتهد فى البنيان، ليس لك والله من مالك إلا الأكفان، بل هى والله للخراب والذهاب، وجسمك للتراب والمآب، فأين الذى جمعته من المال؟ فهل أنقذك من الأهوال؟ كلا، بل تركته إلى من لا يحمدك، وقدمت بأوزارك على من لا يعذرك، ولقد أحسن من قال فى تفسير قوله تعالى: ﴿وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة﴾ أى: اطلب[٢].

لا شىء مما ترى تبقى بشاشته ... يبقى الإله ويفنى المال والولدُ
لم تغن عن هرمز يومًا خزائنه ... والخُلد قد حاولت عادٌ فما خلدوا
ولا سليمان إذ تجرى الرياح له ... والإنس والجن فيما بينها تردُ
أين الملوك التى كانت لعزتها ... من كل أوب إليها وافد يفدُ
حوض هنالك مورود بلا كذب ... لا بد من ورده يومًا كما وردوا

• منهمك .. وتائبٌ... وعارفٌ •

اعلم: أن المنهمك فى الدنيا المنكب فى غرورها، يغفل قلبه لا محالة عن ذكر الموت فلا يذكره، وإن ذكره كرهه ونفر منه، ثم الناس إما منهمك، أو تائب مبتدىء، أو عارف منتبه.

فأما المنهمك فلا يذكره، وإن ذكره فيذكره لتأسف على دنياه، ويشتغل بذمه وهذا لا يزيده ذكر الموت من الله تعالى إلا بُعدًا.

وأما التائب، فإنه يكثر ذكر الموت لينبعث به من قلبه الخوف والخشية، فيفى بتمام التوبة، وربما يكره الموت خيفة أن يختطفه قبل تمامها أو قبل إصلاح الزاد، وهو معذور فى كراهة الموت، ولا يدخل بهذا تحت قوله ﷺ: «من كره لقاء الله كره الله لقاءه»[٣] فإنه إنما يخاف لقاء الله لقصوره وتقصيره، فهو كالذى يتأخر عن لقاء الحبيب مشتغلاً بالاستعداد للقائه على وجه يرضاه، فلا يُعد كارهًا للقائه، وعلامة هذا أن يكون دائم الاستعداد له، لا شغل له سواه، وإلا التحق بالمنهمك فى الدنيا.

وأما العارف، فإنه يذكر الموت دائمًا، لأنه موعد لقاء الحبيب، وهو لا ينسى موعد

(١) المدر: الطين أو الحجارة، والمراد: تذكر يا ابن آدم الموت، واعمل له من قبل أن يفجعك.
(٢) التذكرة (١/ ٥٠).
(٣) أخرجه البخارى (٨١) كتاب الرقاق ـ ومسلم (٤٨) كتاب الذكر والدعاء.

www.ibtesama.com

لقاء حبيبه، وهذا فى غالب الأمر يستبطىء مجىء الموت، ويحبه ليتخلص من دار العاصين، وينتقل إلى جوار رب العالمين، كما قال بعضهم: حبيب جاء على فاقة.

فإذن التائب معذور فى كراهة الموت، وهذا معذور فى حبه الموت وتمنيه، وأعلى منهما من فوض أمره إلى الله تعالى، فصار لا يختار لنفسه موتًا ولا حياة، بل تكون أحب الأشياء إليه أحبها إلى مولاه، فهذا قد انتهى بفرط الحب والولاء إلى مقام التسليم والرضا، وهو الغاية والمنتهى.

وعلى كل حال، ففى ذكر الموت ثواب وفضل، فإن المنهمك فى الدنيا قد يستفيد بذكر الموت التجافى عن الدنيا، لأن ذكره ينغص عليه نعيمه ويكدره[١].

• استحباب زيارة القبور للرجال •

ولأن أكثر الناس ينشغلون بالدنيا وحُطامها الزائل فيُستحب للرجال زيارة القبور لأنها تذكرهم بالآخرة.

* عن بُرَيْدَةَ رضى اللَّهُ عنه، قال: قال رسُولُ اللَّه ﷺ: «كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ زِيارَةِ القُبُورِ فَزُورُوها»[٢].

وفى رواية: «فمن أراد أن يزور القبور فليزر فإنها تذكرنا بالآخرة».

* عن عائشَةَ رضى اللَّهُ عنها قالت: كان رسُولُ اللَّه ﷺ ، كُلَّما كان لَيْلَتها منْ رسول اللَّه ﷺ يَخْرُجُ منْ آخرِ اللَّيْلِ إلى البَقيعِ، فَيَقُولُ: «السَّلامُ عَلَيْكُمْ دارَ قَوْمٍ مُؤمنينَ، وأَتَاكُمْ ما تُوعَدُونَ، غَدًا مُؤَجَّلُونَ، وإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ لاحِقُونَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأَهْلِ بَقِيعِ الغَرْقَدِ»[٣].

* وعن بُرَيْدَةَ رضى اللَّهُ عنهُ، قال: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعَلِّمُهُمْ إِذا خَرَجُوا إلى المَقابِرِ أَنْ يَقُولَ قَائلُهُم: «السَّلامُ عَلَيكُمْ أَهْلَ الدِّيارِ مِنَ المُؤْمِنينَ والمُسْلِمينَ ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ بِكُمْ للاَحِقُونَ، أَسْأَلُ اللَّه لَنَا ولَكُمُ العافِيَةَ»[٤].

---

(١) مختصر منهاج القاصدين (ص: ٤٦٩: ٤٧٠).

(٢) [صحيح]: أخرجه مسلم (٩٧٧) كتاب الجنائز/ باب: استئذان النبى ﷺ ربه.

(٣) [صحيح]: أخرجه مسلم (٩٧٤) كتاب الجنائز/ باب: ما يقال عند دخول القبور.

(٤) [صحيح]: أخرجه مسلم (٩٧٥) كتاب الجنائز/ باب: ما يقال عند دخول القبور.

www.ibtesama.com

• خير الناس من طال عمره وحسن عمله •

* واختلف السالكون أيما أفضل، مَن تمنّى الموت شوقًا إلى لقاء الله أو مَن تمنى الحياة رغبة فى طاعة الله؟ أو مَن فوّض الأمر إلى الله ورضى باختياره ولم يختر لنفسه شيئًا.

* فذهب قوم إلى تفضيل الموت على الحياة واستدل طائفة من الصحابة بقول الله عز وجل: ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ (آل عمران:١٩٨).

* ولكن الأحاديث الصحيحة تدل على أن عمر المؤمن كلما طال ازداد بذلك ما له عند الله من خير، فلا ينبغى له أن يتمنى انقطاع ذلك، اللَّهم إلا أن يخشى الفتنة على دينه، فإنه إذا خشى الفتنة على دينه فقد خشى أن يفوته ما عند الله من خير، والموت خير له على هذه الحال.

قال ميمون بن مهران: لا خير فى الحياة إلا لتائب أو رجل يعمل فى الدرجات.

* عن أبى سلمة، عن طلحة بن عبيد الله أن رجلين من بلَى قدما على رسول الله ﷺ وكان إسلامهما جميعًا، فكان أحدهما أشد اجتهادًا من الآخر، فغزا المجتهد منهما فاستشهد ثم مكث الآخر بعده سنة ثم توفى.

قال طلحة: فرأيت فى المنام، بينا أنا عند باب الجنة، إذا أنا بهما، فخرج خارج من الجنة فأذن للذى توفى الآخر منهما، ثم خرج فأذن للذى استشهد، ثم رجع إلىّ فقال: ارجع فإنك لم يأن لك بعد.

فأصبح طلحة يحدث الناس فعجبوا لذلك فبلغ ذلك رسول الله ﷺ وحدثوه الحديث: فقال: «من أى ذلك تعجبون؟» فقالوا: يا رسول الله هذا كان أشد الرجلين اجتهادًا ثم استشهد، ودخل هذا الآخر الجنة قبله، فقال رسول الله ﷺ: «أليس قد مكث هذا بعده سنة؟»، قالوا: بلى، قال: «وأدرك رمضان فصام وصلى كذا وكذا من سجدة فى السنة؟»، قالوا: بلى، قال رسول الله ﷺ: «فما بينهما أبعد مما بين السماء والأرض»[1].

* وعن أبى بكرة رضى الله عنه مولى رسول الله ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «خير

(١) رواه أحمد وابن ماجه وصححه الألبانى فى صحيح سنن ابن ماجه (٣١٧١).

www.ibtesama.com

الناس من طال عمره وحسن عمله، وشر الناس، من طال عمره وساء عمله»[١].

* «الموتى فى قبورهم يتحسرون على زيادة فى أعمالهم بتسبيحة وبركعة. ومنهم من يسأل الرجعة إلى الدنيا لذلك، فلا يقدرون على ذلك قد حيل بينهم وبين العمل غلقت منهم الرهون.

ورؤى بعضهم فى المنام فقال: ندمنا على أمر عظيم، نعلم ولا نعمل، وأنتم تعلمون ولا تعملون، والله لتسبيحة أو تسبيحتان، أو ركعة أو ركعتان فى صحيفة أحدنا أحب إليه من الدنيا وما فيها[٢].

• الموت كفارة لكل مسلم •

إنما كان الموت كفارة، لكل ما يلقاه الميت فى مرضه من الآلام والأوجاع، وقد قال ﷺ: «ما من مسلم يصيبه أذى، من مرض فما سواه إلا حط الله به سيئاته كما تحط الشجرة ورقها»[٣].

* وعن زيد بن أسلم مولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال: «إذا بقى على المؤمن من ذنوبه شىء لم يبلغه بعمله شُدِّد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وشدائده درجته من الجنة، وإن الكافر إذا كان قد عمل معروفًا فى الدنيا، هون عليه الموت ليستكمل ثواب معروفه فى الدنيا ثم يصير إلى النار»[٤].

• لا يموتن أحدكم إلا وهو يُحسن الظن بالله •

عن جابر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول قبل وفاته بثلاثة أيام: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله»[٥].

(وذكره) ابن أبى الدنيا فى كتاب (حسن الظن بالله (تعالى)، وزاد: فإن قومًا قد أرداهم سوء ظنهم بالله فقال لهم تبارك وتعالى: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ

(١) رواه أحمد والترمذى والحاكم وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٢٩٧).
(٢) لطائف المعارف (ص: ٣٢٨).
(٣) أخرجه البخارى (٥٦٤٧) ومسلم (٢٥٧١).
(٤) أخرجه ابن أبى الدنيا فى «ذكر الموت» كما فى شرح الصدور (ص: ٢٩).
(٥) أخرجه مسلم (٢٨٧٧) وأحمد (٣/ ٣١٥).

www.ibtesama.com

فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (فصلت:٢٣).

وعن أنس أن النبى ﷺ دخل على شاب وهو فى الموت فقال: «كيف تجدك؟» فقال: أرجو الله يا رسول الله وأخاف ذنوبى، فقال رسول الله ﷺ: «لا يجتمعان فى قلب عبد مؤمن فى مثل هذا الموطن إلا أعطاه الله ما يرجو وأمنه مما يخاف»(١).

* وحُسن الظن بالله تعالى، ينبغى أن يكون أغلب على العبد عند الموت منه فى حال الصحة، وهو أن الله تعالى يرحمه ويتجاوز عنه ويغفر له... وينبغى لجلسائه أن يذكروه بذلك حتى يدخل فى قوله تعالى: «أنا عند ظن عبدى بى فليظن بى ما شاء»(٢).

* وقال الفضيل: «الخوف أفضل من الرجاء ما كان العبد صحيحًا فإذا نزل به الموت فالرجاء أفضل من الخوف».

• من أحب الجنة فليحب الموت •

* وقال ابن عبد ربه لمكحول: «أتحبُّ الجنة؟ قال: وَمَن لا يحب الجنة؟!!، قال: فأحبَّ الموت، فإنك لن ترى الجنة حتى تموت»(٣).

* وعن حبان بن الأسود قال: الموت خير يُوصل الحبيب إلى الحبيب(٤).

* وقال عمر بن العزيز لبعض العلماء: عظنى، فقال: لست أول خليفة تموت؟ قال: زدنى، قال: ليس من آبائك أحد إلى آدم إلا ذاق الموت وقد جاءت نوبتك، فبكى عمر لذلك.

* وكان الربيع بن خثيم قد حفر قبرًا فى داره فكان ينام فيه كل يوم مرات يستديم بذلك ذكر الموت، وكان يقول: لو فارق ذكر الموت قلبى ساعة واحدة لفسد.

* وقال عمر بن عبد العزيز لعنبسة: أكثر ذكر الموت، فإن كنت واسع العيش ضيّقه عليك، وإن كنت ضيق العيش وسعّه عليك.

* وعن ابن مسعود رضى الله عنه: «ما من نفس بَرّة ولا فاجرة إلا والموت خير لها من الحياة، إن كان بَرًا فقد قال تعالى: ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ لِّلْأَبْرَارِ﴾ (آل عمران:١٩٨)، وإن

(١) رواه الترمذى وابن ماجه وأبو نعيم بإسناد حسن.

(٢) رواه أحمد والبيهقى فى الشعب، والطبرانى فى الكبير، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٧٦٥).

(٣) «حلية الأولياء» (٥/ ١٧٧).

(٤) «الحلية» (١٠/ ٩).

www.ibtesama.com

كان فاجرًا، فقد قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا﴾ (آل عمران:١٧٨).

* وقال عمر بن عبد العزيز: «إنما خُلقتم للأبد، وإنما تُنقلون من دار إلى دار»(١).

* وعن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما على الأرض نفس تموت، ولها عند الله خير، تحب أن ترجع إليكم، ولها نعيم الدنيا وما فيها إلا قتيل فإنه يحب أن يرجع فيُقتل مرة أخرى»(٢).

* وعن فضالة بن عُبيد رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «اللَّهم من آمن بك، وشهد أنى رسولك فحبِّب إليه لقاءك، وسَهِّلْ عليه قضاءك، وأقلل له من الدنيا، ومَن لم يؤمن بك، ولم يشهد أنى رسولك، فلا تُحبِّبْ إليه لقاءك، ولا تُسَهِّل عليه قضاءك، وأكثر له من الدنيا»(٣).

* وعن محمود بن لبيد أن النبى ﷺ قال: «يكره ابن آدم الموت، والموت خير له من الفتنة»(٤).

* وصحّ عن الربيع بن خُثَيم أنه قال: «ما من غائب ينتظره المؤمن خير له من الموت»(٥).

* وقال مالك بن مِغْول: «بلغنى أن أول سرور يدخل على المؤمن الموت، لما يرى من كرامة الله وثوابه».

* وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال: «ليس للمؤمن راحة دون لقاء الله»(٦).

* * *

(١) «حلية الأولياء» (٥/ ٢٨٧).

(٢) صحيح: رواه النسائى فى «المجتبى»، وابن المبارك فى «الجهاد»، وأحمد فى «مسنده»، والطبرانى.

(٣) إسناده قوى: رواه ابن حبان فى «صحيحه»، انظر: «الإحسان» (١/ ٣٧٣ ـ ٣٧٤) رقم (٢٠٨)، والطبرانى فى «الكبير» (١٨/ ٣١٣) رقم (٨٠٨)، وقال الشيخ حمدى عبد المجيد السلفى: رجاله ثقات.

(٤) رواه أحمد والبغوى فى شرح السنة وإسناده صحيح ـ انظر السلسلة الصحيحة (٨١٣).

(٥) «حلية الأولياء» (٢/ ١١٤)، و«الزهد» لابن المبارك رقم (٢٧٣)، و«الزهد» لوكيع (١/ ٣١٣).

(٦) أخرجه وكيع فى «الزهد» (١/ ٣١١)، وأحمد فى «الزهد» (١٥٦)، وابن المبارك فى «الزهد» (٦ ـ ٧)، وأبو نعيم فى «الحلية» (١/ ١٣٦). وإسناده إلى عبد الله بن مسعود موقوفًا صحيح.

www.ibtesama.com

• لا يكره الموت إلا أحد رجلين •

واعلم أخي الحبيب أنه لا يكره الموت إلا أحد رجلين:

* أحدهما: من لا يؤمن بالآخرة وعنده أن لا حياة ولا نعيم إلا في الدنيا كمن وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿وَلَتَجِدَنَّهُمْ أَحْرَصَ النَّاسِ عَلَىٰ حَيَاةٍ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُزَحْزِحِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَن يُعَمَّرَ﴾ (البقرة:٩٦).

* والثاني: يُؤمن به ولكن يخاف ذنبه.

فأما من لم يكن كذلك فإنه يحبه، ويتمناه كما أحبّه الصالحون وتمنوه.

* قال رسول الله ﷺ: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه»(١).

* وقال تعالى: ﴿فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة:٩٤).

فالموت هو باب من أبواب الجنة، منه يُتوصل إليها، ولو لم يكن موت لم تكن الجنة، ولذلك منّ الله تعالى به على الإنسان فقال: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ (الملك:٢)، فقدّم الموت على الحياة تنبيهًا على أنه يتوصل به إلى الحياة الحقيقية، وعدّه علينا في نعمه(٢)، فقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ آلاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (الرحمن:٢٦:٢٨)، وقال تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ (البقرة:٢٨).

فجعل الموت إنعامًا كما جعل الحياة إنعامًا؛ لأنه لما كانت الحياة الأخروية نعمة لا وصول إليها إلا بالموت، فالموت نعمة؛ لأن السبب الذي يتوصل به إلى النعمة نعمة. ولكون الموت ذريعة إلى السعادة الكبرى لم يكن الأنبياء والحكماء يخافونه حتى قال أحدهم: «والله ما أبالي أقع على الموت أو يقع الموت عليَّ»، وكانوا يتوقعونه ويرون أنهم في حبس فينتظرون المبشر بإطلاقهم قال تعالى: ﴿وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾ (آل عمران:١٥٨).

---

(١) أخرجه أحمد، والبخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي عن عائشة، وعن عبادة.

(٢) وعدّه الله تعالى مصيبة في سورة المائدة الآية (١٠٦)، قال تعالى: ﴿فَأَصَابَتْكُم مُّصِيبَةُ الْمَوْتِ﴾ الآية.

www.ibtesama.com

• كراهة تمنى الموت بسبب كثرة الابتلاءات •

ويُكره للمؤمن أن يتمنى الموت عندما يشتد عليه البلاء إلا أن يخشى الفتنة فى دينه.

عنْ أبى هُريرة رضىَ اللَّهُ عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّه ﷺ قالَ: «لا يتمنَّين أَحَدُكُمُ المَوْتَ إِمَا مُحسِنًا، فَلَعَلَّهُ يَزْداد، وَإِمَّا مُسِيئًا فَلَعَلَّهُ يَسْتَعْتِبُ»(١).

وفى رواية لمسلم عن أبى هُرَيْرةَ رضى اللَّهُ عنه عَنْ رسُول اللَّه ﷺ قال: «لا يتمنَّين أَحَدُكُمُ المَوْتَ، ولَا يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يأْتِيَهُ، إِنَّهُ إِذا ماتَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وَإِنَّهُ لا يَزِيدُ المُؤْمِنَ عُمُرُهُ إِلاَّ خَيرًا».

وعن أنس رضى اللَّه عنه قال: قالَ رسولُ اللَّه ﷺ: «لايَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ المَوْتَ لضُرٍّ أَصَابَهُ فَإِنْ كانَ لابُدَّ فاعِلاً، فَلْيَقُل: اللَّهُمَّ أَحْيِنى ما كانَتِ الحَياةُ خَيْرًا لى، وتَوَفَّنى إِذا كانَتِ الوفاةُ خَيرًا لى»(٢).

قال الإمام النووى: «فيه التصريح بكراهة تمنى الموت لضرّ نزل به من مرض أو فاقة أو محنة من عدو أو نحو ذلك من مشاق الدنيا، فأما إذا خاف ضرراً فى دينه، أو فتنة فيه، فلا كراهة فيه؛ لمفهوم هذا الحديث وغيره، وقد فعل هذا الثانى خلائق من السلف عند خوف الفتنة فى أديانهم.

وفيه: أنه إن خالف ولم يصبر على حاله فى بلواه بالمرض ونحوه فليقل: اللهم أحينى إن كانت الحياة خيراً... إلخ، والأفضل الصبر والسكون للقضاء»(٣).

* قال الحافظ ابن حجر: «لا يتمنّين... أنه إذا حلّ به ـ أى الموت ـ لا يمنع من تمنيه رضًا.

* * *

(١) [صحيح]: أخرجه البخارى (١٠/ ٥٦٧٣/ فتح) المرضى/ باب: تمنى المريض الموت، ومسلم (٢٦٨٢) فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار/ باب: كراهة تمنى الموت.

(٢) [صحيح]: أخرجه البخارى (١٠/ ٥٦٧١/ فتح) المرضى ـ ومسلم (٢٦٨٠) الذكر.

(٣) مسلم بشرح النووى (٥/ ٥٣٧).

www.ibtesama.com

• تمنى الموت يقع على وجوه •

والتحقيق فى تلك المسألة: أن تمنى الموت يقع على وجوه:

* منها: تمنّيه لضر دنيوى ينزل بالعبد فيُنهى حينئذ عن تمنى الموت.

ووجه كراهيته فى هذا الحال أن المتمنى للموت لضر نزل به إنما يتمناه تعجيلاً للاستراحة من ضره وهو لا يدرى إلى ما يصير بعد الموت فلعله يصير إلى ضر أعظم من ضره فيكون كالمستجير من الرمضاء بالنار. وفى الحديث عن النبى ﷺ قال: «إنما يستريح مَن غُفِر له»(١)، فلهذا لا ينبغى له أن يدعو بالموت إلا أن يشترط أن يكون خيراً له عند الله عز وجل.

* ومنها: تمنيه خوف الفتنة فى الدين فيجوز حينئذ. وقد تمنّاه ودعا به خشية فتنة الدين خلق من الصحابة وأئمة الإسلام... وفى حديث المنام: «وإذا أردت بقوم فتنة فاقبضنى إليك غير مفتون».

* تمنّى الموت عند حضور أسباب الشهادة: فيجوز ذلك أيضًا، وسؤال الصحابة الشهادة وتعرضهم لها عند حضور الجهاد كثير مشهور وكذلك سؤال مُعاذ لنفسه وأهل بيته الطاعون لما وقع بالشام.

* ومنها تمنى الموت لمن وثق بعمله شوقًا إلى لقاء الله عز وجل: فهذا يجوز أيضًا وقد فعله كثير من السلف.

* قال أبو الدرداء: أحب الموت اشتياقًا إلى ربى. وقال عنبسة الخولانى: كان من قبلكم لقاء الله أحب إليه من الشهد. وقال بعضهم: طال شوقى إليك فعجّل قدومى عليك. وقال بعضهم: لا تطيب نفسى بالموت إلا إذا ذكرت لقاء الله عز وجل فإننى حينئذ أشتاق إلى الموت كشوق الظمآن الشديد ظمؤه فى اليوم الحار الشديد حره إلى الماء البارد الشديد برده. وفى هذا يقول بعضهم:

أشتاق إليـك يا قريبًا نائى ... شـوق ظمأ إلى زلال الماء

وقد دل على جواز ذلك قول الله عز وجل: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ الدَّارُ الآخِرَةُ عِندَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة:٩٤)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ يَا

(١) رواه أحمد فى مسنده (٢٤٠٨٠)، وقال الألبانى فى الصحيحة (٤/٢٨٦) حديث (١٧١٠): صحيح لكثرة طرقه.

www.ibtesama.com

﴿أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِن دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ (الجمعة:٦) فدلّ ذلك على أن أولياء الله لا يكرهون الموت بل يتمنونه، ثم أخبر أنهم ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾ فدل على أنه إنما يكره الموت من له ذنوب يخاف القدوم عليها، كما قال بعض السلف: ما يكره الموت إلا مريب. وفى حديث عمار بن ياسر عن النبى ﷺ: «أسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك، فى غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة»[١]، فالشوق إلى الله تعالى إنما يكون بمحبة الموت.

قال أبو بكر الصديق لعمر رضى الله عنهما فى وصيته له عند الموت: إن حفظت وصيتى لم يكن غائب أحب إليك من الموت ولا بد منه، وإن ضيّعتها لم يكن غائب أكره إليك من الموت ولن تُعجزه.

قال أبو حازم: كل عمل تكره الموت من أجله فاتركه ثم لا يضرّك متى مِت.

* سُئل أبو حازم: كيف القدوم على الله؟ قال: أما المطيع فكقدوم الغائب على أهله المشتاقين إليه، وأما العاصى فكقدوم الآبق على سيده الغضبان[٢].

* رُئى أحد الصالحين فى النوم فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: خيرًا لم يُر مثل الكريم إذا حلَّ به مطيع.. الدنيا كلها شهر الصيام للمتقين وعيد فطرهم يوم لقاء ربهم... وصدق من قال:

وقد صُمت عن لذات دهرى كلها ... ويوم لقاكم ذاك فطر صيامى

* قال الحافظ ابن حجر: «لا يتمنّين... أنه إذا حلّ به ـ أى الموت ـ لا يمنع من تمنيه رضًا بلقاء الله ولا من طلبه من الله لذلك وهو كذلك، ولهذه النكتة عقّب البخارى حديث أبى هريرة بحديث عائشة: «اللَّهم اغفر لى، وارحمنى، وألحقنى بالرفيق الأعلى» إشارة إلى أن النهى مختص بالحالة التى قبل نزول الموت[٣].

* قال على بن أبى طالب رضى الله عنه فى يوم الجمل: ليتنى مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة[٤].

---

(١) رواه النسائى وابن حبان والحاكم، وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٣٠١).

(٢) لطائف المعارف (ص: ٥٨٢: ٥٨٥) بتصرف.

(٣) فتح البارى (١٠/ ١٣٣ ـ ١٣٤).

(٤) كتاب المتمنين/ لابن أبى الدنيا (ص: ٦٢).

www.ibtesama.com

* وتمنى عطاء السلمى الموت، وقال: إنما يريد الحياة من يزداد خيراً فأما من يزداد شراً فما يصنع بالحياة[١].

* وعن أبى هريرة رضى الله عنه مرفوعًا: «والذى نفسى بيده لا تذهب الدنيا حتى يمرّ الرجل على القبر فيتمرّغ عليه ويقول: يا ليتنى كنتُ مكان صاحب هذا القبر، وليس به الدَّين إلا البلاء» (أخرجه مسلم).

• الموت مصيبة... والغفلة عنه من أعظم المصائب •

فالموت هائل وخطره عظيم والناس فى غفلة عنه لقلة فكرهم فيه وذكرهم له.

«ومن يذكره ليس يذكره بقلب فارغ بل بقلب مشغول بشهوة الدنيا فلا ينجع ذكر الموت فى قلبه. فالطريق فيه أن يفرّغ العبد قلبه عن كل شىء إلا عن ذكر الموت الذى هو بين يديه، كالذى يريد أن يسافر إلى مفازة مخطرة أو يركب البحر، فإنه لا يتفكر إلا فيه، فإذا باشر ذكر الموت قلبه فيوشك أن يؤثر فيه، وعند ذلك يقل فرحه وسروره بالدنيا وينكسر قلبه. وأنجع طريق فيه أن يذكر أقرانه الذين مضوا قبله فيتذكر موتهم ومصارعهم تحت التراب، ويتذكر صورهم فى مناصبهم وأحوالهم، ويتأمل كيف محا التراب الآن حُسن صورهم. وكيف تبددت أجزاؤهم فى قبورهم، وكيف أرملوا نساءهم، وأيتموا أولادهم، وضيّعوا أموالهم، وخلت منهم مساجدهم ومجالسهم، وانقطعت آثارهم».

* نظر ابن مطيع ذات يوم إلى داره فأعجبه حسنها، ثم بكى فقال: والله لولا الموت لكنت بك مسروراً، ولولا ما نصير إليه من ضيق القبور لقرّت بالدنيا أعيننا، ثم بكى بكاء شديداً حتى ارتفع صوته»[٢].

قال القرطبى: قال العلماء: الموت ليس بعدم محض ولا فناء صرف وإنما هو انقطاع تعلق الروح بالبدن ومفارقته وحيلولة بينهما، وتبدل حال، وانتقال من دار إلى دار، وهو من أعظم المصائب، وقد سماه الله تعالى مصيبة، فى قوله (تعالى) ﴿فأصابتكم مصيبة الموت﴾ فالموت هو المصيبة العظمى والرزية الكبرى. قال علماؤنا: وأعظم منه الغفلة عنه، والإعراض عن ذكره، وقلة التفكر فيه، وترك العمل له، وإن فيه وحده لعبرة لمن

(١) كتاب المتمنين/ لابن أبى الدنيا (ص: ٦٩).
(٢) «الإحياء» (٤/ ٤٧٩ ـ ٤٨٠).

www.ibtesama.com

اعتبر وفكرة لمن تفكر، وفى خبر يروى عن النبى ﷺ: «لو أن البهائم تعلم من الموت ما تعلمون ما أكلتم منها سمينًا»(١).

• ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ﴾ •

ومن أركان الإيمان... الإيمان (بالملائكة) الذين هم عباد الله المكرمون والسفرة بينه تعالى وبين رسله عليهم الصلاة والسلام (الكرام) خَلقًا وخُلقًا والكرام على الله تعالى (البررة) الطاهرين ذاتًا وصفة وأفعالا المطيعين لله عز وجل، وهم عباد من عباد الله عز وجل خلقهم الله تعالى من النور لعبادته، ليسوا بناتًا لله عز وجل ولا أولادًا، ولا شركاء معه ولا أندادًا... تعالى الله عما يقول الظالمون والجاحدون والملحدون علوًا كبيرًا(٢).

* ومن بين الملائكة المَلَك الموكل بقبض الأرواح وهو ملك الموت وأعوانه، قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُم مَّلَكُ الْمَوْتِ الَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (السجدة:١١)، وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ (الأنعام:٦١، ٦٢)، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾ (الأنفال:٥٠)، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِى أَنفُسِهِمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (النحل:٢٨-٣٢) وغيرها من الآيات. وقد جاء فى الأحاديث أن أعوانه يأتون العبد بحسب عمله، إن كان محسنًا ففى أحسن هيئة وأجمل صورة بأعظم بشارة، وإن كان مسيئًا ففى أشنع هيئة وأفظع منظر بأغلظ وعيد، ثم يسوقون الروح حتى إذا بلغت الحلقوم قبضها ملك الموت فلا يدعونها فى يده بل يضعونها فى أكفان وحنوط يليق بها كما قال تعالى:

﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ (الواقعة:٨٣:٩٦) سبحان

(١) التذكرة (١/ ٣٧: ٣٨).

(٢) معارج القبول (٢/ ٥٣ ـ ٥٤) بتصرف.

www.ibtesama.com

الله وبحمده سبحان الله العظيم نستغفر الله[١].

* قال ابن بطة: «الإيمان بملك الموت ﷺ أنه يقبض الأرواح، ثم تُرد فى الأجساد فى القبور وهو يتصف بصفات من القدرة والسلطان وعظم الخلق وغيرهما من الصفات التى جعلته قادرًا على قبض أرواح كثيرة فى أماكن مختلفة بعيدة الأطراف فى لحظة واحدة»[٢].

قال ابن عباس: «خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب»[٣].

وصح عن مجاهد أنه قال عن ملك الموت: «حُويت له الأرض فجُعلت له مثل الطست يتناول منها حيث يشاء»[٤].

• مشهد السكرات ونداء ملك الموت •

* قال القرطبى: «مَثِّلْ نفسك يا مغرور وقد حلت بك السكرات، ونزل بك الأنين والغمرات، فمن قائل يقول: إن فلانا قد أوصى، وماله قد أحصى، ومن قائل يقول: إن فلانا ثقل لسانه، فلا يعرف جيرانه، ولا يكلم إخوانه، فكأنى أنظر إليك تسمع الخطاب، ولا تقدر على رد الجواب. فَخَيِّلْ لنفسك، يا ابن آدم إذا أُخذت من فراشك إلى لوح مغسلك، فغسلك الغاسل، وأُلبست الأكفان، وأوحش منك الأهل والجيران، وبكت عليك الأصحاب والإخوان، وقال الغاسل: أين زوجة فلان تحالله، وأين اليتامى تركككم أبوكم فما ترونه بعد هذا اليوم أبدا[٥].

ياله من مشهدٍ مهيب يتحدد من خلاله مصير العبد إما إلى ظلٍ ظليل وإما إلى شرٍ مقيل.

يقول صاحب الإحياء رحمه الله:

اعلم أنه لو لم يكن بين يدى العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات

---

(١) معارج القبول (٢/ ٥٦).

(٢) «الشرح والإبانة» لابن بطة ص (٢٢٢)، و«البداية والنهاية» (١/ ٤٧)، و«شرح الطحاوية» ص(٤٤٠)، و«التذكرة» للقرطبى (١/ ٨٨)، و«تفسير القرطبى» (١٤/ ٩٤).

(٣) «العظمة» لأبى الشيخ (٣/ ٩٢٤)، و«العرش» لابن أبى شيبة، والبيهقى فى «الأسماء والصفات» ص (٥٠٥)، وهو موقوف ورجال إسناده ثقات.

(٤) تفسير الطبرى (٢١/ ٩٨) و«الحبائل فى أخبار الملائك» (ص: ٣٥).

(٥) التذكرة (ص: ٢١).

www.ibtesama.com

الموت بمجردها، لكان جديراً بأن يتنغص عليه عيشه ويتكدر عليه سروره ويفارقه سهوه وغفلته، وحقيقًا بأن يطول فيه فكره ويعظم له استعداده، لا سيما وهو فى كل نفس بصدده كما قال بعض الحكماء: كربٌ بيد سواك لا تدرى متى يغشاك. وقال لقمان لابنه: يابنى أمرٌ لا تدرى متى يلقاك استعد له قبل أن يفجأك. والعجب أن الإنسان لو كان فى أعظم اللذات وأطيب مجالس اللهو فانتظر أن يدخل عليه أسد فيضربه خمس ضربات لتكدرت عليه لذته وفسد عليه عيشه، وهو فى كل نفس بصدد أن يدخل عليه ملك الموت بسكرات النزع وهو عنه غافل، فما لهذا سبب إلا الجهل والغرور..... واعلم أن شدة الألم فى سكرات الموت لا يعرفها بالحقيقة إلا من ذاقها.

والنزع عبارة عن مؤلم نزل بنفس الروح فاستغرق جميع أجزائه، حتى لم يبق جزء من أجزاء الروح المنتشر فى أعماق البدن إلا وقد حل به الألم فألم النزع يهجم على نفس الروح ويستغرق جميع أجزائه فإنه المنزوع المجذوب من كل عرق من العروق وعصب من الأعصاب وجزء من الأجزاء ومفصل من المفاصل ومن أصل كل شعرة وبشرة من الفرق إلى القدم، فلا تسأل عن كربه، حتى قالوا: إن الموت لأشد من ضرب بالسيف ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض لأن قطع البدن بالسيف إنما يؤلم لتعلقه بالروح فكيف إذا كان المنزوع نفس الروح؟ وإنما يستغيث المضروب ويصيح لبقاء قوته فى قلبه وفى لسانه، إنما انقطع صوت الميت وصياحه من شدة ألمه لأن الكرب قد بالغ فيه وتصاعد على قلبه، وبلغ كل موضع منه فهدّ كل قوة وضعف كل جارحة فلم يترك له قوة الاستغاثة.

أما العقل: فقد غشيه وشوّشه، وأما اللسان فقد أبكمه، وأما الأطراف فقد ضعفها ويود لو قدر على الاستراحة بالأنين والصياح والاستغاثة ولكنه لا يقدر على ذلك، فإن بقيت فيه قوة سمعت له عند نزع الروح وجذبها خواراً وغرغرة من حلقه وصدره، وقد تغير لونه واربّد حتى ظهر منه التراب الذى هو أصل فطرته، وقد جُذب منه كل عرق على حياله، فالألم منتشر فى داخله وخارجه، حتى ترتفع الحدقتان إلى أعالى أجفانه، وتتقلص الشفتان، ويتقلص اللسان إلى أصله، وترتفع الأنثيان إلى أعالى موضعهما، وتخضر أنامله.

فلا تسل عن بدن يُجذب منه كل عرق من عروقه! ولو كان المجذوب عرقًا واحدًا لكان ألمه عظيمًا فكيف والمجذوب نفس الروح المتألم؟ لا من عرق واحد بل من جميع

www.ibtesama.com

العروق. ثم يموت كل عضو من أعضائه تدريجيًا فتبرد أولاً قدماه ثم ساقاه ثم فخذاه، ولكل عضو سكرة بعد سكرة وكُربة بعد كربة حتى يبلغ بها إلى الحلقوم، فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا وأهلها ويُغلق دونه باب التوبة وتحيط به الحسرة والندامة، قال رسول اللّه ﷺ «إن اللّه تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرغر»(١).

وقال مجاهد فى قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّىٰ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ﴾ (النساء:١٨). قال: إذا عاين الرسل فعند ذلك تبدو له صفحة وجه ملك الموت فلا تسأل عن طعم مرارة الموت وكربه عند ترادف سكراته! ولذلك كان رسول اللّه ﷺ يقول: «اللّهم هون علىّ سكرات الموت»(٢) والناس إنما لا يستعيذون منه ولا يستعظمونه لجهلهم به فإن الأشياء قبل وقوعها إنما تُدرك بنور النبوة والولاية، ولذلك عظم خوف الأنبياء والأولياء من الموت حتى قال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين ادعوا اللّه تعالى أن يهون علىَّ هذه السكرة ـ يعنى الموت ـ فقد خفت الموت مخافة حتى أوقفنى خوفى من الموت على الموت..... وروى أن نفرًا من بنى إسرائيل مروا بمقبرة فقال بعضهم لبعض: لو دعوتم اللّه تعالى أن يخرج لكم من هذه المقبرة ميتًا تسألونه ؟ فدعوا اللّه تعالى فإذا هم برجل قد قام وبين عينيه السجود قد خرج من القبور فقال: يا قوم ما أردتم منى لقد ذقت الموت منذ خمسين سنة ما سكنت مرارة الموت من قلبى..... وقالت عائشة رضى اللّه عنها لا أغبط أحد يهون عليه الموت بعد الذى رأيت من شدة موت رسول اللّه ﷺ .

وكان علىّ (رضى اللّه عنه) يحض على القتال ويقول: إن لم تُقتلوا تموتوا والذى نفسى بيده لألف ضربة بالسيف أهون علىَّ من موت على فراش. وقال الأوزاعى: بلغنا أنَّ الميت يجد ألم الموت ما لم يُبعث من قبره. وقال شداد بن أوس: الموت أفظع هول فى الدنيا والآخرة على المؤمن، وهو أشد من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض وغلى فى القدور، ولو أن الميت رجع فأخبر أهل الدنيا بالموت ما انتفعوا بعيش ولا لذوا بنوم.

وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال: إذا بقى على المؤمن من درجاته شئ لم يبلغها بعمله شُدد عليه الموت ليبلغ بسكرات الموت وكربه درجته فى الجنة، وإذا كان للكافر معروف

(١) رواه الترمذى وأحمد وابن ماجه عن ابن عمر وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٩٠٣).

(٢) لم أقف عليه بهذا اللفظ، وإنما أخرج الترمذى والنسائى فى الكبرى، والطبرانى فى الكبير، وأحمد فى المسند عن عائشة بلفظ: «اللهم أعنى على سكرات الموت»، وضعفه الشيخ الألبانى فى ضعيف الجامع (١١٧٦)، ورياض الصالحين (٩١٧).

www.ibtesama.com

لم يُجز به هون عليه فى الموت ليستكمل ثواب معروفه فيصير إلى النار.

وعن بعضهم: أنه كان يسأل كثيراً من المرضى كيف تجدون الموت ؟ فلما مرض قيل له: فأنت كيف تجده؟ فقال: كأن السموات مطبقة على الأرض وكأن نفسى يخرج من ثقب إبرة.

وقال ﷺ: «موت الفجأة أخذة أسف»[١]...

وروى عن النبى ﷺ أنه كان بين يديه ركوة فيها ماء فجعل يدخل يده فى الماء فيمسح بها وجهه ويقول: «لا إله إلا اللّه إن للموت لسكرات».

وفى رواية «اللهم أعنى على سكرات الموت»[٢].

وفاطمة رضى اللّه عنها تقول واكرباه لكربك يا أبتاه! وهو يقول «لا كرب على أبيك بعد اليوم»[٣].

وقال عمر رضى اللّه عنه لكعب الأحبار يا كعب حدثنا عن الموت فقال: نعم يا أمير المؤمنين إن الموت كغصن كثير الشوك أُدخل فى جوف رجل وأخذت كل شوكة بعرق، ثم جذبه رجل شديد الجذَب فأخذ ما أخذ وأبقى ما أبقى.

فهذه سكرات الموت على أولياء اللّه وأحبابه، فما حالنا ونحن المنهمكون فى المعاصى.

• الذى يخفف عنه سكرات الموت •

أخبرنا الرسول ﷺ أن الشهيد الذى يسقط فى المعركة تخفف عنه سكرات الموت، فقد روى أبو هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «الشهيد لا يجد ألم القتل إلا كما يجد أحدكم ألم القرصة»[٤].

❊ ❊ ❊

(١) رواه أحمد وأبو داود عن عبيد اللّه بن خالد وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٦٣١).

(٢) أخرجه البخارى عن عائشة (٦٥١٠) باب سكرات الموت ـ كتاب الرقاق.وأما الزيادة فى قوله «اللّهم أعنّى على سكرات الموت» فهى عن أصحاب السنن سوى أبى داود بسند حسن

(٣) أخرجه البخارى عن أنس (٤٤٦٢) باب مرض النبى ﷺ ووفاتهَ ـ كتاب المغازى.

(٤) رواه النسائى عن أبى هريرة وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٧٤٦).

www.ibtesama.com

• لقنوا موتاكم: لا إله إلا الله •

قال ﷺ: «لقنوا موتاكم: لا إله إلا الله»(١).

قال القرطبى: قال علماؤنا: تلقين الموتى هذه الكلمة سنة مأثورة عمل بها المسلمون، وذلك ليكون آخر كلامهم لا إله إلا الله فيختم له بالسعادة، وليدخل فى عموم قوله عليه السلام: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»(٢).

* فإذا تلقنها المحتضر وقالها مرة واحدة فلا تعاد عليه لئلا يضجر، وقد كره أهل العلم الإكثار من التلقين، والإلحاح عليه إذا هو تلقنها أو فهم ذلك عنه، قال ابن المبارك: «لقنوا الميت لا إله إلا الله فإذا قالها فدعوه».

قال أبو محمد عبد الحق: وإنما ذلك لأنه يخاف عليه إذا لج عليه بها أن يتبرم ويضجر، ويثقلها الشيطان عليه، فيكون سببًا لسوء الخاتمة(٣).

• يا لها من لحظات •

قال القرطبى: وفى الخبر: أنه إذا دنت منية المؤمن نزل عليه أربعة من الملائكة: ملك يجذب النفس من قدمه اليمنى وملك يجذبها من قدمه اليسرى (وملك يجذبها من يده اليمنى وملك يجذبها من يده اليسرى)، والنفس تنسل انسلال القطرة من السقاء وهم يجذبونها من أطراف البنان ورؤوس الأصابع. والكافر تنسل روحه كالسفود من الصوف المبتل. فمثِّل نفسك يا مغرور وقد حلت بك السكرات، ونزل بك الأنين والغمرات، فمن قائل يقول: إن فلانًا قد أوصى، وماله قد أحصى، ومن قائل يقول: إن فلانًا ثقل لسانه، فلا يعرف جيرانه، ولا يكلم إخوانه، فكأنى أنظر إليك تسمع الخطاب، ولا تقدر على رد الجواب، ثم تبكى ابنتك وهى كالأسيرة، وتتضرع وتقول: حبيبى أبى من ليُتمى من بعدك؟ ومن لحاجتى؟ وأنت والله تسمع الكلام ولا تقدر على رد الجواب(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (٩١٦) وأبو داود (٣١١٧) والترمذى (٩٨٣).

(٢) رواه أحمد وأبو داود والحاكم وصححه وأقره الذهبى.

(٣) التذكرة/ (١/ ٩٥).

(٤) التذكرة (١/ ٧٥: ٧٦) بتصرف.

www.ibtesama.com

لَيسَ الغَرِيْبُ غَريبَ الشَّامِ واليَمَنِ ... إنَّ الغَرِيْبَ غَرِيْبُ اللَّحْدِ والكَفَنِ

إنَّ الغَـرِيْـبَ لَـهُ حَـقٌّ لِغُرْبَتِـهِ ... عَلَى المُقيمينَ فى الأوْطَانِ والسَّكَنِ

لا تَنْـهَرنَّ غريبـًا حَـالَ غُربـتِـهِ ... الدَّهْـرُ يَنهَـرُه بالـذُّلِ والمحَـنِ

سَفَرِىْ بعيـدٌ وزادِى لَنْ يُبَلِّغَنـى ... وَقوَّتِـى ضَعُفَـتْ والموتُ يَطْلُبُنى

ولـى بَقَايَـا ذُنُوبٍ لَسْتُ أعلمُهَـا ... الله يَعْلَمُـها فى السِّـر والعَلَـنِ

مـا أَحْلَـمَ الله عَنِّى حَيـثُ أمهلَنِى ... وقـد تَمادَيْـتُ فى ذَنْبـى وَيَسْتُرنى

تمـرُ سَاعَـاتُ أيامى بـلا نَـدَمٍ ... ولا بُكَـاءٍ ولا خَـوفٍ ولا حَـزَنِ

أنا الـذِى أُغْلِقُ الأَبْـوَابَ مُجْتَهِـدًا ... عـلى المعاصِى وعَـينُ الله تَنْظُرُنى

يا زَلَةً كُتِبتْ فـى غَفْلَـةٍ ذَهَبَـتْ ... يا حَسرَةً بَقِيَتْ فى القلْبِ تُحْرِقُنى

دَعْنِـى أُنُـوحُ علـى نَفْسـى وأندبُها ... وأَقْطَـعُ الدَّهْـرَ بالتَـذْكِيرِ والحَـزَنِ

دَعْ عَنْكَ عَذْلِى يَا مَنْ كـان يَعْذلُنى ... لَوْ كُنْتَ تَعْلَمُ مَا بى كُنْت تَعْـذُرُنى

دَعْنى أسِحُّ دُمُوعًـا لا انْقِطَـاعَ لَهَـا ... فَهَلْ عَسَى عَبْرَةٌ مِنْهَـا تُخَلِّصُنِى

كَأَنَّنى بَيْنَ تِلْكَ الأهل مُنْطرِحًـا ... عـلى الفِـرَاشِ وَأَيْدِيْهِـمْ تُقَلِّبُنى

كَأَنَنِى وَحَـوْلِـى مَـنْ يَنُـوحُ ومَـنْ ... يَبْكِى عَلَىَّ وينْعَـانِى وَيَنْـدُبُنى

وقـدْ أتَوا بِطبيبٍ كَىْ يُعـالِجنِى ... ولَم أَرَ الطَبِيـبَ اليـومَ يَنْفَـعُنِى

وَاشْتَدَّ نَزْعِى وصَارَ الموتُ يَجْذبُها ... مِنْ كُلِّ عِرْقٍ بلاَ رِفْقٍ وَلا هَوَنِ

وَاستَخْرَجَ الرُوحَ مِنِّى فى تَغَرْغُرِهَا ... وصَارَ رِيقِى مَرِيرًا حِينَ غَرْغَرَنى

وَغَمَّضُونِى وَرَاحَ الكُلُ وَانصرَفُوا ... بَعْدَ الإِيَاسِ وَجَـدّوا فى شرَا كَفَنى

وَقَامَ مَنْ كَانَ أَحَبَّ الناس فى عَجَلٍ ... نَحْـــوَ المُغسِّل يأتينى يُغَسِّلُنى

وقَالَ يا قَومُ نَبْغِى غَاسِلاً حِذقًا ... حُـرًا أديبًا أريبًا عـــارِفًا فَطِـنِ

فَجَـــاءنِى رَجُلٌ مِنْهُمْ فَجَرَّدنـى ... مِنْ الثيَـاب وَأعْـرَانِى وأفْـرَدَنى

www.ibtesama.com

وَأَوْدَعُونى عَلى الألواحِ مُنْطَرحًا ... وصَـارَ فَوْقى خَرِيرُ الماءِ يَنْظِفُنى

وأسكَبَ الماءَ مِنْ فَوقى وَغَسَّلَنى ... غَسلاً ثَلاثًا وَنَادَى القَوْمَ بِالكَفَنِ

وَألْبسُونـى ثِيَابًا لا كِمـامَ لَهَـا ... وَصَارَ زَادى حَنُوطِى حِينَ حَنَّطنى

وأخْرَجُـونى مِنَ الدنيا فَوا أسَفا ... عـلى رَحِيـل بلا زَادٍ يُبلِّغُنى

وَحَمَّلُونِى على الأكْتَافِ أربْعَـةٌ ... مِنَ الرجَالِ وخَلْفِى مَنْ يُشَيِّعُنى

وَقَدَّمُونِى إلى المِحرَاب وانْصرَفُوا ... خَلفَ الإمَامِ فَصَـلَّى ثُمَّ وَدعَنِى

صَلَّوا عَلَىَّ صَلاةً لا رُكُوعَ لَهَـا ... وَلا سُجُـوْدَ لَعَلَّ اللـه يَرحَمُنى

وَأنزَلُونى إلى قَبْرِى عَلَى مَهَـل ... وَقَدَّمُوا وَاحِـدًا منهُم يُلَحِّدُنى

وَكَشَّفَ الثَوْبَ عَنْ وجهِى لِيَنْظُرنى ... وَأسْبَلَ الدَّمْعَ مِن عَينَيه أغْرَقَنِى

فَقَـامَ مُحْتَزِمًا بالعَـزْمِ مُشْتَمِلاً ... وَصَفَّفَ اللَّبِنَ مِنْ فَوقِى وَفَارِقَنى

وَقَالَ هُلُّوا عَلَيه التُّرابَ واغْتَنِمُوا ... حُسْنَ الثَّوابِ مِن الرحمن ذِى المَنَنِ

فى ظُلْمَـة القَبْرِ لا أمٌ هُناكَ ولا ... أبٌ شَفِيـقٌ ولا أخٌ يُؤنِّسُنى

وَهَالَنى صُـورَةٌ فى العَين إذ نَظَرَتْ ... مِنْ هَوْلِ مطلَع مَا قَدْ كَانَ أدهَشَنِى

مِنْ مُنْكرٍ وَنَكِيْرٍ مـا أقُولُ لَهُمْ ... قَـدْ هَالَنِى أمرهم جدًا فأفزعنى

وأقعَـدُونى وَجَـدُّوا فى سُؤالِهِمُ ... مَا لـى سِـوَاكَ إلهَى مَنْ يُخَلِّصُنى

فامْنُنْ عَلَىَّ بِعَفْـوٍ مِنْـكَ يَا أمَلى ... فَإنَّنِـى مُـوثَـقٌ بالذَّنْـب مُرتَهَـنِ

تَقَاسَمَ الأهْلُ مَالِىْ بَعدَمَا انْصرَفُوا ... وَصَارَ وزْرِى على ظَهْرِى فأثْقَلنى

واسْتَبْدلَتْ زَوجَتى بَعْلاً لَهَا بَدَلى ... وَحكَّمَتْـهُ فـى الأمْـوالِ والسكَنِ

وصَيَّـرَتْ إبْنى عَبْـدًا لِيَخْدِمَـهُ ... وَصَارَ مَالِى لَهُمْ حِلاً بِـلا ثَمَـنِ

فَـلا تَغُـرَّنَّـك الدُّنْيَـا وزِينَتُهَـا ... وانْظُرْ إلى فِعْلِهَا فى الأهل والوَطنِ

وانْظُرْ إلى مَنْ حَوَى الدنيا بأجْمَعِهَا ... هَل رَاحَ منها بِغَيْر الحَنْطِ والكَفَنِ

www.ibtesama.com

خُذِ القَنَاعَةَ مِنْ دُنْيَاكَ وارض بها ... لَوْ لَمْ يَكُنْ لَك فيها إلا رَاحة البَدَنِ
يا زَارِعَ الخيرِ تَحصُدْ بَعدَهُ ثَمَرًا ... يا زَارِعَ الشرِّ مَوْقُوفٌ على الوَهَنِ
يَا نَفْسُ كُفِّى عن العِصْيَانِ واكْتَسِبِى ... فِعْلاً جَمِيْلاً لَعلَّ الله يَرحَمُنِى
يَا نَفْسُ وَيحَكِ تُوبِى واعْمَلِى حَسَنًا ... عَسَى تُجْزَيْنَ بَعْد الموتِ بالحَسَنِ
ثُمَّ الصَلاةُ على المُختَارِ سَيِّدنَا ... مَا وضَّأَ البَرْقُ فى شَامٍ وفى يَمَنِ
والحَمْد للهِ مُمْسِيْنَا ومُصْبِحِنَا ... بالخَيْرِ والعَفْوِ والإحسَانِ والمِنَنِ[1]

• ويا لها من كرامة •

* وأخرج ابن المبارك وابن منده عن محمد بن كعب القرظى قال:

«إذا استنقعت[2] نفسُ العبد المُؤمن، جاءهُ ملكُ الموتِ، فقال: السلامُ عليك يا ولى الله، الله يُقرئُك السلام، ثم نزعَ بهذه الآية:

﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾[3].

* وعن أبى موسى الأشعرى رضى الله عنه قال:

«تَخرجُ رُوحُ المؤمن، وهى أطيبُ ريحًا من المسكِ، فتصعدُ بها الملائكةُ الذين يتوفونها، فتلقاهم ملائكةٌ دون السماء، فيقولون:

من هذا الذى معكم؟

فيقولون: فلانٌ، ويذكرونهُ بأحسن عمله، فيقولون: حياكُمُ الله، وحيَّا من معكُمْ، فتُفتحُ له أبوابُ السماء، فيُصعدُ به من الباب الذى كان يصعدُ عملهُ منهُ، فيُشرقُ وجهه، فيأتى الرب، ولوجهِهِ بُرهانٌ مثلُ الشمس»[4].

---

(١) من شعر الإمام على زين العابدين بن الحسين بن على (رضى الله عنهم جميعًا).

(٢) أى اجتمعت فى فيه، تريد أن تخرج، كما يستنقع الماء فى قراره.

(٣) «بشرى الكئيب» ص(٤٨)، وانظر: «الزهد» لابن المبارك رقم (٤٤٢).

(٤) أخرجه ابن أبى شيبة فى «مصنفه» (١٣/ ٣٨٤)، والبيهقى فى «إثبات عذاب القبر» رقم (٢٥١)، وأبو نعيم فى «حلية الأولياء» (١/ ٢٦٢) من طريق حسين بن على عن زائدة، عن عاصم، عن سفيان، عن أبى موسى.

ونسبه الزبيدى فى «إتحاف السادة المتقين» (١٠/ ٤٠٣) إلى اللالكائى.

www.ibtesama.com

* وعن عبد الله بن عمرو رضى الله عنهما قال:

«إذا توفَّى اللهُ العبدَ المؤمن، أرسلَ إليه ملكين بخرقة من الجنة، وريحان الجنة، فقالا: أيتُها الروحُ الطيبة، اخرُجى إلى روحٍ وريحان، وربٍ غيرِ غضبَان.

اخرُجى، فنعمَ ما قَدَّمت.

فتخرُجُ كأطيب رائحة مسكٍ وَجَدَهَا أحدُكم بأَنْفِه.

وعلى أرجاء السماء ملائكةٌ يقولون: سبحان الله، لقد جاءَ من الأرض روحٌ طيبةٌ، فلا يمر بباب، إلا فُتح له، ولا ملكٌ إلا صلى عليه وشُفِّع، حتى يُؤتى به ربه، فتسجد الملائكةُ قَبْلَهُ، ثم يقولون:

ربنا هذا عبدك فلانٌ، توفيناهُ، أنت أعلمُ به.

فيقولُ: مُرُوهُ بالسجود، فتسجُدُ النسمةُ، ثم يُدعَى ميكائيلُ، فيُقالُ:

اجعل هذه النسمةَ، مع أَنفُسِ المُؤمنين، حتى أسألكَ عنها يومَ القيامة.

فيُؤمرُ بقبرِه، فيُوسعُ له، طُولهُ سبعون، وعرضهُ سبعون، ويُنبذُ فيه الريحان، ويُبسطُ له فيه الحرير، وإن كان معه شيءٌ من القرآن نوَّرهُ، وإلا جُعلَ له نورٌ مثل نورِ الشمس، فيُفتحُ له بابٌ إلى الجنةِ، فينظرُ إلى مقعدِه فى الجنةِ بكرةً وعشيًا»[1].

* * *

(١) أخرجه هناد فى «الزهد» (١/ ١٢٩) رقم (١٦٨)، والطبرانى فى «الكبير» كما فى «مجمع الزوائد» (٢/ ٣٢٧) وفيه: «رجاله ثقات».

وعزاه المصنف فى «الدر المنثور» (٢/ ٩٩)، وفى «شرح الصدور» (٢٧) إلى عبد بن حميد أيضًا، وقال: «سنده رجاله ثقات».

قلت: وهو عند عبد بن حميد فى «التفسير»، كما صرح به الزبيدى فى «إتحاف السادة المتقين» (١٠/ ٤٠٢) وقال: «رجاله ثقات».

www.ibtesama.com

• دواهى الموت ثلاثة •

الأولى: شدة النزع كما ذكرناه.

الداهية الثانية: مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الروع والخوف منه على القلب؛ فلو رأى صورته التى يقبض عليها روح العبد المذنب أعظم الرجال قوة لم يطق رؤيته. فقد رُوى عن إبراهيم الخليل عليه السلام أنه قال لملك الموت: هل تستطيع أن ترينى صورتك التى تقبض عليها روح الفاجر؟ قال: لا تطيق ذلك، قال بلى قال: فأعرض عنى..... فأعرض عنه. ثم التفت فإذا هو برجل أسود قائم الشعر، منتن الريح، أسود الثياب، يخرج من فيه ومناخيره لهيب النار والدخان، فُغشى على إبراهيم عليه السلام. ثم أفاق وقد عاد ملك الموت إلى صورته الأولى فقال: يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر عند الموت إلا صورة وجهك لكان حسبه (أى يكفيه)، وروى أبو هريرة عن النبى ﷺ: «إن داود عليه السلام كان رجلاً غيوراً وكان إذا خرج أغلق الأبواب، فأغلق ذات يوم وخرج فأشرفت امرأته فإذا هى برجل فى الدار فقالت: من أدخل هذا الرجل لئن جاء داود ليلقين منه عناء؟ فجاء داود فرآه فقال: من أنت؟ فقال: أنا الذى لا أهاب الملوك ولا يمنع منى الحجاب، فقال: فأنت واللّه إذن ملك الموت ولزم داود عليه السلام مكانه»(١).

وروى أنّ عيسى عليه السلام مرَّ بجمجمة فضربها برجله فقال: تكلمى بإذن اللّه فقالت: يا روح اللّه أنا ملك زمان كذا وكذا وبينا أنا جالس فى ملكى على تاجى وحولى جنودى وحشمى على سرير مُلكى، إذ بدا لى ملك الموت فزال منى كل عضو على حياله، ثم، خرجت نفسى إليه، فيا ليت ما كان من تلك الجموع كان فرقة! ويا ليت ما كان من ذلك الأنس كان وحشة(٢).

فهذه داهية يلقاها العصاة ويُكفاها المطيعون، فقد حكى الأنبياء مجرد سكرة النزع دون الروعة التى يدركها من يشاهد صورة ملك الموت كذلك، ولو رآها فى منامه ليلة لتنغص عليه بقية عمره! فكيف برؤيته فى مثل تلك الحال؟.

وأما المطيع فإنه يراه فى أحسن صورة وأجملها، فقد روى عكرمة عن ابن عباس أن إبراهيم عليه السلام كان رجلاً غيوراً وكان له بيت يتعبد فيه، فإذا خرج أغلقه، فرجع

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٤١٩) باسناد جيد نحوه ـ وابن أبى الدنيا فى كتاب الموت بلفظه.

(٢) ذكرها الغزالى فى الإحياء (٤/ ٤٦٤) وصدّرها بصيغة التضعيف: رُوى. ولم يذكر لها سنداً.

www.ibtesama.com

ذات يوم فدخل فإذا برجلٍ فى جوف البيت فقال: من أدخلك دارى؟ فقال: أدخلنيها ربها! فقال: أنا ربها. فقال: أدخلنيها من هو أملك بها منى ومنك، فقال: هل أنت من الملائكة ؟ قال: أنا ملك الموت قال: هل تستطيع أن ترينى الصورة التى تقبض فيها روح المؤمن؟ قال: نعم، فأعرِض عنى، فأعرض ثم التفت فإذا هو بشاب فذكر من حسن وجهه وحسن ثيابه وطيب ريحه، فقال: يا ملك الموت، لو لم يلق المؤمن عند الموت إلا صورتك كان حسبه (يكفيه).

ومنه مشاهدة الملكين الحافظين. قال وهيب: بلغنا أنه ما من ميت يموت حتى يتراءى له ملكاه الكاتبان عمله، فإن كان مطيعًا قالا له: جزاك اللّه عنا خيرًا فرب مجلس صدق أجلستنا وعمل صالح أحضرتنا، وإن كان فاجرًا قالا له: لا جزاك اللّه عنا خيرًا فرب مجلس سوء أجلستنا وعمل غير صالح أحضرتنا وكلام قبيح أسمعتنا فلا جزاك اللّه عنا خيرًا. فذلك شخوص بصر الميت إليهما ولا يرجع إلى الدنيا أبدًا. فو اللّه يا أخى. إنها اللحظة الحاسمة فى حياة المؤمن والكافر.

إنها اللحظة التى يسمع فيها النداء الذى يبشره بالرحمة أو النداء الذى يتوعده بالعذاب.

ولك أن تتخيل أيها الحبيب أن ملك الموت قد دخل عليك الآن وسينادى عليك ويقول. «يا أيتها النفس الـ .....». وأنت بين تلك الكربات وتلك الحسرات تسأل نفسك يا تُرى بأى نداء سوف يُنادى علىَّ؟ هل سيقول يا أيتها النفس المطمئنة اخرجى إلى مغفرة من اللّه ورضوان ؟! أم سينادى ويقول يا أيتها النفس الخبيثة اخرجى إلى سخط من اللّه وغضب؟!.

فإذا جاءك النداء الأول: (يا أيتها النفس المطمئنة اخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان) فذاك هو الفوز الذى لا فوز بعده، وتلك هى البشرى التى لا تدانيها الدنيا بما عليها.

وأما إن جاءك النداء الثانى عياذًا بالله (أيتها النفس الخبيثة اخرجى إلى سخط من الله وغضب)، فتلك هى الحسرة التى لا حسرة تدانيها فى هذه الدنيا.. إنه الوعيد والعذاب الذى لا ينتهى أبدًا.

ذُكر فى بعض الأخبار أن الميت ينادى عليه إذا وُضع على المغتسل: أين لسانك الفصيح ما أسكتك؟ أين صوتك الشجى ما أخرسك؟ أين ريحك العطر ما أنتنك؟ أين

www.ibtesama.com

حركاتك ما أسكنك؟ أين أموالك الكثيرة ما أفقرك؟ الويل لك إن كنت عاصيا، والبشرى لك إن كنت طائعا، وتناديه الملائكه إذا وضع فى القبر: يا عبد الله أنت تركت الدنيا أم الدنيا تركتك؟ أنت جمعت الدنيا أم الدنيا جمعتك؟

عباد الله لا تغفلوا عن ذكر الموت، وتفكروا فيه قبل الفوت، فوالله ما بين أحدكم وبين طول الأسف، والندامة على ما قد سلف، إلا أن تنزل به المنية، غدوة أو عشية، فعظ نفسك قبل حلول الرزية.....، ولقد قيل فى قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ (المنافقون:١٠).

قيل: الأجل القريب عند كشف الغطاء، يقول العبد عند الموت: يا ملك الموت أخرنى يوما أعمل فيه صالحا لنفسى، فيقول ملك الموت: فنيت الأيام فلا يوم، فيقول أخرنى ساعة، فيقول: فنيت الساعات فلا ساعة، فيقول: اتركنى أتكلم، فيقول فرغ كلامك فلا كلام، فتبلغ الروح الحلقوم فيؤخذ بكظمه فتقطع الأوقات والأعمال ويبقى عدد الأنفاس ليشهد فيها المعاينة عند كشف الغطاء فيحتد بصره فإذا كان فى آخر نفس زهقت نفسه فيدركه ما سبقت له من شقاوة أو سعادة.

أما عن **الداهية الثالثة** فهى مشاهدة العُصاة مواضعهم من النار وخوفهم قبل المشاهدة؛ فإنهم فى حال السكرات قد تخاذلت قواهم واستسلمت للخروج أرواحهم، ولن تخرج أرواحهم ما لم يسمعوا نغمة ملك الموت بإحدى البشريين: إما أبشر يا عدوّ الله بالنار، أو أبشر يا ولى الله بالجنة، ومن هنا كان خوف أرباب الألباب.

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه» فقلت: يا نبى الله: أكراهية الموت؟ فكلنا يكره الموت. قال: «ليس كذلك ولكن المؤمن إذا بُشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحب لقاء الله فأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا بُشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله وكره الله لقاءه»(١).

• أتدرى ماذا يقول النعش •

دخل بهاء الدين السبكى على الشيخ برهان الدين الإبناسى يعوده ـ يزوره ـ وكان تجاههما نعش، فنظر السبكى إلى النعش، ثم قال للإبناسى: يا شيخ برهان الدين: أتدرى

(١) أخرجه مسلم عن عائشة ـ باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ـ كتاب الجنائز.

www.ibtesama.com

ما يقول هذا النعش؟ فقال إنه يقول:

انْظُرْ إلىَّ بعَقْلكْ أَنَا المُعَدُّ لحَمْلكْ

أَنَا سَرِيرُ المَنَايَا كَمْ سارَ مِثْلِى بِمِثْلِكْ[1]

• بعض القصص الذى يبين لنا مشاهد الحسرة والفرحة عند لقاء الموت •

قال أشعث بن أسلم: سأل إبراهيم عليه السلام ملك الموت ـ واسمه عزرائيل وله عينان، عين فى وجهه وعين فى قفاه ـ فقال: يا ملك الموت ما تصنع. إذا كان نفس بالمشرق ونفس بالمغرب ووقع الوباء بأرض والتقى الزحفان كيف تصنع؟ قال: أدعو الأرواح بإذن الله فتكون بين أصبعى هاتين.

وقال سليمان بن داود عليهما السلام لملك الموت عليه السلام: ما لى أراك لا تعدل بين الناس تأخذ هذا وتدع هذا؟ قال: ما أنا بذلك بأعلم منك! إنما هى صحف أو كتب تُلقَى إلىّ فيها أسماء،..... وقال وهب بن منبه كان ملك من الملوك أراد أن يركب إلى أرض، فدعا بثياب ليلبسها فلم تعجبه فطلب غيرها حتى لبس ما أعجبه ـ بعد مرات ـ وطلب دابة فأتى بها فلم تعجبه، حتى أتى بدواب فركب أحسنها؛ فجاء إبليس فنفخ فى منخره نفخة فملأه كبرًا. ثم سار وسارت معه الخيول وهو لا ينظر إلى الناس كبرًا فجاءه رجل رث الهيئة فسلم عليه فلم يرد عليه السلام، فأخذ بلجام دابته فقال: أرسل اللجام فقد تعاطيت أمرًا عظيمًا! قال: إن لى إليك حاجة قال: اصبر حتى أنزل قال: لا الآن، فقهره على لجام دابته فقال اذكرها! قال، هو سر، فأدنى له رأسه فسارّه وقال، أنا ملك الموت! فتغير لون الملك واضطرب لسانه ثم قال: دعنى حتى أرجع إلى أهلى وأقضى حاجتى وأودعهم، قال لا والله لا ترى أهلك وثقلك أبدًا! فقبض روحه فخرّ كأنه خشبة، ثم مضى ـ ملك الموت ـ فلقى عبدًا مؤمنًا فى تلك الحال فسلم عليه فرد عليه السلام فقال: إن لى إليك حاجة أذكرها فى أذنك فقال هات.... فسارّه وقال أنا ملك الموت! فقال: أهلاً وسهلاً بمن طالت غيبته علىَّ فوالله ما كان فى الأرض غائب أحب إلىَّ أن ألقاه منك! فقال ملك الموت! اقض حاجتك التى خرجت لها، فقال ما لى حاجة أكبر عندى ولا أحب من لقاء الله تعالى! قال فاختر على أى حال شئت أن أقبض

(١) المنهل الصافى (١/ ٤١٣).

www.ibtesama.com

روحك! فقال: تقدر على ذلك؟ قال نعم إنى أُمرت بذلك، قال: فدعنى حتى أتوضأ وأصلى ثم اقبض روحى وأنا ساجد، فقبض روحه وهو ساجد.

قال عطاء بن يسار: إذا كانت ليلة النصف من شعبان دُفع إلى ملك الموت صحيفة فيقال: اقبض فى هذه السنة من فى هذه الصحيفة قال: فإن العبد ليغرس الغراس وينكح الأزواج ويبنى البنيان، وإن اسمه فى تلك الصحيفة وهو لا يدرى.

وقال الحسن: ما من يوم إلا وملك الموت يتصفح كل بيت ثلاث مرات فمن وجده منهم قد استوفى رزقه وانقضى أجله قبض روحه، فإذا قبض روحه أقبل أهله برنّة وبكاء، فيأخذ ملك الموت بعضادتى الباب فيقول: والله ما أكلت له رزقًا ولا أفنيت له عمرًا، ولا انتقصت له أجلاً، وإن لى فيكم لعودة بعد عودة حتى لا أبقى منكم أحدا. قال الحسن فوالله لو يرون مقامه ويسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم ولبكوا على أنفسهم.

وعن الأعمش عن خيثمة قال: دخل ملك الموت على سليمان بن داود عليه السلام فجعل ينظر إلى رجل من جُلسائه يديم النظر إليه، فلما خرج قال الرجل: من هذا؟ قال: هذا ملك الموت، قال: لقد رأيته ينظر إلىَّ كأنه يريدنى قال: فماذا تريد؟ قال أريد أن تخلصنى منه فتأمر الريح حتى تحملنى إلى أقصى الهند! ففعلت الريح ذلك، ثم قال سليمان لملك الموت بعد أن أتاه ثانية: رأيتك تديم النظر إلى واحد من جلسائى قال: نعم كنت أتعجب منه لأنى كنت أُمرت أن أقبضه بأقصى الهند فى ساعة قريبة وكان عندك فعجبت من ذلك[1]!

فيا أخى الحبيب ألا تغتنم العمر فى طاعة الله جل وعلا قبل أن تسمع هذا النداء الذى يقرع القلوب والأسماع.

أيا عبدُ كم يراك الله عاصيا ... حريصًا على الدنيا وللموت ناسيا

أنسيت لقاء الله واللحد والثرى ... ويومًا عبوسًا تشيب فيه النواصيا

لو أن المرء لم يلبس ثيابًا من التُقى ... تجرد عُريانًا ولو كان كاسيا

ولو أن الدنيا تدوم لأهلها ... لكان رسول الله حيًا وباقيا

لكنها تفنى ويفنى نعيمُها ... وتبقى الذنوب والمعاصى كما هى

فهذه الدنيا التى تحرص على جمعها وتبذل الأوقات والساعات فى سبيل جمع

(١) إحياء علوم الدين للإمام الغزالى جـ٥ ـ باب فى سكرات الموت وشدته ـ صـ ١٣٩: ١٤٩ بتصرف.

www.ibtesama.com

حُطامها لو عُرضت عليك (بكل ما فيها من ذهب وفضة وقصور وأنهار وأشجار) عند الموت لقلت بلسان الحال والمقال لا أريد إلا رحمة الله عز وجل، ولا أريد إلا النجاة من عذاب الله جل وعلا.

فإن كان الأمر كذلك فكيف تحرص على جزء يسير من الدنيا التى لو عُرضت عليك عند الموت بأكملها لأعرضت عنها!!!

• كلام المحتضرين من الخلفاء والأمراء والصالحين •

لما حضرت عبد الملك بن مروان الوفاة نظر إلى غسّال بجانب دمشق يلوى ثوبًا بيده ثم يضرب به المغسلة، فقال عبد الملك: ليتنى كنت غسالاً آكل من كسب يدى يومًا بيوم ولم آل من أمر الدنيا شيئًا، فبلغ ذلك أبا حازم فقال: الحمد لله الذى جعلهم إذا حضرهم الموت يتمنون ما نحن فيه، وإذا حضرنا الموت لم نتمنّ ما هم فيه..... وقيل لعبد الملك بن مروان فى مرضه الذى مات فيه: كيف تجدك يا أمير المؤمنين؟ قال: أجدنى كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾ (الأنعام:٩٤) . ثم مات.

وقالت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان ـ امرأة عمر بن عبد العزيز ـ: كنت أسمع عمر فى مرضه الذى مات فيه يقول: اللهم أخف عليهم موتى ولو ساعة من نهار. فلما كان اليوم الذى قُبض فيه خرجت من عنده فجلست فى بيت آخر ـ بينى وبينه باب وهو فى قبة له ـ فسمعته يقول: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (القصص:٨٣).

ثم هدأ فجعلت لا أسمع حركة ولا كلامًا فقلت لوصيفٍ له: انظر أنائم هو؟ فلما دخل صاح، فوثبت فإذا هو ميت.

وروى أنه لما ثقل عمر بن عبد العزيز دعى له طبيب فلما نظر إليه قال: أرى الرجل قد سُقى السم ولا آمن عليه الموت فرفع عمر بصره وقال: ولا تأمن الموت أيضًا على من لم يُسق السم! قال الطبيب: هل أحسست بذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: نعم قد عرفت ذلك حين وقع فى بطنى قال: فتعالج يا أمير المؤمنين فإنى أخاف أن تذهب نفسك، قال: ربى خير مذهوب إليه، والله لو علمت أن شفائى عند شحمة أذنى ما رفعت يدى إلى أذنى فتناولته. اللهم خر لعمر فى لقائك فلم يلبث إلا أيامًا حتى مات.... وقيل لما حضرته

www.ibtesama.com

الوفاة: بكى فقيل له: ما يبكيك يا أمير المؤمنين؟ أبشر فقد أحيا الله بك سننًا وأظهر بك عدلاً! فبكى ثم قال: أليس أوقف فأُسأل عن أمر هذا الخلق، فوالله لو عدلت فيهم لخفت على نفسى أن لا تقوم بحجتها بين يدى الله إلا أن يلقنها الله حجتها، فكيف بكثير مما ضيعنا؟ وفاضت عيناه، فلم يلبث إلا يسيرًا حتى مات: ولما قرب وقت موته قال: أجلسونى! فأجلسوه فقال: أنا الذى أمرتنى فقصرت ونهيتنى فعصيت ـ ثلاث مرات ـ ولكن لا إله إلا الله، ثم رفع رأسه فأحدّ النظر فقيل له فى ذلك فقال: إنى لأرى حضرة؛ ما هم بإنس ولا جن ثم قُبض رحمه الله.

وحُكى عن هارون الرشيد أنه انتقى أكفانه بيده عند الموت، وكان ينظر إليها ويقول ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ (الحاقة:٢٨، ٢٩).

وفرش المأمون رمادًا واضطجع عليه وكان يقول: يا من لا يزول ملكه ارحم من قد زال ملكه.

ولما حضرت معاذا رضى الله عنه الوفاة قال: اللهم إنى كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك، اللهم إنك تعلم أنى لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لجرى الأنهار ولا لغرس الأشجار، ولكن لظمأ الهواجر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالرُكب عند حلق الذكر. ولما اشتد به النزع ونزع نزعًا لم ينزعه أحد كان كلما أفاق من غمرة فتح طرفه ثم قال رب ما أخنقنى خنقك فرعزتك إنك تعلم أن قلبى يحبك.

ولما حضرت سلمان الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك؟ قال: ما أبكى جزعًا على الدنيا، ولكن عهد إلينا رسول الله ﷺ أن يكون زاد أحدنا من الدنيا كزاد الراكب. فلما مات سلمان نظروا فى جميع ما ترك فإذا قيمته بضعة عشر درهمًا.

ولما حضرت بلالاً الوفاة قالت امرأته: واحزناه فقال: بل واطرباه! غدًا نلقى الأحبة محمدًا وحزبه.

وقيل: فتح عبد الله بن المبارك عينه عند الوفاة وضحك وقال: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾ (الصافات:٦١).

ولما حضرت إبراهيم النخعى الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك؟ قال: أنتظر من الله رسولاً يبشرنى بالجنة أو بالنار.

ولما حضرت ابن المنكدر الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك؟ فقال: والله ما أبكى لذنب

www.ibtesama.com

أعلم أنى أتيته؛ ولكن أخاف أنى أتيت شيئًا حسبته هينًا وهو عند الله عظيم..... ولما حضرت عامر بن عبد القيس الوفاة بكى فقيل له ما يبكيك؟ قال ما أبكى جزعًا من الموت ولا حرصًا على الدنيا، ولكن أبكى على ما يفوتنى من ظمأ الهواجر وعلى قيام الليل فى الشتاء.

* ولقد وعظ الله تعالى رسوله ﷺ بالموت فقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ (الزمر: ٣٠).

قال رسول الله ﷺ: «أتانى جبريل، فقال: يا محمد، عش ما شئت. فإنك ميت. وأحبب من شئت فإنك مفارقه، واعمل ما شئت فإنك مجزى به. واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل، وعزَّه استغناؤه عن الناس»(١).

* وقال على بن أبى طالب رضى الله عنه: «ارتحلت الدنيا مدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلة، ولكل واحدة بنون، فكونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن اليوم عمل ولا حساب وغدًا حساب ولا عمل».

• تخيير الأنبياء عند الموت •

وهذا أمرٌ خاص بالأنبياء والرسل ـ صلوات ربى وسلامه عليهم ـ لا يشاركهم فيه أحدٌ من البشر.

عن عائشة رضى الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يقول وهو صحيح: «إنه لم يُقبض نبى قط حتى يرى مقعده من الجنة، ثم يخيّر»، فلما نزل به ورأسه على فخذى غشى عليه ساعة، ثم أفاق، فأشخص بصره إلى السقف، ثم قال: «اللَّهم الرفيق الأعلى»، قلت: إذن لا يختارنا، وعرفت أنه الحديث الذى كان يحدثنا به، قالت: «فكانت تلك آخر كلمة تكلم بها النبى ﷺ قوله: «اللَّهم فى الرفيق الأعلى»(٢) وجاء فى إحدى رواياته(٣): «فسمعت النبى ﷺ فى مرضه الذى مات فيه: وأخذته بُحةٌ يقول:

(١) رواه الشيرازى فى الألقاب والحاكم والبيهقى وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٣).

(٢) رواه البخارى فى كتاب الرقاق: باب من أحب لقاء الله، «فتح البارى» (١١/ ٣٥٧)، وقد أخرجه أيضًا مسلم فى «صحيحه»، ومالك فى «موطئه»، والترمذى فى «سننه»، وقد ساق روايات الحديث عن عائشة ابن الأثير فى «جامع الأصول» (١١/ ٦٧).

(٣) وهى عند جميعهم.

www.ibtesama.com

﴿مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء:٦٩)، قالت: فظننت أنه خُيِّر يومئذ».

* وروى الشيخان عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال خطب رسول الله ﷺ الناس وقال: «إن الله خيّر عبدًا بين الدنيا وبين ما عنده، فاختار ذلك العبد ما عند الله!»، قال: فبكى أبو بكر، فعجبنا لبكائه أن يُخبر رسول الله ﷺ عن عبد خُيِّر، فكان رسول الله ﷺ هو المخيَّر، وكان أبو بكر أعلمنا».

يخيّر الأنبياء بين البقاء فى الدنيا والانتقال إلى ذلك المقام، ولا شك أن كل رسول يفضل النعيم المقيم على الدنيا وما فيها.

• شبهة... والرد عليها •

* عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «أُرسل[١] ملك الموت إلى موسى عليهما السلام، فلما جاءه صكَّه، فرجع إلى ربه، فقال: أرسلتنى إلى عبد لا يريد الموت[٢]. قال: ارجع إليه فقل له: يضع يده على متن ثور، فله بما غطىّ يده بكلّ شعرة سنة. قال: أى رب، ثم ماذا؟ قال: ثم الموت. قال: فالآن. قال: فسأل الله أن يدنيه من الأرض المقدسة رمْية بحجر.

قال أبو هريرة رضى الله عنه: فقال رسول الله ﷺ: «لو كنتُ ثمَّ لأريتكم قبره إلى جانب الطريق تحت الكثيب الأحمر»[٣].

* قال ابن حجر فى «الفتح»[٤]: «قال ابن خزيمة: أنكر بعض المبتدعة هذا الحديث، وقالوا: إن كان موسى عرفه فقد استخف به، وإن كان لم يعرفه فكيف لم يقتص له من فقء عينه؟ والجواب أن الله لم يبعث ملك الموت لموسى وهو يريد قبض روحه حينئذ، وإنما بعثه إليه اختباراً وإنما لطم موسى ملك الموت؛ لأنه رأى آدميًا دخل داره بغير إذنه ولم يعلم أنه ملك الموت، وقد أباح الشارع فقء عين الناظر فى دار المسلم بغير إذن، وقد

(١) عند أحمد، ومسلم: «جاء ملك الموت إلى موسى فقال: أجب ربك فلطم موسى عين ملك الموت ففقأها» وعند الطبرى: «كان ملك الموت يأتى الناس عيانًا، فأتى موسى فلطمه ففقأ عينه».

(٢) زاد همام: «وقد فقأ عينه، فرّد الله عليه عينه» وفى رواية: «فقال: يا رب عبدك موسى فقأ عينى، ولولا كرامته عليك لشققت عليه».

(٣) أخرجه البخارى ومسلم وأحمد والطبرى.

(٤) فتح البارى (٦/ ٥١٠).

www.ibtesama.com

جاءت الملائكة إلى إبراهيم وإلى لوط فى صورة آدميين فلم يعرفاهم ابتداء، ولو عرفهم إبراهيم لما قدّم لها المأكول، ولو عرفهم لوط لما خاف عليهم من قومه.

وعلى تقدير أن يكون عرفه فمن أين لهذا المبتدع مشروعية القصاص بين الملائكة والبشر؟ ثم من أين له أن ملك الموت طلب القصاص من موسى فلم يقتص له؟ ولخص الخطابى كلام ابن خزيمة وزاد فيه أن موسى دفعه عن نفسه لما رُكِّب فيه من الحدة وأن الله ردّ عين ملك الموت ليعلم موسى أنه جاءه من عند الله؛ فلهذا استسلم حينئذ.

وقال النووى: لا يمتنع أن يأذن الله لموسى فى هذه اللطمة امتحانًا للملطوم. وقال غيره: إنما لطمه؛ لأنه جاء لقبض روحه من قبل أن يخيره، لما ثبت أنه لم يُقبض نبى حتى يخيّر، فلهذا لما خيّره فى المرة الثانية أذعن، قيل: وهذا أولى الأقوال بالصواب، وفيه نظر؛ لأنه يعود أصل السؤال فيُقال: لم أقدم ملك الموت على قبض نبى الله وأخلّ بالشرط؟ فيعود الجواب أن ذلك وقع امتحانًا».

* وهناك شُبهة أخرى ألا وهى: أن بعض المبتدعة يقولون: إن ملك الموت (عليه السلام) قال لله (عز وجل): أرسلتنى إلى عبد لا يريد الموت.... فيعقبون على ذلك ويقولون: وهل هناك رسولٌ أو حتى عبدٌ صالح يكره الموت؟.

والجواب: أجل إن العبد الصالح يكره الموت ـ لكنه لا يكره لقاء الله ـ إنما يكره الموت لأنه يحول بينه وبين العمل الصالح والتزود للآخرة.... والدليل على ذلك هذا الحديث:

فإن النبى ﷺ لما قال: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه» قالت عائشة (رضى الله عنها): إنا لنكره الموت.... الحديث[1].

فلم يُنكر عليها النبى ﷺ مقالتها ولو كان ذلك فيه مخالفة لأنكر عليها النبى ﷺ.

• إنك ميت وإنهم ميتون •

قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ (الرحمن:٢٦:٢٧).

وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (القصص:٨٨).

وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾ (آل عمران:١٨٥).

(١) رواه البخارى (٦٥٠٧)، ومسلم (٢٦٨٣)، والترمذى (١٠٦٧)، والنسائى (١٨٣٤).

www.ibtesama.com

وقال تعالى لحبيبه ﷺ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ (الأنبياء:٣٤).

فالموت حق على الإنس والجن لا ينجو منه أحدٌ ولو نجا منه أحدٌ لنجا منه سيد الأولين والآخرين محمد بن عبد الله ﷺ.

وفى الصحيح عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال ﷺ: «أعوذ بعزتك الذى لا إله إلا أنت الذى لا يموت والإنس والجن يموتون»

وعن أنس قال: لما ثقل النبى ﷺ جعل يتغشاه، فقالت فاطمة عليها السلام: واكرب أبتاه، فقال لها: ليس على أبيك كرب بعد اليوم، فلما مات قالت: يا أبتاه أجاب ربًا دعاه، يا أبتاه من جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه، فلما دُفن قالت فاطمة عليها السلام: يا أنس أطابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب»[(١)].

* وعن أنس رضى الله عنه قال: «لما قالت فاطمة ذلك، يعنى لما وجد رسول الله ﷺ من كرب الموت ما وجد، قالت فاطمة: واكرباه، قال رسول الله ﷺ: «يا بُنية! إنه قد حضر بأبيك ما ليس الله بتاركٍ منه أحداً لموافاة يوم القيامة»[(٢)].

وعن عائشة رضى الله عنها قالت: إن رسول الله ﷺ مات، وأبو بكر بالسُّنح ـ قال إسماعيل: تعنى العالية ـ فقام عمر يقول: والله ما مات رسول الله ﷺ، قالت: وقال عمر: والله ما كان يقع فى نفسى إلا ذاك، وليبعثنه الله فيقطعنّ أيدى رجال وأرجلهم. فجاء أبو بكر فكشف عن رسول الله ﷺ فقبّله فقال: بأبى أنت طبت حيًا وميتًا والذى نفسى بيده لا يذيقك الله الموتتين أبدًا، ثم خرج، فقال: أيها الحالف على رسلك، فلما تكلم أبو بكر جلس عمر فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه وقال: ألا من كان يعبد محمداً ﷺ فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت. وقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ (الزمر:٣٠)، وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِى اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران:١٤٤) قال: فنشج الناس يبكون[(٣)].

(١) أخرجه البخارى (٧/ ٧٥٥) المغازى.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (٣/ ١٤١)، قال الشيخ الألبانى فى «السلسلة الصحيحة» رقم (١٧٣٨): «وهذا إسناد حسن».

(٣) أخرجه البخارى (٧/ ٢٣: ٢٤) فضائل الصحابة.

www.ibtesama.com

• إذا أراد الله بعبدٍ خيرًا استعمله •

قال ﷺ: «إذا أرادَ الله بعبد خيرًا استعملُه»، قيل: ما يستعملُه؟ قال: «يفتحُ لهُ عملاً صالحًا بين يدىْ موته حتَّى يرضَى عليه منْ حولهُ»(١).

وقال ﷺ: «إذا أرادَ الله بعبد خيرًا طهرهُ قبلَ موته» قالوا: وما طهورُ العبدِ؟ قال: عملٌ صالحٌ يلهمهُ إياهُ حتَّى يقبضهُ عليه»(٢).

وقال ﷺ: «إذا أرادَ الله بعبد خيرًا عَسَلَهُ، قيلَ: وما عسلهُ؟ قالَ: يفتحُ لهُ عملاً صالحًا قبلَ موته، ثم يقبضهُ عليه»(٣).

• وما كان لنفسٍ أن تموت إلا بإذن الله •

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلاً وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ الآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ (آل عمران:١٤٥).

إن لكل نفس كتابًا مؤجلاً إلى أجل مرسوم. ولن تموت نفس حتى تستوفى هذا الأجل المرسوم، فالخوف والهلع، والحرص والتخلف، لا تطيل أجلاً. والشجاعة والثبات والإقدام والوفاء لا تقصر عمرًا. فلا كان الجبن، ولا نامت أعين الجبناء. والأجل المكتوب لا ينقص منه يوم ولا يزيد!

بذلك تستقر حقيقة الأجل فى النفس، فتترك الاشتغال به، ولا تجعله فى الحساب، وهى تفكر فى الأداء والوفاء بالالتزامات والتكاليف الإيمانية. وبذلك تنطلق من عقال الشح والحرص، كما ترتفع على وهلة الخوف والفزع. وبذلك تستقيم على الطريق بكل تكاليفه وبكل التزاماته، فى صبر وطمأنينة، وتوكل على الله الذى يملك الآجال وحده.

ثم ينتقل بالنفس خطوة وراء هذه القضية التى حسم فيها القول.. فإنه إذا كان العمر مكتوبًا، والأجل مرسومًا.. فلتنظر نفس ما قدمت لغد؛ ولتنظر نفس ماذا تريد.. أتريد أن تقعد عن تكاليف الإيمان، وأن تحصر همها كله فى هذه الأرض، وأن تعيش لهذه الدنيا وحدها؟ أم تريد أن تتطلع إلى أفق أعلى، وإلى اهتمامات أرفع، وإلى حياة أكبر من هذه

(١) رواه أحمد والحاكم عن عمرو بن الحمق وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٠٤).
(٢) رواه الطبرانى فى الكبير عن أبى أمامة وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٠٦).
(٣) رواه أحمد والطبرانى فى الكبير عن أبى عنبة وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٠٧).

www.ibtesama.com

الحياة؟.. مع تساوى هذا الهم وذاك فيما يختص بالعمر والحياة؟!

«ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها. ومن يرد ثواب الآخرة نؤته منها».

وشتان بين حياة وحياة! وشتان بين اهتمام واهتمام! ـ مع اتحاد النتيجة بالقياس إلى العمر والأجل ـ والذى يعيش لهذه الأرض وحدها، ويريد ثواب الدنيا وحدها.. إنما يحيا حياة الديدان والدواب والأنعام! ثم يموت فى موعده المضروب بأجله المكتوب. والذى يتطلع إلى الأفق الآخر.. إنما يحيا حياة «الإنسان» الذى كرمه الله واستخلفه وأفرده بهذا المكان ثم يموت فى موعده المضروب بأجله المكتوب.. «وما كان لنفس أن تموت إلا بإذن الله كتابًا مؤجلاً»(١).

• وما تدرى نفس بأى أرض تموت •

ولا يعلم أى إنسان ـ مهما كانت منزلته ـ ميعاد موته فهذا من الغيب الذى استأثر الله بعلمه.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (لقمان:٣٤). وقال تعالى: ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾ (الأنعام:٥٩).

* قال ﷺ: «مفاتح الغيب خمس لا يعلمهن إلا الله ﴿إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ (٢).

وقال ﷺ: «إذا أراد الله قبض عبدٍ بأرضٍ جعل له فيها حاجة»(٣).

ولذلك فعلى العبد أن يجتهد دائمًا فى طاعة الله لأنه لا يعلم متى يموت.

* * *

(١) فى ظلال القرآن (١/ ٤٨٧).

(٢) أخرجه البخارى فى كتاب الاستسقاء وفى كتاب التفسير.

(٣) رواه الطبرانى فى الكبير وأحمد عن أبى هريرة وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣١١).

www.ibtesama.com

• ولن يؤخر الله نفسًا إذا جاء أجلها •

قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (الأعراف:٣٤).

وقال تعالى: ﴿نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ (الواقعة:٦٠).

وقال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَالِ هَؤُلاءِ الْقَوْمِ لا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ (النساء:٧٨).

وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلاً﴾ (آل عمران:١٤٥).

وقال تعالى: ﴿وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا﴾ (المنافقون:١١).

فكل إنسان له أجلٌ محدود لا يستطيع أن يتجاوزه بحال من الأحوال... فآجال العباد وأرزاقهم قد قدرها الله (عز وجل) قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة وجرى بذلك القلم في اللوح المحفوظ.

قال ﷺ: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وكان عرشه على الماء»(١).

* وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «وكّل الله بالرحم ملكًا، فيقول: أي رب نطفة، أي رب علقة، أي رب مضغة، فإذا أراد الله أن يقضي خلقها، قال: أي رب ذكر أم أنثى، أشقي أم سعيد؟ فما الرزق؟ فما الأجل؟ فيكتب كل ذلك في بطن أمه»(٢).

* وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «حدثنا رسول الله ﷺ - وهو الصادق المصدوق - قال: «إن أحدكم يُجمع في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك، ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح، ويؤمر بأربع كلمات: يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد...»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ٢٠٤٤/ ح ٢٦٥٣).

(٢) أخرجه البخاري (١١/ ٤٧٧) ومسلم (٤/ ٢٠٣٨/ ح ٢٦٤٦).

(٣) أخرجه البخاري ومسلم والسياق له.

www.ibtesama.com

وفى «صحيح مسلم» عن عبد الله بن مسعود قال: قالت أم حبيبة زوج النبى ﷺ، ورضى الله عنها: «اللَّهم أمتعنى بزوجى رسول الله، وبأبى أبى سفيان، وبأخى معاوية».

قال: فقال النبى ﷺ: «لقد سألت الله لآجال مضروبة، وأيام معدودة، وأرزاق مقسومة. لن يعجل شىء قبل أجله، ولن يؤخر الله شيئًا بعد أجله، ولو كنت سألت الله أن يعيذك من عذاب النار، وعذاب فى القبر كان خيرًا وأفضل»(١).

• وقفة لطيفة •

قال تعالى: ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (الرعد:٣٩).

وقال ﷺ: «من سرَّه أن يُبسط له فى رزقه ويُنسأ له فى أثره فليصل رحمه»(٢).

فهناك من يسأل ويقول: إذا كان الله (عز وجل) يعلم كل شىء فما معنى «يمحو الله ما يشاء ويُثبت».. بل كيف يزيد الرزق والعمر إذا كان ذلك قد كُتب فى اللوح المحفوظ.

قال الإمام النووى ـ رحمه الله ـ:

وبسط الرزق توسيعه وكثرته وقيل: البركة فيه وأما التأخير فى الأجل ففيه سؤال مشهور وهو أن الآجال والأرزاق مقدرة لا تزيد ولا تنقص (فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون) وأجاب العلماء بأجوبة الصحيح منها أن هذه الزيادة بالبركة فى عمره والتوفيق للطاعات وعمارة أوقاته بما ينفعه فى الآخرة وصيانتها عن الضياع فى غير ذلك، والثانى أنه بالنسبة إلى ما يظهر للملائكة وفى اللوح المحفوظ ونحو ذلك فيظهر لهم فى اللوح أن عمره ستون سنة إلا أن يصل رحمه فإن وصلها زيد له أربعون وقد علم الله سبحانه وتعالى ما سيقع له من ذلك وهو من معنى قوله تعالى (يمحو الله ما يشاء ويثبت) فيه النسبة إلى علم الله تعالى وما سبق به قدره. ولا زيادة بل هى مستحيلة وبالنسبة إلى ما ظهر للمخلوقين تتصور الزيادة وهو مراد الحديث والثالث أن المراد بقاء ذكره الجميل بعده فكأنه لم يمت حكاه القاضى وهو ضعيف أو باطل والله أعلم(٣).

---

(١) أخرجه مسلم فى كتاب القدر ـ وأحمد فى المسند (١/ ٣٩٠، ٤١٣).

(٢) أخرجه البخارى (٤/ ٣٠١) ومسلم (٢٥/ ١١٤).

(٣) مسلم بشرح النووى (١٦/ ١٧٢ ـ ١٧٣).

www.ibtesama.com

• وقال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -:

«الذى سبق فى علم الله لا يتغيّر ولا يتبدّل، والذى يجوز عليه التغيير والتبديل ما يبدو للناس من عمل العامل، ولا يبعد أن يتعلق ذلك بما فى علم الحفظة والموكلين بالآدمى، فيقع فيه المحو والإثبات، كالزيادة فى العمر والنقص، وأما ما فى علم الله فلا محو فيه ولا إثبات والعلم عند الله»[١].

• الذين تتوفاهم الملائكة طيبين •

عن محمد بن كعب القرظى قال: إذا استنقعت[٢] نفس العبد المؤمن جاءه ملك الموت فقال: السلام عليك يا ولى الله، الله يقرئك السلام، ثم نزع بهذه الآية ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (النحل:٣٢)[٣].

* عن جابر رضى الله عنه قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يُبعث كل عبد فى القبر على ما مات، المؤمن على إيمانه، والمنافق على نفاقه»[٤].

* قال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (النحل:٣٢).

طيبة نفوسهم بلقاء الله، معافين من الكرب وعذاب الموت، يقولون: سلام عليكم طمأنة لقلوبهم، وترحيبًا بقدومهم ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ تعجيلاً لهم بالبشرى، وهم على أعتاب الآخرة جزاءً وفاقًا على ما كانوا يعملون»[٥].

* قال علماء السلف: إن العبد المؤمن وهو يتقلّب فى نعيم الجنة لا ينسى طعم وحلاوة بشارة ملك الموت له عند خروج الروح... ونقيض ذلك للعاصى والكافر.

* وقال الفخر الرازى: ﴿طَيِّبِينَ﴾ كلمة مختصرة جامعة للمعانى الكثيرة، وذلك لأنه يدخل فيه إتيانهم بكل ما أُمروا، واجتنابهم عن كل ما نُهوا عنه، ويدخل فيه كونهم

---

(١) فتح البارى (١١/ ٤٨٨).

(٢) استنقعت: هدأت واطمأنت استعدادًا لخروج الروح.

(٣) خبر حسن: أخرجه ابن المبارك والبيهقى وأبو نعيم.

(٤) إسناده صحيح: رواه أحمد، وقال ابن كثير فى «التفسير» (٤/ ٤١٦): إسناد صحيح على شرط مسلم، ولم يخرّجاه.

(٥) «الظلال» (٤/ ٢١٦٩).

www.ibtesama.com

مبرئين من العوائق الجسمانية متوجهين إلى حضرة القدس والطهارة، ويدخل فيه أنه طاب لهم قبض الأرواح، وأنها لم تُقبض إلا مع البشارة بالجنة، حتى صاروا كأنهم مشاهدون لها وأكثر المفسرين على أن هذا التوفى هو قبض الأرواح[١].

* قال ابن كثير: أخبر تعالى عن حالهم عند الاحتضار أنهم طيّبون؛ أى: مخلّصون من الشرك والدنس وكل سوء»[٢].

* وعن البراء بن عازب فى قوله (تعالى) ﴿تحيتهم يوم يلقونه سلام﴾ فيسلم ملك الموت على المؤمن عند قبض روحه، لا يقبض روحه حتى يسلم عليه[٣].

• تردد الله (جل وعلا) فى قبض نفس المؤمن •

قال تعالى فى الحديث القدسى: (من عادى لى وليًا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلىّ عبدى بشىء أحبَ إلىَّ مما افترضته عليه، وما يزال عبدى يتقرب إلىَّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها، وإن سألنى لأعطينّه، وإن استعاذنى لأعيذّنه، وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته)[٤].

فانظر يا أخى إلى تلك المحبة التى تحدث بين الله وبين العبد، والسبب فى ذلك هو التقرب إلى الله بالنوافل التى هى سبب من أهم الأسباب التى تجلب محبة الله جل وعلا، ومن ثَم فإنك تتحصل على خيرى الدنيا والآخرة... كما قال الله تعالى: (كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يُبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها ولئن سألنى لأعطينه ولئن استعاذنى لأعيذنه).

بل إنه من تمام الموافقة بين الله وبين العبد أن الله جل وعلا يخبر أنه ما تردد فى شىء تردده عن نفس عبده المؤمن (أى عن قبض نفس عبده المؤمن)، كما ورد فى رواية أخرى: (وما ترددت عن شىء أنا فاعله ترددى عن قبض نفس المؤمن)... فلماذا؟ لأن العبد يكره الموت، والخالق جل وعلا يكره مساءته[٥].

---

(١) مفاتيح الغيب (٩/ ٥١٨).

(٢) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٨٧).

(٣) خبر حسن: أخرجه ابن أبى شيبة والبيهقى فى شُعب الإيمان.

(٤) أخرجه البخارى عن أبى هريرة ـ باب التواضع ـ كتاب الرقاق.

(٥) وأنذرهم يوم الحسرة/ للمصنف (ص: ١٥: ١٦).

www.ibtesama.com

• من مات فقد قامت قيامته •

قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «إن الله سبحانه وتعالى جعل لابن آدم معادين وبعثين يجزى فيهما للذين أساءوا بما عملوا ويجزى الذين أحسنوا بالحسنى.

فالبعث الأول: مفارقة الروح للبدن ومصيرها إلى دار الجزاء الأول.

والبعث الثانى: يوم يرد الله الأرواح إلى أجسادها، ويبعثها من قبورها إلى الجنة أو النار، وهو الحشر الثانى، ولهذا فى الحديث الصحيح: «وتؤمن بالبعث الآخر فإن البعث الأول لا ينكره أحد، وإن أنكر كثير من الناس الجزاء فيه والنعيم والعذاب».

* وقال أيضًا: «وقد ذكر سبحانه وتعالى هاتين القيامتين ـ وهما الصغرى والكبرى ـ فى سورة المؤمنين، وسورة الواقعة، وسورة القيامة، وسورة المطففين، وسورة الفجر وغيرها من السور. وقد اقتضى عدله وحكمته أن جعلها دارى جزاء المحسن والمسيء ولكن توفية الجزاء إنما يكون يوم المعاد الثانى فى دار القرار كما قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ (آل عمران:١٨٥)، وقد اقتضى عدله وأوجبت أسماؤه الحسنى وكماله المقدس تنعيم أبدان أوليائه وأرواحهم، وتعذيب أبدان أعدائه وأرواحهم، فلا بد أن يذيق بدن المطيع له وروحه من النعيم واللذة ما يليق به، ويذيق بدن الفاجر العاصى له وروحه من الألم والعقوبة ما يستحقه. هذا موجب عدله وحكمته وكماله المقدس» ا.هـ[1].

«فالقيامة الصغرى هى الموت، فكل من مات فقد قامت قيامته، وحان حينه، ففى «صحيح البخارى»، و«مسلم» عن عائشة قالت: كان رجال من الأعراب يأتون النبى ﷺ فيسألونه عن الساعة، فكان ينظر إلى أصغرهم فيقول: «إن يعش هذا، لا يدركه الهرم حتى تقوم عليكم ساعتكم»[2].

* قال ابن كثير: «والمراد انخرام قرنهم، ودخولهم فى عالم الآخرة، فإن كل من مات فقد دخل فى حكم الآخرة، وبعض الناس يقول: من مات فقد قامت قيامته، وهذا الكلام بهذا المعنى صحيح»[3].

---

(١) كتاب الروح (ص: ٩٩).

(٢) مشكاة المصابيح (٣/ ٤٨).

(٣) النهاية/ لابن كثير (١/ ٢٤).

www.ibtesama.com

• حضور الشيطان عند الموت •

إذا حضر الموت كان الشيطان حريصا على الإنسان حتى لا يفلت منه، ففى صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه، حتى يحضره عند طعامه، فإذا سقطت من أحدكم اللقمة، فليمط ما كان بها من أذى، ثم ليأكلها، ولا يدعها للشيطان، فإذا فرغ فليلعق أصابعه، فإنه لا يدرى فى أى طعامه تكون البركة»، وقد ذكر علماؤنا أن الشيطان يأتى الإنسان فى تلك اللحظات الحرجة فى صورة أبيه أو أمّه أو غيرهم ممن هو شفيق عليه ناصح له، ويدعوه إلى اتباع اليهودية أو النصرانية أو غيرها من المبادئ المعارضة للإسلام، فهناك يزيغ الله من كُتبت له الشقاوة[١]، وهو معنى قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ (آل عمران:٨).

وقد حدث عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل قال: حضرت وفاة أبى أحمد، وبيدى خرقة لأشد لحييه، فكان يغرق، ثم يفيق، ويقول بيده: لا بعد، لا بعد، فعل هذا مرارا، فقلت له: يا أبت أى شيء يبدو منك؟ فقال: إن الشيطان قائم بحذائى عاض على أنامله، يقول: يا أحمد فُتَّنى، وأنا أقول: لا بعد، لا بعد، حتى أموت[٢].

وقال القرطبى: سمعت شيخنا الإمام أبا العباس أحمد بن عمر القرطبى، يقول: حضرت أخا شيخنا أبى جعفر أحمد بن محمد القرطبى بقرطبة، وقد احتضر، فقيل له: قل لا إله إلا الله، فكان يقول: لا لا، فلما أفاق، ذكرنا له ذلك، فقال: أتانى شيطانان عن يمينى وعن شمالى، يقول أحدهما: مُت يهوديًا فإنه خير الأديان، والآخر يقول: مُت نصرانيًا فإنه خير الأديان، فكنت أقول لهما: لا لا..»[٣].

ولكن هذا ليس لازما لكل أحد كما يقول ابن تيمية، بل من الناس من تُعرض عليه الأديان قبل موته، ومنهم من لا تعرض عليه، وقد وقع ذلك لأقوام، وهذا كله من فتنة المحيا والممات التى أُمرنا أن نستعيذ منها فى صلاتنا[٤]، وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية

(١) التذكرة للقرطبى (ص: ٣٣).
(٢) التذكرة للقرطبى (ص: ٣٤).
(٣) التذكرة للقرطبى: (ص: ٣٤).
(٤) مجموع الفتاوى: (٤/ ٢٥٥)

www.ibtesama.com

أن الشيطان أحرص ما يكون على إغواء الإنسان وقت موته، لأنه وقت الحاجة، واستدل بالحديث الذى فى الصحيح: «الأعمال بخواتيمها»، وقال ﷺ: «إن العبد ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن العبد ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة، فيدخلها»، ولهذا روى: «أن الشيطان أشد ما يكون على ابن آدم حين الموت، يقول لأعوانه: دونكم هذا فإنه إن فاتكم لن تظفروا به أبدا»[١].

• إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا •

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ (فصلت:٣٠:٣٢).

* يقول تعالى: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾ أى أخلصوا العقيدة والعمل لوجه الله تعالى على ما شرع سبحانه وتعالى لهم وبقوا على ذلك حتى لقوا الله. كما روى الحافظ أبو يعلى الموصلى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال: [قرأ علينا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾ قد قالها ناس ثم كفر أكثرهم فمن قالها حتى يموت فقد استقام عليها].

وعن سعيد بن عمران قال: قرأت عند أبى بكر الصديق رضى الله عنه هذه الآية... قال (هم الذين لم يشركوا بالله شيئًا) وعن ابن أبى حاتم بسنده عن عكرمه قال سُئل ابن عباس رضى الله عنهما: أى آية فى كتاب الله تبارك وتعالى أرخص؟ قال قوله تعالى: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾ على شهادة أن لا إله إلا الله)... وعن ابن عباس رضى الله عنهما: ﴿قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾ على أداء فرائضه.

وروى مسلم فى صحيحه والنسائى عن سفيان بن عبد الله الثقفى قال [قلت يا رسول الله قل لى فى الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا بعدك قال ﷺ: «قل آمنت بالله ثم استقم» قلت يا رسول الله: ما أكثر ما تخاف على؟ فأخذ رسول الله ﷺ بطرف لسان نفسه ثم قال: «هذا»].

---

(١) مجموع الفتاوى: (٤/ ٣٥٦). نقلاً من القيامة الصغرى (ص: ٢٩: ٣٠).

www.ibtesama.com

وقوله تعالى: ﴿تتنزل عليهم الملائكة﴾ قال مجاهد وغيره: يعنى عند الموت قائلين: ﴿أن لا تخافوا﴾ قال مجاهد وعكرمة وزيد بن أسلم أى مما تقدمون عليه من أمر الآخرة ﴿ولا تحزنوا﴾ على ما خلفتموه من أمر الدنيا ﴿وأبشروا بالجنة التى كنتم توعدون﴾ فيبشرونهم بذهاب الشر وحصول الخير، وهذا كما جاء فى حديث البراء رضى الله عنه قال [إن الملائكة تقول لروح المؤمن أخرجى أيتها الروح الطيبة، فى الجسد الطيب: كنت تعمرينه أخرجى إلى روح وريحان ورب غير غضبان] وقال زيد بن أسلم: يبشرونه عند موته وفى قبره وحين يبعث.... وهذا القول يجمع الأقوال كلها وهو حسن جداً وهو الواقع.

وقوله تبارك وتعالى: ﴿نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة﴾ أى تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار كنا أولياءكم أى قرناءكم فى الحياة الدنيا نسددكم ونوفقكم ونحفظكم بأمر الله، وكذلك نكون معكم فى الآخرة نؤنس منكم الوحشة فى القبور، وعند النفخة فى الصور ونؤمّنكم يوم البعث والنشور، ونجاوز بكم الصراط المستقيم، ونوصلكم إلى جنات النعيم، ﴿ولكم فيها ما تشتهى أنفسكم﴾ أى فى الجنة من جميع ما تختارون مما تشتهيه النفوس وتقر به العيون ﴿ولكم فيها ما تدّعون﴾ أى مهما طلبتم وجدتم، وحضر بين أيديكم كما اخترتم ﴿نزلاً من غفور رحيم﴾ أى ضيافةً، وعطاءً، وإنعامًا من غفور لذنوبكم رحيم رؤوف حيث غفر وستر ورحم ولطف[1].

• رحلة أرواح المؤمنين وأرواح الكافرين •

* عن البراء بن عازب قال: «خرجنا مع النبى ﷺ فى جنازة رجل من الأنصار، فانتهينا إلى القبر ولما يلحد، فجلس رسول الله ﷺ مُستقبل القبلة، وجلسنا حوله، وكأن على رؤوسنا الطير، وفى يده عودٌ ينكتُ فى الأرض، فجعل ينظرُ إلى السماء، وينظرُ إلى الأرض، وجعل يرفعُ بصرهُ ويخفضهُ، ثلاثًا، فقال: «استعيذوا بالله من عذاب القبر» ـ مرتين أو ثلاثًا ـ، ثم قال: «اللَّهم إنى أعوذُ بك من عذاب القبر» ـ ثلاثًا ـ ثم قال:

«إن العبد المؤمن إذا كان فى انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكةٌ من السماء، بيضُ الوجوه، كأن وجوههم الشمسُ، معهم كفنٌ من أكفان الجنة، وحَنُوطٌ[2]

(١) مختصر تفسير ابن كثير (٤/ ١٠٠: ١٠١).

(٢) «بفتح المهملة: ما يُخلط من الطيب لأكفان الموتى وأجسامهم خاصة.

www.ibtesama.com

من حَنُوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملكُ الموت عليه السلام[١] حتى يجلس عند رأسه فيقولُ: أيتُها النفس الطيبةُ ـ وفى رواية: المطمئنة ـ اخرُجى إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرجُ تسيلُ كما تسيل القطرةُ من فِى السقاء، فيأخذُها،ـ وفى رواية ـ: (حتى إذا خَرجت روحهُ صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض، وكلُّ ملك فى السماء، وفُتحت له أبوابُ السماء، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله أن يُعرج بروحه من قبلهم)، فإذا أخذها لم يدعُوها فى يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن، وفى ذلك الحنُوط، فذلك قوله تعالى: ﴿تَوفَّتْهُ رُسُلنا وهُم لا يُفرّطُونَ﴾، ويخرجُ منها كأطيب نفحة مسك وُجدت على وجه الأرض، قال: فيصعدون بها فلا يُمرون ـ يعنى بها ـ على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروحُ الطيب؟ فيقولون: فلانُ ابن فلان ـ بأحسن أسمائه التى كانوا يُسمونه بها فى الدنيا، حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا، فيستفتحون له، فيُفتح لهم، فيُشيعهُ من كل سماء مُقربوها، إلى السماء التى تليها، حتى ينتهى به إلى السماء السابعة، فيقولُ الله عز وجلَّ: اكتُبوا كتاب عبدى فى عليين، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ * كِتَابٌ مَّرْقُومٌ * يَشْهَدُهُ الْمُقَرَبُونَ﴾ فيكتب كتابه فى عليين، ثم يقال: أعيدوهُ إلى الأرض، فإنى وعدتهم أنى منها خلقتُهم، وفيها أُعيدُهم ومنها أُخرجهم تارةً أخرى، قال: فيردُ إلى الأرض، وتُعادُ روحه فى جسده، قال: فإنه يسمعُ خفقَ نعال أصحابه إذا ولوا عنه مُدبرين، فيأتيه ملكان شديدا الانتهار فينتهرانه، ويُجلسانه فيقولان له: من ربك؟ فيقول: ربى الله، فيقولان له: ما دينُك؟ فيقولُ: دينى الإسلامُ، فيقولان له: ما هذا الرجل الذى بُعث فيكم؟ فيقول:هو رسول الله ﷺ فيقولان له: وما عَمَلُكُ؟ فيقول: قرأت كتاب الله، فآمنتُ به، وصدقت، فينتهرهُ فيقولُ: من ربك؟ ما دينُك؟ من نبيُّك؟ وهى آخرُ فتنة تُعرض على المؤمن، فذلك حين يقولُ الله عز وجل: ﴿يُثبتُ الله الَّذينَ آمنُوا بالقوْل الثَّابت فى الْحيَاة الدُّنْيَا﴾، فيقول: ربى الله، ودينى الإسلام، ونبى محمدٌ ﷺ ، فيُنادى مُناد فى السماء: أن صدق عبدى، فَأفرشُوه من الجنة، وألبسُوه من الجنة، وافتحُوا له بابًا إلى الجنة، قال: فيأتيه من روحها وطيبها، ويُفسحُ له فى قبره مدَّ بصره، قال: ويأتيه ـ وفى رواية ـ: (يُمثلُ له رجلٌ حسنُ الوجه، حسنُ الثياب، طيبُ الريح، فيقولُ: أبشر بالذى يَسُرُكَ، أبشر برضوانٍ من الله، وجنات فيها

(١) قلت: هذا هو اسمهُ فى الكتاب والسنة (ملك الموت)، وأما تسميته (بعزرائيل) فمما لا أصل له، خلافًا لما هو المشهورُ عند الناس، ولعله من الإسرائيليات!.

www.ibtesama.com

نعيمٌ مقيمٌ»، هذا يومُك الذى كنت تُوعدُ، فيقول له: وأنت فبشرك الله بخير من أنت؟ فوجهك الوجه يجىء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح فوالله ما علمتُك إلا كنت سريعًا فى طاعة الله، بطيئًا فى معصية الله، فجزاك الله خيرًا، ثم يُفتح له بابٌ من الجنة، وبابٌ من النار، فيقال: هذا منزلُك لو عصيت الله، أبدلك الله به هذا، فإذا رأى ما فى الجنة قال: رب عجِّل قيامَ الساعة، كيما أرجع إلى أهلى ومالى، فيُقال له: اسكُن.

قال: وإن العبد الكافر ـ وفى رواية ـ: (الفاجر) إذا كان فى انقطاع من الدنيا، وإقبال من الآخرة، نزل إليه من السماء ملائكةٌ غلاظٌ شدادٌ، سودُ الوجوه، معهم المُسوحُ[1] من النار، فيجلسون منه مد البصر، ثم يجىء ملك الموت حتى يجلسَ عند رأسه، فيقولُ: أيتها النفسُ الخبيثةُ اخرجى إلى سخط من الله وغضب، قال: فتفرق فى جسده فينتزعُها كما يُنتزع السفودُ الكثيرُ الشعب منَ الصوف المبلولِ، فتُقطعُ معها العروقُ والعصبُ، فيلعنهُ كل ملك بين السماء والأرض، وكل ملك فى السماء، وتُغلق أبوابُ السماء، ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله ألا تعرج روحهُ من قبلهم، فيأخذُها، فإذا أخذها، لم يدعُوها فى يدهِ طرفةَ عين حتى يجعلُوها فى تلك المُسوحِ، ويخرجُ منها كأنتن ريحِ جيفة وُجدت على وجه الأرض، فيصعدون بها، فلا يمرون بها على ملأ من الملائكة إلا قالوا: ما هذا الروحُ الخبيثُ؟ فيقولون: فلانُ ابن فلان ـ بأقبحِ أسمائه التى كان يُسمى بها فى الدنيا، حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا، فيُستفتح له، فلا يُفتح له، ثم قرأ رسولُ الله ﷺ: ﴿لا تُفَتَّحُ لَهُم أبواب السماء ولا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فى سَمِّ الْخِيَاطِ﴾[2] فيقول الله عز وجل: اكتُبوا كتابهَ فى سجين فى الأرض السفلى، ثم يقال: أعيدُوا عبدى إلى الأرض فإنى وعدتُهم أنى منها خلقتُهم، وفيها أعيدُهم، ومنها أخرجُهم تارةً أخرى، فتُطرح روحُه من السماء طرحًا حتى تقعَ فى جسده، ثم قرأ: ﴿وَمَن يُشْرِكْ بالله فَكَأَنَّمَا خَرَّ من السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ الرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ فتُعادُ روحُه فى جسده، قال: فإنه لَيسمع خفقَ نعالِ أصحابه إذَا ولوا عنه.

ويأتيه ملكان شديدا الانتهار، فينتهرانه، ويُجلسانه، فيقولان له: من ربك؟ فيقول: هاه هاه[3] لا أدرى، فيقولان له: ما دينُك؟ فيقولُ: هاه هاه لا أدرى، فيقولان: فما تقولُ فى

(١) جمع المسح، بكسر الميم، وهو ما يُلبسُ من نسيجِ الشعرِ على البدن تقشفًا وقهرًا للبدن.

(٢) أى: ثقب الإبرة، والجَمَل هو الحيوانُ المعروف، وهو ما أتى عليه تسعُ سنوات.

(٣) هى كلمةٌ تقال فى الضحك وفى الإيعاد، وقد تقال للتوجع، وهو أليقُ بمعنى الحديث والله أعلم. كذا فى «الترغيب».

www.ibtesama.com

هذا الرجل الذى بُعث فيكم؟ فلا يهتدى لاسمه، فيُقال: محمدٌ! فيقولُ: هاه هاه لا أدرى سمعتُ الناس يقولون ذاك! قال: فيُقال: لا دريت، ولا تلوت، فيُنادى مُناد من السماء أن: كذب، فأفرشُوا له من النار، وافتحُوا له بابًا إلى النار، فيأتيه من حرها وسمُومها، ويُضيقُ عليه قبرهُ حتى تختلفَ فيه أضلاعُهُ، ويأتيه ـ وفى رواية ـ: (ويُمثل له) رجلٌ قبيحُ الوجه، قبيحُ الثياب، مُنتنُ الريحِ، فيقولُ: أبشر بالذى يسوؤك، هذا يومُك الذى كُنت تُوعدُ، فيقولُ: وأنت فبشرك الله بالشر من أنت؟ فوجهُك الوجهُ يجىء بالشر! فيقول: أنا عملُك الخبيثُ، فوالله ما علمتك إلا كنت بطيئًا عن طاعة الله، سريعًا إلى معصية الله، فجزاك الله شرًا، ثم يُقيضُ له أعمى أصمُّ أبكمُ فى يده مرزبة! لو ضُرب بها جبلٌ كان ترابًا، فيضربهُ ضربةً حتى يَصيرَ بها ترابًا، ثم يعيدهُ الله كما كان، فيضربهُ ضربةً أخرى، فيصيحُ صيحةً يسمعهُ كل شىء إلا الثقلين، ثم يُفتح له بابٌ من النار، ويُمهدُ من فُرُشِ النارِ، فيقول: رب لا تُقمِ الساعةَ»(١).

• فأما إن كان من المقربين •

* قال تعالى: ﴿فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ (٨٩) وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١) وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (٩٤) إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ﴾ (الواقعة:٨٨ ـ ٩٥).

* يقول الطبرى: «فأما إن كان الميت من المقربين الذين قرّبهم الله من جواره فى جنانه ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾، يقول: فله روح وريحان.

* عن على، عن ابن عباس: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾: راحة ومستراح.

* وعن ابن عباس: الريحان: المستريح من الدنيا، ﴿وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾: مغفرة ورحمة.

* وقال آخرون: الرّوح: الراحة، والريحان: الرزق.

* قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «وكل هذه الأقوال متقاربة صحيحة فإن من مات مقربًا حصل له جميع ذلك من الرحمة والراحة والاستراحة والفرح والسرور والرزق الحسن»(٢).

---

(١) رواه أحمد وأبو داود وابن خزيمة والحاكم والبيهقى والضياء وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٦٧٦).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٠١).

www.ibtesama.com

* وقال ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «ليس هذا سلام تحية ولو كان تحية لقال: فسلام عليه كما قال: ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (الصافات:١٠٩). ﴿سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ﴾ (الصافات:٧٩)، ولكن الآية تضمنت ذكر مراتب الناس وأقسامهم عند القيامة الصغرى حال القدوم على الله، فذكر أنهم ثلاثة أقسام:

* مقرّب له الروح والريحان وجنة النعيم.

* ومقتصد من أصحاب اليمين له السلامة فوعده بالسلامة، ووعد المقرب بالغنيمة والفوز، وإن كان كل منهما سالمًا غانمًا.

* وظالم بتكذيبه وضلاله فأوعده بنُزل من حميم وتصلية جحيم.

فلما لم يكن المقام مقام تحية، وإنما هو مقام إخبار عن حاله، ذكر ما يحصل له من السلامة[1].

* وقال القرطبي ـ رحمه الله ـ[2]: «قيل إنه يُحيا بالسلام إكرامًا فعلى هذا فى محل السلام ثلاثة أقاويل:

أحدها: عند قبض روحه فى الدنيا يُسلم عليه ملك الموت، قاله الضحاك. وقال ابن مسعود: إذا جاء ملك الموت ليقبض روح المؤمن قال: ربك يقرئك السلام.

الثانى: عند مساءلته فى القبر يسلم عليه منكر ونكير.

الثالث: عند بعثه فى القيامة تسلم عليه الملائكة قبل وصوله إليها.

قلت: وقد يحتمل أن تسلم عليه فى المواطن الثلاثة، ويكون ذلك إكرامًا بعد إكرام».

لله ما أحلى السلام عند الموت قال تعالى: ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ (مريم:١٥)، وقال عيسى عليه السلام: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾ (مريم:٣٣).

* وقال ابن كثير ـ رحمه الله ـ: «وأما إن كان المحتضر من أصحاب اليمين ﴿فَسَلَامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ﴾، أى: تبشرهم الملائكة بذلك تقول لأحدهم: سلام لك، أى: لا بأس عليك، أنت إلى سلامة، أنت من أصحاب اليمين. وقال قتادة وابن زيد: سلم

(١) بدائع الفوائد (٢/ ١٤٦ ـ ١٤٧).

(٢) القرطبى: (١٧/ ٢٣٣ ـ ٢٣٤).

www.ibtesama.com

من عذاب الله وسلّمت عليه ملائكة الله كما قال عكرمة: تسلم عليه الملائكة وتخبره أنه من أصحاب اليمين، وهذا معنى حسن(١).

• كلا إن كتاب الأبرار لفى عليين •

قال تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ (المطففين:١٨:٢٢).

* قال الإمام ابن القيم فى كتابه «حادى الأرواح»:

«أخبر تعالى أن كتابهم كتاب مرقوم تحقيقًا لكونه مكتوبًا كتابة حقيقية، وخصّ تعالى كتاب الأبرار بأنه يُكتب ويوقع لهم به بمشهد المقربين من الملائكة والنبيين وسادات المؤمنين، ولم يذكر شهادة هؤلاء لكتاب الفجّار تنويهًا بكتاب الأبرار، وما وقع لهم به، وإشهارًا له وإظهارًا بين خواص خلقه، كما يكتب الملوك تواقيع مَن تعظمه بين الأمراء، وخواص أهل المملكة، تنويهًا باسم المكتوب له، وإشادة بذكره، وهذا نوع من صلاة الله سبحانه وتعالى وملائكته على عبده». وقال: «فهذا التوقيع والمنشور الأول. ويكتب فى ديوان أهل الجنة يوم موته»(٢).

* وعن الضحاك قال: «إذا قُبض روحُ العبد المؤمن عُرجَ بها إلى السماء، فينطلقُ معه المقربونَ، ثم عُرجَ به إلى السماء الثانية، ثم الثالثة، ثم الرابعة، ثم الخامسة، ثم السادسة، ثم السابعة، حتى ينتهُوا إلى سدرة المُنتهى، فيقُولونَ: عبدُك فُلانٌ ـ وهو أعلمُ به.

فيأتيه صكٌّ، مَختُومٌ بأمنه من العذَاب، فذلك قوله تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّ كِتَابَ الأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ (المطففين:١٨:٢٢).

* عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: «إن المُؤمن إذا احتضر أتته الملائكةُ بحريرة فيها مسكٌ وضبائرُ ريحانَ، فتُسلُ رُوحه، كما تُسل الشعرة من العجين، ويُقالُ: أيتها النفسُ المطمئنة، اخرجى راضية مرضيًا عنكَ، إلى روح الله تعالى وكرامته.

فإذا خرجت روحه، وُضعَت على ذلك المسك والريحان، وطُويت على الحريرة،

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٣٠٢).

(٢) حادى الأرواح (ص: ٧٠، ٧٣).

www.ibtesama.com

وذُهبَ به إلى عليين».

* وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن المؤمن، إذا كان فى إقبال من الآخرة، وإدبار من الدنيا، نزلت ملائكةٌ من ملائكة الله ـ كأن وجوههُم الشمس ـ بكفنه وحنوطه، فيقعُدُونَ منهُ، حيثُ ينظر إليهم، فإذا خرجت رُوحهُ، صلى عليه كل ملكٍ بين السماءِ والأرضِ»(١).

• تلاقى أرواح المؤمنين •

* وقال رسول الله ﷺ: «إن المُؤمن إذا قُبض، أتتهُ ملائكةُ الرحمة بحريرة بيضاء، فيقولون: اخرجى، راضيةً مرضيًا عنك، إلى روحِ الله تعالى وريحان، ورَب غير غضبان.

فَتخرجُ كأطيب ريح المسك، حتى إنه لينالوهُ بعضهم بعضًا، فيُسمُّونهُ بأحسن الأسماء لهُ حتى يأتوا به باب السماء، فيقولون:

ما أطيب هذه الريح، التى جاءت من الأرض!!! كلما أتوا سماءً، قالوا ذلك، حتى يأتوا به أرواح المؤمنين.

فهم أفرحُ به من أحدكم بغائبه إذا قدمَ. فيسألونهُ:

ما فعل فلانٌ؟

فيقولون: دعُوه حتى يستريح، فإنهُ كان فى غم الدنيا»(٢).

* وعن أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه قال: إذا قُبضت نفس المؤمن تلقاها أهل

---

(١) أخرجه ابن منده فى «كتاب الأحوال» قاله الزبيدى فى «إتحاف السادة المتقين» (١٠/ ٤٠١) وله شاهد صحيح من حديث البراء، ومن حديث أبى هريرة، وعبد الله بن عمرو.

(٢) أخرجه ابن منده (الإيمان) (٢/ ٩٦٨ ـ ٩٦٩) وأحمد (٢/ ٣٦٤) والنسائى فى المجتبى (٤/ ٨).

وأخرجه مختصراً مسلم فى «كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها»: باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه (٤/ ٢٢٠٢) رقم (٢٨٧٢).

وقال الحاكم: «وهذه الأسانيد كلها صحيحة».

وقال البوصيرى فى «مصباح الزجاجة» (٣/ ٣١١): «هذا إسناد صحيح رجاله ثقات».

وقال الزبيدى فى «إتحاف السادة المتقين» (١٠/ ٤٠٢):«حديث أبى هريرة بطرقه شاهد جيد لحديث البراء السابق».

وقال أبو نعيم: «هذا حديث متفق على عدالة ناقليه»، انظر: «الروح» ص (٧٠).

www.ibtesama.com

الرحمة من عباد الله تعالى كما يتلقون البشير فى الدنيا، فيقبلون عليه يسألونه فيقول بعضهم لبعض: أَنظروا أخاكم حتى يستريح، فإنه كان فى كرب شديد قال: فيقبلون عليه فيسألونه: ما فعل فلان؟ ما فعلت فلانة هل تزوجت؟ فإذا سألوه عن الرجل قد مات قبله فيقول: إنه هلك فيقولون: إنا لله وإنا إليه راجعون، ذُهب به إلى أمه الهاوية فبئست الأم وبئست المربية قال: فتُعرض عليهم أعماله فإن رأوا حسنًا فرحوا واستبشروا وقالوا: اللهم هذه نعمتك على عبدك فأتمها، وإن رأوا شرًا قالوا: اللهم راجع بعبدك[1].

• بشارات للمؤمنين من رب العالمين •

وها هى باقة عطرة من البشارات التى يُكرم الله بها أولياءه عند أصعب لحظة تمر بالعبد ـ وهى لحظة الموت ـ.

وتالله إننى أجد الكلمات تتوارى خجلاً وحياءًا أمام إكرام الله (عز وجل) لأوليائه الذين عبدوه وأخلصوا العبادة له.

(١) رؤية العبد المؤمن لملائكة الرحمة ـ بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس.

(٢) ملك الموت يبشره بمغفرة الله ورضوانه.

(٣) ملك الموت يبلغه السلام من ربه (عز وجل).

(٤) خروج روحه بُيسرٍ وسهولة كما تسيل القطرة من فىّ السقاء.

(٥) خروج روحه فى كفنٍ من الجنة وحنوط من الجنة.

(٦) أنه يرى مقعدة من الجنة قبل الموت.

(٧) خروج روحه فى ريحان الجنة ومسك الجنة.

(٨) إذا خرجت روحه صلى عليه كل ملك بين السماء والأرض وكل ملك فى السماء.

(٩) تُفتح لروحه أبواب السماء.

(١٠) يخرج من روحه كأطيب نفحة مسك وُجدت على وجه الأرض

(١١) الملائكة تناديه بأحب أسمائه إليه.

---

(١) خبر حسن موقوف: أخرجه ابن المبارك (٤٤٣) فى الزهد موقوفًا.

www.ibtesama.com

(١٢) أنه يُشرق وجهه ويأتى ربه من الباب الذى كان يصعد عمله منه.

(١٣) يسمع ثناء الناس عليه وهو محمولٌ على الأعناق.

* وعن عمرو بن دينار قال: «ما من ميت يموت إلا روحه فى يد ملك ينظر إلى جسده، كيف يُغسل، وكيف يُكفن، وكيف يُمشى به، ويُقال له، وهو على سريره: اسمع ثناء الناس عليك»[١].

(١٤) يُشيعه من كل سماء مُقربوها إلى السماء التى تليها حتى ينتهى إلى السماء السابعة.

(١٥) يقول الله تعالى: اكتبوا كتاب عبدى فى عليين... وكل ذلك بمشهدٍ من المقربين.

(١٦) ينادى منادٍ من السماء: أن صدق عبدى.

(١٧) تلتقى روحه بأرواح المؤمنين فيفرحون به ويفرح بهم.

قال ثابت البنانى: «بلغنا أن الميت إذا مات احتوشه أهله وأقاربه الذين تقدّموه فلهو أفرح بهم وهم أفرح به من المسافر إذا قدم إلى أهله»[٢].

(١٨) الملائكة تبشره: ألا خوف عليه ولا حزن على ما ترك من حُطام الدنيا الزائل ولا خوف عليه من الأهوال الآتية لأن الله سيحفظه منها.

(١٩) أنه يُبشَّر بصلاح ولده

قال مجاهد: «إن المؤمن يُبشَّر بصلاح ولده من بعده لتقرّ عينه»[٣].

(٢٠) أن الله يثبته عند سؤال الملكين.

(٢١) يُفرش له قبره من الجنة ويُفتح له باب إلى الجنة يأتيه من روحها وطيبها.

(٢٢) يُفسح له فى قبره مدَّ بصره.

(٢٣) يُمثَّل له عمله الصالح فى صورة رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح.

---

(١) «حلية الأولياء»(٣/ ٢٤٧)، و«أهوال القبور» لابن رجب (١١٨)، وصححه ابن القيم فى كتاب «الروح» ص(٢٠).

(٢) أهوال القبور/ لابن رجب (ص: ٥٩).

(٣) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (٣/ ٢٧٩) وصححه ابن القيم فى (الروح) (ص: ٢٠).

www.ibtesama.com

(٢٤) يرى منزله الذى كان فى النار لو عصى ربه.

(٢٥) يرى منزله فى الجنة فيفرح ويقول: رب عجِّل قيام الساعة كيما أرجع إلى أهلى ومالى.

(٢٦) ومسك الختام: دخول روحه إلى جنة الرحمن ونعيم جسده فى قبره حتى يدخل الجنة يوم القيامة بروحه وجسده.

• مشاهد الحسرة عند الموت للعصاة والكافرين •

وها هى نبذة يسيرة نلقيها على مشاهد الحسرة التى تحدث للعصاة والكافرين عند الموت.

* رؤيته لملائكة العذاب ـ وهم غلاظٌ شداد سود الوجوه ـ فيذوب قلبه من الحزن والفزع فى آن واحد.. قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا﴾ (الفرقان:٢٢).

* ملك الموت يبشره بسخط الله وغضبه وعذابه.

* يعلم مكانه من النار قبل نزع روحه.

* شدة نزع روحه من جسده حتى تتقطع العروق والأعصاب.

* الضرب والإهانة عند خروج الروح.

قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ (محمد:٢٧:٢٨).

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (الأنفال:٥٠:٥١).

* قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ[1]: «ويقول تعالى: ولو عاينت يا محمد حال توفى الملائكة أرواح الكفار، لرأيت أمرًا عظيمًا هائلاً فظيعًا منكرًا، إذ يضربون وجوههم وأدبارهم، ويقولون لهم: ذوقوا عذاب الحريق

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٣١٩).

www.ibtesama.com

وقال الطبرى: «عن مجاهد ﴿يَضربُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾، قال: وأستاهم ولكن الله كريم يُكنِّى»(١).

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ (الأنعام:٩٣).

* قال ابن كثير: «أى: بالضرب لهم حتى تخرج أنفسهم من أجسادهم، ولهذا يقولون لهم: ﴿أخرِجُوا أنفُسكمُ﴾، وذلك أن الكافر إذا احتُضر، بشرته الملائكة بالعذاب والنكال والأغلال والسلاسل والجحيم والحميم، وغضب الرحمن الرحيم، فتتفرق روحه فى جسده، وتعصى وتأبى الخروج، فتضربهم الملائكة حتى تخرج أرواحهم من أجسادهم قائلين لهم: ﴿أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ(٢) بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ الآية، أى: اليوم تهانون غاية الإهانة، كما كنتم تكذبون على الله، وتستكبرون على اتباع آياته والانقياد لرسله»(٣).

* توضع روحه فى مسوحٍ من النار.

* يلعنه كل ملكٍ بين السماء والأرض وكل ملك فى السماء.

* يخرج منها كأنتن ريح جيفة وُجدت على وجه الأرض.

* تُغلق أبواب السماء دونه... ليس من أهل باب إلا وهم يدعون الله ألا تعرج روحه من قبلهم.

* تناديه الملائكة بأقبح أسمائه التى كان يُسمى بها فى الدنيا.

* يقول الله تعالى: اكتبوا كتابه فى سجين فى الأرض السُفلى.

* يتمنى الرجعة إلى الدنيا ليعمل صالحًا.

قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (المؤمنون:٩٩:١٠٠).

---

(١) جامع البيان (١٦/ ١٠).

(٢) قال الطبرى (٧/ ١٨٣): «العرب إذا أرادت بالهون معنى الهوان، ضمت الهاء، وإذا أرادت به الرفق والدَّعة وخفة المؤنة، فتحت الهاء».

(٣) «تفسير ابن كثير»(٢/ ١٥٧).

www.ibtesama.com

قال ابن كثير: يخبر تعالى عن حال المحتضر عند الموت من الكافرين أو المفرطين فى أمر الله تعالى، وقيلهم عند ذلك وسؤالهم الرجعة إلى الدنيا ليصلح ما كان أفسده فى مدة حياته ولهذا قال: ﴿رب ارجعون لعلى أعمل صالحًا فيما تركت﴾ كقوله تعالى: ﴿يوم يأتى تأويله يقول الذين نسوه من قبل قد جاءت رسل ربنا بالحق فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا أو نُرد فنعمل غير الذى كنا نعمل﴾ وسؤال الرجعة يسألونه فى عدة مواطن: عند الاحتضار، ويوم النشور، ووقت العرض على الجبار، وحين يُعرضون على النار، وهم فى غمرات عذاب الجحيم، كما تخبر بذلك الآيات الكريمة(١).

* يدعو على نفسه بالويل عند حمل جنازته

قال ﷺ: «إذا وُضعت الجنازة واحتملها الرجالُ على أعناقهم، فإن كانت صالحةً، قالت: قدمُونى، وإن كانت غير صالحة، قالت: يا ويلها، أين يذهبُون بها؟ يسمعُ صوتَهَا كل شىء إلا الإنسان، ولو سمعهُ، لصُعق»(٢).

* تُطرح روحه من السماء طرحًا حتى تقع فى جسده.

* لا يستطيع الإجابة على أسئلة الملكين.

* ينادى منادٍ من السماء: أن كذب عبدى.

* يُفرش له قبره من النار ويُفتح له باب إلى النار.

* يُضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه.

* يُمثل له عمله الخبيث على صورة رجل قبيح الوجه قبيح الثياب مُنتن الريح فيقول له: أبشر بالذى يسؤوك.

* يُقيض له أعمى أصم أبكم فيضربه بمرزبة لو ضُرب بها جبل كان ترابًا.

* يُفتح له باب من النار ويُمهد من فُرش النار.

* «تفكَّر يا مغرور فى الموت وسكرته، وصعوبة كأسه ومرارته، فيا للموت من وعد ما أصدقه، ومن حاكم ما أعدله، كفى بالموت مفزعًا للقلوب، ومبكيًا للعيون، ومفرقًا للجماعات، وهادمًا للذات، وقاطعًا للأمنيات.

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير (٣/ ٢٤٩).

(٢) أخرجه البخارى عن أبى سعيد الخدرى.

www.ibtesama.com

• الكفار يسألون الرجعة فى خمس مواطن •

وقد ذكر الله تعالى عن الكفار سؤالهم الرجعة فى عدة مواطن:

أ ـ عند الموت: قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (المؤمنون:٩٩، ١٠٠).

ب ـ عند معاينة العذاب يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ أَوَ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ (إبراهيم:٤٤).

جـ ـ إذا وقفوا على النار ورأوا ما فيها من عظيم الأهوال، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنعام:٢٧).

د ـ إذا وقفوا على ربهم وعرضوا عليه وهم ناكسو رءوسهم بين يديه، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ (السجدة:١٢).

هـ ـ وهم فى غمرات الجحيم وعذابها الأليم، قال تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ﴾ (فاطر:٣٧)[1].

* * *

(١) مختصر معارج القبول (ص: ٢١٣، ٢١٤).

www.ibtesama.com

عذاب القبر ونعيمه

• إنه الرحيل •

عباد الله: إنكم وما أنتم فيه من هذه الدنيا على سبيل مَنْ قد مضى قبلكم، ممَّن كان أطول منكم أعمارًا، وأعمر ديارًا، وأبعد آثارًا... أصبحت أصواتهم هامدة، ورياحهم راكدة، وأجسادهم بالية، وديارهم خالية، وآثارهم عافية، فاستبدلوا بالقصور المشيدة والنمارق الممهدة الصخور والأحجار المُسنَدَة، والقبور اللاطئة الملحدة التى قد بُنى بالخراب فناؤها، وشُيد بالتراب بناؤها، فمَحلّها مقترب، وساكنها مغترب، بين أهل محلة موحشين، وأهل فراغ متشاغلين، لا يستأنسون بالأوطان، ولا يتواصلون تواصل الجيران على ما بينهم من قرب الجوار، ودنو الدار... وكيف يكون بينهم تزاور وقد طحنهم بكلكله البِلَى، وأكلتهم الجنادل والثرى؟.

وكأن قد صرتم إلى ما صاروا إليه، وارتهنكم ذلك المضجع، وضمكم ذلك المستودع.

سألت الدار تخبرنى ... عن الأحباب ما فعلوا
فقالت لى أقام القوم أيـ ... ـامًا وقد رحلوا
فقلت وأين أطلبهم ... وأى منازلٍ نزلوا
فقالت فى القبور ثوواْ ... رهانًا بالذى فعلوا

• كأن القبر قد دنا •

عن يحيى بن أبى كثير: كان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يقول فى خطبته: «أين الوضاءة الحسنة وجوههم، المعجبون بشبابهم، الذين كانوا لا يعطون الغلبة فى مواطن الحرب، أين الذين بنوا المدائن، وحصنوها بالحيطان؟ قد تضعضع بهم الدهر، وصاروا فى ظلمة القبور. الوحا الوحا، النجا النجا».

www.ibtesama.com

وروى ابن أبى الدنيا بإسناده عن الحسن أنه مر به شاب، وعليه بُردة له حسنة فدعاه فقال: «ابن آدم معجب بشبابه، معجب بجماله، كأن القبر قد دنا ووارى بدنك، وكأنك قد لاقيت عملك، ويحك داو قلبك، فإنه حاجة الله إلى العباد صلاح قلوبهم».

* وعن عمر بن ذر أنه كان يقول فى مواعظه: «لو علم أهل العافية ما تضمنت القبور من الأجساد البالية لجدّوا واجتهدوا فى أيامهم الخالية خوفًا من يوم تتقلب فيه القلوب والأبصار».

وكان أبو عمران الجونى يقول: «لا يغرنكم من ربكم طول النسيئة[1]، وحسن الطلب، فإن أخذه أليم شديد. حتى متى تبقى وجوه أولياء الله بين أطباق التراب؛ إنما هم محبوسون لبقية آجالكم حتى يبعثهم الله إلى جنته وثوابه».

* وعن ميمون بن مهران قال: «خرجت مع عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه إلى المقابر، فلما نظر إلى القبور، بكى، ثم قال: يا أبا أيوب هذه قبور آبائى بنى أمية كأنهم لم يشاركوا أهل الدنيا فى لذاتهم وعيشتهم، أما تراهم صرعى، قد حلت بهم المثلات، واستحكم فيهم البلاء، وأصابت الهوام فى أبدانهم مقيلاً، ثم بكى حتى غُشى عليه ثم أفاق؛ فقال: فانطلق بنا فوالله ما أعلم أحدًا أنعم ممن صار إلى هذه القبور وقد أمن من عذاب الله عز وجل».

وعن محمد بن صالح التمار قال: كان صفوان ابن سليم يأتى البقيع فى الأيام، فمر بى، فاتبعته ذات يوم، وقلت: والله لأنظرنَّ ما يصنع، قال: فقنع رأسه، وجلس إلى قبر منها فلم يزل يبكى حتى رحمته، قال: فظننت أنه قبر بعض أهله، قال: فمر بى مرة أخرى، فاتبعته، فقعد إلى جنب قبر غيره، فقال مثل ذلك، قال: فذكرت ذلك لمحمد بن المنكدر وقلت: إنى ظننته أنه قبر بعض أهله، قال محمد: كلهم أهله وإخوانه، وإنما هو رجل يحرك قلبه بذكر الأموات كلما عرضت له قسوة.

* وعن مطرف الهذلى قال: كانت عجوز متعبدة فى عبد القيس، فعوتبت فى كثرة إتيانها القبور فقالت: «إن القلب القاسى إذا جفى لم يلينه إلا رسوم البلى، وإنى لآتى القبور وكأنى أنظر إليهم قد خرجوا من بين أطباقها، وكأنى أنظر إلى تلك الوجوه المتعفرة. وإلى تلك الأجساد البالية المتغيرة، وإلى تلك الأكفان الدنسة، فيا له من منظر».

---

(١) النسيئة: الإمهال، والتأجيل، أى: لا يغرنك إمهال الله لك وأنت قائم على الذنوب.

www.ibtesama.com

ولأبى العتاهية:

إنى سألت التراب ما فعلت ... بعدى وجوه فيك منعفرة
فأجابنى: صيرت ريحهم ... تؤذيك، بعد روائح عطرة
وأكلت أجسادًا منعمة كا ... ن النعيم يهزها نضرة
لم أُبق غير جماجم عريت ... بيض تلوح وأعظم نخرة[1]

• تجهزى يا نفس قبل الردى •

إنى أبثك من حديثى ... والحديث له شجونْ
غيرت موضع مرقدى ... يومًا فنافرنى السكونْ
قل لى فأول ليلةٍ ... فى القبر كيف تُرى تكونْ

* كان عمر بن عبد العزيز فى جنازة فى مقبرة، فرأى قومًا يهربون من الشمس إلى الظل، فأنشد يقول بعد الصلاة على الرسول ﷺ:

منْ كان حين تصيبُ الشمسُ جبهته ... أو الغبار يخاف الشَّينْ والشَّعثَا
ويألفُ الظلّ كى تبقى بشاشته ... فسوف يسكن يومًا راغمًا جَدثًا
فى ظل مقفرة غبراء مظلمة ... يُطيل تحت الثَّراء فى غمه اللبثا
تجهّزى بجهازٍ تبلغين به ... يا نفسُ قبل الردَّى لم تُخلقى عَبَثًا

* وعن مالك بن دينار قال: خرجت أنا وحسان بن أبى سنان نزور المقابر، فلمّا أشرف عليها، سبقتهُ عبرته، ثم أقبل علىَّ، فقال: يا أبا يحيى! هذه عساكر الموتى، يُنتظر بها من بقى من الأحياء، ثم يُصَاح بهم صيحة، فإذا هم قيام ينظرون، فوضع مالك يده على رأسه، وجعل يبكى.

* وعن أبى عاصم الحيطى، قال: كنت أمشى مع محمد بن واسع، فأتينا المقابر، فدمعت عيناه، ثم قال: يا أبا عاصم لا يغرنك ما ترى من خمودهم، فكأنك بهم قد وثبوا من هذه الأجداث، من بين مسرور ومهموم.

* وعن ابن السماك قال: لا يغرنّك سكوت هذه القبور، فما أكثر المغمومين فيها،

(١) أهوال القبور (ص: ٢٢٢: ٢٢٣).

www.ibtesama.com

ولا يغرنك استواؤها فما أشد تفاوتهم.

* وعن حسين الجعفى، قال: أتى رجل قبراً محفوراً، فاطلع فى اللحد، فبكى بكاءً شديداً، واشتد بكاؤه. قال: والله أنت بيتى حقًا، والله لئن استطعت لأعمِّرنَّك.

* وهذه امرأة بالمدينة كانت تزهو، فدخلت يومًا المقابر، فرأت جمجمة، فصرخت، ثم رجعت مُنِيبةَ، فدخل عليها نساؤها، فقلن: ما هذا؟ فقالت:

بكى قلبى لذكـر المـوت لمـا رأيت جماجمًا جوف القبور

ثم قالت: أخرجن عنى، فلا تأتين منكم إلا امرأة ترغب فى عبادة الله ـ عز وجل ـ ثم أقبلت على عبادة الله تعالى حتى ماتت ـ رحمها الله تعالى.

* وعن عنبسة الخواص، أن رجلاً من الصدر الأول دخل المقابر، فمر بجمجمة بادية من بعض القبور، فحزن حزنًا شديداً، ثم واراها، ثم التفت فلم ير إلا القبور، فحزن حزنًا شديداً فحدّث نفسه، فقال: لو كشف لى عن بعضهم فسألته عما رأى. قال: فأُتى فى منامه، فقيل له: لا تغتر بتشييد القبور من فوقهم، فإن القوم قد بليت خدودهم فى التراب، فمن بين مسرور ينتظر ثواب الله ـ عز وجل ـ ، وبين مغموم آسفًا على عقابه، فإياك والغفلة عما رأيت،... فاجتهد الرجل بعد ذلك اجتهاداً شديداً، حتى مات ـ رحمه الله تعالى ـ »[1].

• أنواع النفوس •

أخبر الحق تعالى عن ثلاثة أنواع: النفس الأمّارة، والنفس المطمئنة، والنفس اللوامة، وليس المراد أن لكل إنسان ثلاثة نفوس، وإنما المراد أن هذه صفات وأحوال لذات واحدة.

وقال شارح الطحاوية بعد أن ذكر أنواع النفوس: «والتحقيق: أنها نفس واحدة، لها صفات، فهى أمارة بالسوء، فإذا عارضها الإيمان صارت لوامة، تفعل الذنب ثم تلوم صاحبها، وتلوم بين الفعل والترك، فإذا قوى الإيمان صارت مطمئنة»[2].

* * *

(١) أهوال القبور (ص: ١٨٠، ١٨٥).

(٢) شرح الطحاوية (ص: ٤٤٥).

www.ibtesama.com

• غاية أمنية الأموات •

أخى الحبيب.... أختى الفاضلة: «غاية أمنية الموتى فى قبورهم حياة ساعة، يستدركون فيها ما فاتهم من توبة وعمل صالح، وأهل الدنيا يُفرطون فى حياتهم، فتذهب أعمارهم فى الغفلة ضياعًا، ومنهم من يقطعها بالمعاصى[١].

* وقيل: «البصير هو الذى ينظر إلى قبر غيره، فيرى مكانه بين أظهرهم، فيستعد للحوق بهم، ويعلم أنهم لا يبرحون من مكانهم ما لم يلحق بهم، ويتحقق أنه لو عرض عليهم يوم من أيام عمره الذى هو مضيعٌ له؛ لكان أحب إليهم من الدنيا بحذافيرها؛ لأنهم عرفوا قدر الأعمار، وانكشفت لهم حقائق الأمور، فإنما حسرتهم على يومٍ من العمر، ليتدارك المقصر به تقصيره، فيتخلص من العقاب، وليستزيد الموفق به رتبته، فيتضاعف له الثواب، فإنهم إنما عرفوا قدر العمر بعد انقطاعه، فحسرتهم على ساعة من الحياة، وأنت قادر على تلك الساعة».

* وعن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: مر النبى ﷺ على قبر دُفن حديثًا، فقال:

«ركعتان خفيفتان مما تحقرون وتنفِّلُون يزيدهما هذا فى عمله أحب إليه من بقية دُنياكم»[٢].

• أين مستقر الأرواح بعد الموت •

* قال الإمام ابن القيم: «وأما المسألة الخامسة عشرة وهى أين مستقر الأرواح ما بين الموت إلى يوم القيامة؟ هل هى فى السماء أم فى الأرض؟ وهل هى فى الجنة والنار أم لا؟ وهل تودع فى أجساد غير أجسادها التى كانت فيها فتنعم وتعذب فيها أم تكون مجردة؟.

فهذه مسألة عظيمة تكلم فيها الناس واختلفوا فيها، وهى إنما تُتلقى من السمع فقط، واختُلف فى ذلك:

* فقال قائلون: أرواح المؤمنين عند الله شهداء كانوا أم غير شهداء، إذا لم يحبسهم

---

(١) لطائف المعارف (ص: ٣٥٥).

(٢) أخرجه الطبرانى فى «الأوسط» رقم (٩٢٤)، وغيره، وصحح إسناده على شرط مسلم، الألبانى فى «الصحيحة» رقم (١٣٨٨).

www.ibtesama.com

عن الجنة كبيرة ولا دين، وتلقاهم ربهم بالعفو عنهم والرحمة لهم، وهذا مذهب أبى هريرة وعبد الله بن عمر رضى الله عنهم.

* وقالت طائفة: هم بفناء الجنة على بابها يأتيهم من روحها ونعيمها ورزقها.

* وقالت طائفة: الأرواح على أفنية قبورها.

* وقال مالك: بلغنى أن الروح مرسلة تذهب حيث شاءت.

وقال الإمام أحمد فى رواية ابنه عبد الله: أرواح الكفار فى النار. وأرواح المؤمنين فى الجنة.

وروى عن جماعة من الصحابة والتابعين أن أرواح المؤمنين بالجابية وأرواح الكفار ببرهوت بئر بحضرموت.

* وقال كعب: أرواح المؤمنين فى عليين فى السماء السابعة. وأرواح الكفار فى سجين فى الأرض السابعة تحت خد إبليس.

* وقالت طائفة: أرواح المؤمنين عن يمين آدم وأرواح الكفار عن شماله.

* وقالت طائفة أخرى، منهم ابن حزم: مستقرها حيث كانت قبل خلق أجسادها.

* بعد عرض ما سبق يترجح لنا أن الأرواح فى البرزخ متفاوتة أعظم تفاوت.

• **أولاً:** أرواح الأنبياء، وهذه تكون فى خير المنازل فى أعلى عليين، فى الرفيق الأعلى، وقد سمعت السيدة عائشة الرسول ﷺ فى آخر لحظات حياته يقول: «اللَّهم الرفيق الأعلى»[(١)]، وهم متفاوتون فى منازلهم كما رآهم النبى ﷺ ليلة الإسراء. وهذا قول ابن القيم وشارح الطحاوية.

قال ابن رجب: فى «أهوال القبور»[(٢)]: «أما الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فليس فيهم شك أن أرواحهم عند الله فى أعلى عليين».

• **ثانيًا:** أرواح الشهداء، وهؤلاء أحياء عند ربهم يُرزقون.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (آل عمران:١٦٩)، وقد سأل مسروق عبد الله بن مسعود عن هذه الآية، فقال: «إنا قد سألنا

(١) «صحيح البخارى» كتاب الرقاق: باب من أحب لقاء الله، «فتح البارى» (١١/ ٣٥٧).
(٢) أهوال القبور/ لابن رجب (ص: ١٢٤).

www.ibtesama.com

رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال: «أرواحهم فى أجواف طير خضر، لها قناديل معلقة بالعرش، تسرح من الجنة حيث شاءت، ثم تأوى إلى تلك القناديل» رواه مسلم فى صحيحه[١] عن ابن عباس رضى الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «لما أصيب إخوانكم بأُحد جعل الله أرواحهم فى أجواف طير خضر، ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها، وتأوى إلى قناديل من ذهب، معلقة فى ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم، قالوا: من يبلغ عنا إخواننا أنّا أحياء فى الجنة نُرزق، لئلا ينكلوا عن الحرب، ولا يزهدوا فى الجهاد، قال: فقال الله عز وجل: أنا أبلغهم عنكم، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (آل عمران:١٦٩)»[٢].

وفى «صحيح البخارى» عن أنس رضى الله عنه، قال:أصيب حارثة يوم بدر ـ وهو غلام ـ فجاءت أمه إلى النبى ﷺ فقالت: يا رسول الله قد عرفت منزلة حارثة منى، فإن يكن فى الجنة صبرت واحتسبت، وإن تكن الأخرى ترى ما أصنع؟ قال: «ويحك أو هبلت؟ جنة واحدة هى؟ إنها جنان كثيرة، وإنه فى جنة الفردوس»[٣].

وقال ﷺ: «رأيت جعفر بن أبى طالب مَلَكًا يطير فى الجنة مع الملائكة بجناحين»[٤].

• **الثالث:** أرواح المؤمنين الصالحين: تكون طيوراً تعلق شجر الجنة.

قال ﷺ: «إنما نسمة المؤمن طائر يعلقُ[٥] فى شجر الجنة حتى يبعثه الله إلى جسده يوم يبعثه»[٦].

• **الرابع:** أرواح العصاة: وستأتى النصوص التى تبين ما يلاقيه العصاة من العذاب،

---

(١) رواه مسلم رقم (١٨٨٧) فى الإمارة: باب بيان أن أرواح الشهداء فى الجنة، والترمذى رقم (٣٠١٤و٣٠١٥) فى التفسير: باب ومن سورة آل عمران.

(٢) أخرجه أحمد (١/ ٢٦٦)، وأبو داود رقم (٢٥٢٠) فى الجهاد: باب ما جاء فى فضل الشهادة، وصححه الحاكم (٢/ ٨٨). ووافقه الذهبى، وهو كما قالا.

(٣) البخارى رقم (٢٨٠٩) فى الجهاد: باب من أتاه سهم غرب فقتله، ورقم (٣٩٨٢) فى المغازى: باب فضل من شهد بدرًا ورقم (٦٥٥٠و ٦٥٦٧) فى الرقاق: باب صفة الجنة والنار، والترمذى رقم (٣١٧٣) فى «التفسير»: باب ومن سورة المؤمنين.

(٤) رواه الترمذى والحاكم عن أبى هريرة وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٤٦٥).

(٥) أى: يأكل.

(٦) رواه مالك وأحمد والنسائى عن كعب بن مالك وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٣٧٣).

www.ibtesama.com

فمن ذلك أن الذى يكذب الكذبة تبلغ الآفاق يعذب بكلوب من حديد يدخل فى شدقه حتى يبلغ قفاه، والذى نام عن الصلاة المكتوبة يشدخ رأسه بصخرة،... والزناة والزوانى يُعذبون فى ثقب مثل التنور ضيق أعلاه وأسفله واسع، توقد النار من تحته، والمرابى يسبح فى بحر من دم، وعلى الشط من يلقمه حجارة. وقد ذكرنا الأحاديث التى تتحدث عن عذاب الذى لم يكن يستنزه من بوله، والذى يمشى بالنميمة بين الناس، والذى غلَّ من الغنيمة ونحو ذلك.

• **الخامس:** قال ابن القيم: «ومنهم: مَن يكون محبوسًا على باب الجنة كما فى الحديث الآخر: «رأيت صاحبكم محبوسًا على باب الجنة».

وعن سمرة بن جندب، قال: صلى بنا رسول الله ﷺ فقال: «هاهنا أحد من بنى فلان؟» ثلاثًا، فلم يجبه أحد، ثم أجابه رجل، فقال: «إن فلانًا الذى توفى احتبس عن الجنة من أجل الدَّين الذى عليه، فإن شئتم فافتكُّوه، أو فافدوه، وإن شئتم فأسلموه إلى عذاب الله عز وجل»[(١)].

• **السادس:** من يكون مقرّه باب الجنة:

* قال ابن القيم فى «الروح»[(٢)]:

ومنهم: من يكون مقره باب الجنة كما فى حديث ابن عباس: «الشهداء على بارق نهر بباب الجنة فى قبة خضراء يخرج رزقهم من الجنة بكرة وعشية» رواه أحمد،... وهذا بخلاف جعفر بن أبى طالب حيث أبدله الله من يديه جناحين يطير بهما فى الجنة حيث شاء.

• **السابع:** أرواح الكفار: فى حديث أبى هريرة عند النسائى بعد وصف حال المؤمن إلى أن يبلغ مستقره فى الجنة، ذكر حال الكافر، وما يلاقيه عند النزع، وبعد أن تقبض روحه «تخرج منه كأنتن ريح، حتى يأتون به باب الأرض، فيقولون: ما أنتن هذه الريح، حتى يأتون به أرواح الكفار»[(٣)].

---

(١) أبو داود رقم (٣٣٤١) فى البيوع: باب فى التشديد فى الدين، والنسائى (٧/ ٣٢٥) فيه: باب التغليظ فى الدين، والحاكم (٢/ ٢٥) وإسناده حسن. انظر: «جامع الأصول» رقم (٢٥٣٣).

(٢) الروح (ص: ١٥٤).

(٣) أخرجه النسائى (٤/ ٨) كتاب الجنائز.

www.ibtesama.com

• **الثامن:** أطفال المشركين والراجح أنهم فى الجنة:

اختلف العلماء فى الأطفال الذين ماتوا وهم صغار.

* قال ابن حجر فى «الفتح»:

اختلف العلماء قديمًا وحديثًا فى هذه المسألة على أقوال:

أحدها: أنهم فى مشيئة الله تعالى، وهو منقول عن الحمادين، وابن المبارك، وإسحاق، ونقله البيهقى عن الشافعى فى حق أولاد الكفار خاصة، قال ابن عبد البر، وهو مقتضى صنيع مالك، وليس عنده فى هذه المسألة شىء منصوص.

ثانيها: أنهم تبع لآبائهم، فأولاد المسلمين فى الجنة وأولاد الكفّار فى النار وحكاه ابن حزم عن الأزارق من الخوارج.

ثالثها: أنهم يكونون فى برزخ بين الجنة والنار؛ لأنهم لم يعملوا حسنات يدخلون بها الجنة، ولا سيئات يدخلون بها النار.

رابعها: خدم أهل الجنة.

خامسها: أنهم يصيرون ترابًا.

سادسها: هم فى النار حكاه عياض عن أحمد، وغلطه ابن تيمية بأنه قول لبعض أصحابه ولا يُحفظ عن الإمام أصلاً.

سابعها: أنهم يُمتحنون فى الآخرة بأن تُرفع لهم نار، فمن دخلها كانت عليه بردًا وسلامًا، ومن أبَى عُذِّب. وقد صحّت مسألة الامتحان فى حق المجنون ومن مات فى الفترة من طرق صحيحة، وحكى البيهقى فى «كتاب الاعتقاد» بأنه المذهب الصحيح.

ثامنها: أنهم فى الجنة. قال النووى: وهو المذهب الصحيح المختار الذى صار إليه المحققون، لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾ وإذا كان لا يعذب العاقل كونه لم تبلغه الدعوة فلأن لا يعذب غير العاقل من باب الأولى ـ وهو الذى صار إليه البخارى.

ـ لحديث أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال النبى ﷺ «كل مولود يُولد على الفطرة، فأبواه يهوّدانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه...»[1].

---

(١) رواه البخارى فى «صحيحه»، كتاب الجنائز: باب ما قيل فى أولاد المشركين.

www.ibtesama.com

ـ ولحديث سمرة وفيه: «... والشيخ بأصل الشجرة إبراهيم عليه السلام والصبيان حوله أولاد الناس»، وقد أخرجه البخارى فى التعبير بلفظ: «وأما الولدان الذين حوله فكل مولود يُولد على الفطرة». فقال بعض المسلمين: وأولاد المشركين؟ فقال: «وأولاد المشركين».

ـ وروى أحمد من طريق خنساء بنت معاوية بن صريم عن عمتها قالت: «قُلت: يا رسول الله من فى الجنة؟ قال: «النبى فى الجنة، والشهيد فى الجنة، والمولود فى الجنة» إسناده حسن.

ـ وروى أبو يعلى من حديث أنس مرفوعًا: «سألتُ ربى اللاهين من ذرية البشر ألا يعذبهم فأعطانيهم» إسناده حسن، وورد تفسير «اللاهين» بأنهم الأطفال من حديث ابن عباس مرفوعًا أخرجه البزار.

تاسعها: الوقف.

عاشرها: الإمساك وفى الفرق بينهما دقة»[١].

• القبر أول منازل الآخرة •

* عن هانىء مولى عثمان، قال: كان عثمان رضى الله عنه إذا وقف على قبر بكى حتى يبلّ لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكى، وتبكى من هذا؟ فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «إن القبر أول منازل الآخرة، فإن نجا منه صاحبه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه»[٢].

قال: وقال رسول الله ﷺ: «ما رأيت منظرًا قط إلا والقبر أفظع منه»[٣].

• لابن آدم بيتان •

* وعن عبد الله بن العيزار قال: لابن آدم بيتان: بيت على ظهر الأرض، وبيت فى بطن الأرض، فعمد إلى الذى على الأرض فزخرفه وزينه، وجعل فيه أبوابًا للشمال، وأبوابًا للجنوب، وصنع فيه ما يصلحه لشتائه وصيفه، ثم عمد إلى الذى فى بطن

(١) «فتح البارى» (٣/ ٢٩٠ ـ ٢٩١).

(٢) رواه الترمذى وابن ماجه والحاكم عن عثمان وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٦٨٤).

(٣) رواه الترمذى وابن ماجه والحاكم عن أبى هريرة وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٦٢٣).

www.ibtesama.com

الأرض فخربه، فأتى عليه آت، فقال: أرأيت هذا الذى أراك قد أصلحته، كم تقيم فيه؟ قال: لا أدرى. قال: فالذى خربته، كم تقيم فيه؟ قال: فيه مقامى، قال: تُقرّ بهذا على نفسك، وأنت رجل تعقل؟!

* وروى ابن أبى الدنيا بإسناده، عن سلام بن صالح، قال: فُقِدَ الحسن ذات يوم، فلما أمسى، قال له أصحابه: أين كنت اليوم؟ قال: كنت اليوم عند إخوان لى، إن نسيت ذكرونى، وإن غبت عنهم لم يغتابونى، فقال له أصحابه: نعم الإخوان والله هؤلاء، يا أبا سعيد، دلنا عليهم. قال: هؤلاء أهل القبور.

• يومان وليلتان لم تسمع الخلائق بمثلهن •

* وعن الحسن قال: يومان وليلتان لم تسمع الخلائق بمثلهن قط: ليلة تبيت مع أهل القبور لم تبت ليلة قبلها، وليلة صبيحتها يوم القيامة، ويوم يأتيك البشير من الله تعالى، إما إلى الجنة وإما إلى النار، ويوم تُعطى كتابك إما بيمينك وإما بشمالك.

• لمثل هذا اليوم فأعدوا •

* عن البراء بن عازب رضى الله عنه قال: بينا نحن مع رسول الله ﷺ ، إذ بصر بجماعة، فقال: «علام اجتمع هؤلاء؟» قيل: على قبر يحفرونه. قال: ففزع رسول الله ﷺ فبدّى بين يدى أصحابه مسرعًا، حتى انتهى إلى القبر فجثى عليه، قال: فاستقبلته من بين يديه لأنظر ما يصنع، فبكى حتى بلّ الثرى من دموعه، ثم أقبل علينا فقال: «أى إخوانى لمثل هذا اليوم فأعدوا»(١).

وقال ﷺ: «زوروا القبور فإنها تذكركم الآخرة»(٢).

وقال ﷺ: «كنت نهيتكم عن زيارة القبور ألا فزوروها فإنها تُرق القلب وتُدمع العين وتذكر الآخرة...»(٣).

* قال سفيان الثورى: «من أكثر ذكر القبر وجده روضة من رياض الجنة ومنْ غفل عنه وجده حفرة من حفر النار».

---

(١) رواه أحمد وابن ماجه عن البراء وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٦٥٩).

(٢) رواه ابن ماجه عن أبى هريرة وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٥٧٧).

(٣) رواه الحاكم عن أنس وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٥٨٤).

www.ibtesama.com

* وعن أبى عاصم الحيطى، قال: كنت أمشى مع محمد بن واسع، فأتينا المقابر، فدمّعت عيناه، ثم قال: يا أبا عاصم لا يغرنك ما ترى من خمودهم، فكأنك بهم قد وثبوا من هذه الأجداث، من بين مسرور ومهموم.

* وعن ابن السماك قال: لا يغرنّك سكوت هذه القبور، فما أكثر المغمومين فيها، ولا يغرنك استواؤها فما أشد تفاوتهم.

قف بالقبور وقل على ساحاتها ... منَ منكم المغمور فى ظُلُمَاتها
ومن المكرَّم منكم فى قعرها ... قد ذاق برد الأمن من روعاتها
أما السكون لذى العيون فواحد ... لا يستبين الفضل فى درجاتها
لو جاوبوك لأخبروك بألسنٍ ... تصف الحقائق بعد من حالاتها
أما المطيع فنازل فى روضة ... يُفضى إلى ما شاء من دوحاتها
والمجرمُ الطاغى بها متقلبٌ ... فى حفرة يأوى إلى حياتها
وعقارب تسعى إليه فروحه ... فى شدَة التعذيب من لدغاتها

• القبر يتكلم •

* عن عُبيد بن عمير ـ رحمه الله ـ أنه قال: «يُجعل للقبر لسانًا ينطق به، فيقول: ابن آدم كيف نسيتنى؟! أما علمت أنى بيت الأكلة، وبيت الدود، وبيت الوحشة»(١).

* وعنه ـ رحمه الله ـ أنه قال: «إن القبر ليقول: يا ابن آدم ماذا أعددت لى؟ ألم تعلم أنى بيت الغربة، وبيت الوحدة، وبيت الأكلة، وبيت الدود»(٢).

* وقال أسيد بن عبد الرحمن ـ رحمه الله ـ:

«بلغنى أن المؤمن إذا مات، وحُمل قال: أسرعوا بى فإذا وضع فى لحده كلمته الأرض فقالت له: إن كنتُ لأُحبك وأنت على ظهرى، فأنت الآن أحبّ إلىّ.

فإذا مات الكافر وحُمل قال: ارجعوا بى فإذا وضع فى لحده كلّمته الأرض فقالت: إن كنت لأبغضك وأنت على ظهرى، فأنت الآن أبغض إلىّ»(٣).

---

(١) رواه أبو نعيم بإسناد صحيح

(٢) أخرجه ابن أبى شيبةً فى المصنف (٨/ ٢٢٩) بإسناد صحيح.

(٣) أخرجه ابن المبارك بإسنادٍ صحيح.

www.ibtesama.com

• ضمة القبر •

ضمة القبر لا ينجو منها أحد، صالحًا كان أو عاصيًا،.... صغيرًا كان أو كبيرًا.

* قال رسول الله ﷺ عن سعد بن معاذ رضى الله عنه: «هذا الذى تحرّك له العرش، وفُتحت له أبواب السماء وشهده سبعون ألفًا من الملائكة، لقد ضُمّ ضمّة ثم فُرج عنه»(١).

* وقال رسول الله ﷺ: «إن للقبر ضغطة، لو كان أحد ناجيًا منها لنجا سعد بن معاذ»(٢).

بل إن الطفل الصغير لا ينجو من ضمة القبر.

* قال ﷺ: «لو أفلت أحدٌ من ضمة القبر لأفلت هذا الصبى»(٣).

وأخرج ابن أبى الدنيا عن محمد التيمى قال: «وكان يُقال: إن ضمة القبر، وإنما أصلها أنها أُمهم، ومنها خُلقوا فغابوا عنها الغيبة الطويلة، فلما ردَّ الله تعالى أولادها، ضمتهم ضم الوالدة التى غاب عنها ولدها، ثم قدم عليها، فمن كان لله مُطيعًا، ضمتهُ برفقٍ، ومن كان عاصيًا، ضمته بعنفٍ، سخطًا منها عليه».

• وقفة لطيفة فى إثبات عذاب القبر ونعيمه •

* إن الله سبحانه جعل الدور ثلاثًا: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار، وجعل لكل دار أحكامًا تختص بها وركَّب هذا الإنسان من بدن ونفس، وجعل أحكام دار الدنيا على الأبدان والأرواح تبعًا لها، ولهذا جعل أحكامه الشرعية مرتبة على ما يظهر من حركات اللسان والجوارح، وإن أضمرت النفوس خلافه. وجعل أحكام البرزخ على الأرواح والأبدان تبعًا لها فكما تبعت الأرواح الأبدان فى أحكام الدنيا، فتألمت بألمها والتذت براحتها، وكانت هى التى باشرت أسباب النعيم والعذاب تبعت الأبدان الأرواح فى نعيمها وعذابها، والأرواح حينئذ هى التى تباشر العذاب والنعيم، فالأبدان هنا ظاهرة والأرواح خفية، والأبدان كالقبور لها والأرواح هناك ظاهرة، والأبدان خفية فى قبورها

(١) رواه النسائى عن ابن عمر وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٩٨٧).
(٢) رواه أحمد عن عائشة وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢١٨٠).
(٣) رواه الطبرانى فى الكبير عن أبى أيوب وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٢٣٨).

www.ibtesama.com

تجرى أحكام البرزخ على الأرواح فتسرى إلى أبدانها نعيمًا أو عذابًا، كما تجرى أحكام الدنيا على الأبدان فتسرى إلى أرواحها نعيمًا أو عذابًا، فأحط بهذا الموضع علمًا واعرفه كما ينبغى يزيل عنك كل إشكال يورد عليك من داخل وخارج، وقد أرانا الله سبحانه بلطفه ورحمته وهدايته من ذلك أنموذجًا فى الدنيا من حال النائم، فإن ما ينعم به أو يعذب فى نومه يجرى على روحه أصلاً، والبدن تبع له، وقد يقوى حتى يؤثر فى البدن تأثيرًا مشاهدًا، فيرى النائم فى نومه أنه ضُرب فيصبح وأثر الضرب فى جسمه، ويرى أنه قد أكل أو شرب فيستيقظ وهو يجد أثر الطعام والشراب فى فيه، ويذهب عنه الجوع والظمأ.. وأعجب من ذلك أنك ترى النائم يقوم فى نومه ويضرب ويبطش، ويدافع كأنه يقظان، وهو نائم لا شعور له بشىء من ذلك، وذلك أن الحكم لما جرى على الروح استعانت بالبدن من خارجه، ولو دخلت فيه لاستيقظ وأحس، فإذا كانت الروح تتألم وتتنعم ويصل ذلك إلى بدنها بطريق الاستتباع، فهكذا فى البرزخ بل أعظم، فإن تجرد الروح هناك أكمل وأقوى، وهى متعلقة ببدنها لم تنقطع عنه كل الانقطاع، فإذا كان يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم، صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد ظاهرًا باديًا أصلا، ومتى أعطيت هذا الموضع حقه تبين لك أن ما أخبر به الرسول من عذاب القبر ونعيمه وضيقه وسعته وضمه، وكونه حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة، مطابق للعقل وأنه حق لا مرية فيه، وأن من أشكل عليه ذلك فمن سوء فهمه وقلة علمه أُتى كما قيل:

وكم من عائبٍ قولاً صحيحًا ... وآفته من الفهم السقيم

وأعجب من ذلك أنك تجد النائمين فى فراش واحد وهذا روحه فى النعيم ويستيقظ وأثر النعيم على بدنه. وهذا روحه فى العذاب ويستيقظ، وأثر العذاب على بدنه وليس عند أحدهما خبر بما عند الآخر، فأمر البرزخ أعجب من ذلك[1].

• نعيم المؤمن فى قبره •

فالمؤمن ينتقل فى قبره من نعيم إلى نعيم.

فأول نعيم يلقاه فى قبره: أن الله (جل وعلا) يثبته عند سؤال الملكين... قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ

(١) الروح (ص: ٨٥: ٨٦).

www.ibtesama.com

اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (إبراهيم:٢٧).

ويرى المؤمن فى قبره (النار) التى وقاه الله منها ويرى مقعده ومكانه فى الجنة... وينور الله له قبره ويفسح له فى قبره بل وينام المؤمن فى قبره أطيب نومة ويكون فى قمة شوقه لمن يبشر أهله بالنعيم الذى يجده فى قبره.

* قال ﷺ: «لما أصيب إخوانكم بأُحد، جعل الله أرواحهم فى جوف طير خضر ترد أنهار الجنة، تأكل من ثمارها، وتأوى إلى قناديل من ذهب، معلقة فى ظل العرش، فلما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم، قالوا: من يبلغ إخواننا عنا أنّا أحياء نُرزق، لئلا يزهدوا فى الجهاد، ولا ينكلوا عند الحرب؟ فقال الله تعالى: «أنا أبلغهم عنكم»[1].

* بل إن أعماله الصالحة تُمثَّل له وتؤنسه فى قبره كما جاء فى حديث البراء أنه «يُمثَّل له رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح، فيقول: أبشر بالذى يسرّك، أبشر برضوان من الله، وجنات فيها نعيم مقيم، هذا يومك الذى كنت تُوعد، فيقول له: وأنت فبشرك الله بخير، من أنت؟ فوجهك الوجه يجىء بالخير، فيقول: أنا عملك الصالح».

* بل إن الله يملأ عليه قبره خضرًا إلى يوم يُبعثون. كما جاء فى الحديث: «...ويُفسح له فى قبره ويُملأ عليه خضرًا إلى يوم يُبعثون».

* ويُفرش له قبره من الجنة.. كما فى حديث البراء: «فينادى منادٍ من السماء: أن صدق عبدى فأفرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة».

* ويُبشَّر بصلاح ولده فى قبره. قال مجاهد: «إن الرجل ليُبشَّر بصلاح ولده فى قبره».

• أما الصنف الآخر •

أما الصنف الآخر فينادَى عليه من السماء: أن كذب عبدى. وياله من خزى وياله من عذاب... ثم يضيق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه ويمتلىء عليه قبره ظُلمة... ويُفرش له قبره من النار ويُسلَّط عليه التنِّين الذى يلسعه وينهشه... بل ويُضرب بمطراقٍ حتى يصير ترابًا ثم يُعيده الله كما كان... ويُمثَّل له عمله فى قبره.

ففى حديث البراء: «ويأتيه رجل قبيح الوجه... فيقول أنا عملك الخبيث».

فنسأل الله العفو والعافية.

---

(١) رواه أحمد وأبو داود والحاكم عن ابن عباس وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٢٠٥).

www.ibtesama.com

• الأرواح قسمان: منعمة ومعذبة •

الأرواح قسمان: مُنعَّمة ومُعَذَّبة.

فأما المعذبة فهى فى شغل عن التزاور والتلاقى. وأما المنعمةُ المرسلة، غير المحبوسة، فتتلاقى وتتزاور وتتذاكر ما كان منها فى الدنيا، وما يكون من أهل الدنيا، فتكون كل روح مع رفيقها، الذى هو على مثل عملها، وروح نبينا محمد ﷺ فى الرفيق الأعلى.

* قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَٰئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء:٦٩). هذه المعية ثابتةٌ فى الدنيا، وفى دار البرزخ، وفى دار الجزاء، والمرء مع من أحب فى هذه الدور الثلاثة»[١].

• الأدلة على عذاب القبر ونعيمه من القرآن الكريم •

لقد أنكر جماعة من الزنادقة عذاب القبر ونعيمه وجعلوا عامة المسلمين يشكون فى هذا الأمر... فإلى هؤلاء جميعًا نهدى بعض الأدلة من الكتاب والسُنة على عذاب القبر ونعيمه.

* قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ (الأنعام:٩٣).

«وجه الدلالة من هذه الآية أنه إذا كان يُفعل به هذا وهو محتضر بين ظهرانى أهله صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم وهم لا يرون شيئًا من ذلك ولا يسمعون شيئًا من ذلك التقريع والتوبيخ ولا يدرون بشىء من ذلك الضرب، غير أنهم يرون مجرد احتضاره وسياق نفسه، ولا يعلمون بشىء مما يقاسى من الشدائد، فلأن يُفعل له فى قبره أعظم منه ولا يعلمه من كشف عليه أولى وأظهر؛ لأنهم لم يطلعوا على ما يناله بين أظهرهم فكيف وقد انتقل إلى عالم غير عالمهم ودار غير دارهم»[٢].

* وقال تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ (التوبة:١٠١). وهذه الآية

(١) الروح/ لابن القيم (ص: ٢٦).
(٢) بتصرف من معارج القبول.

www.ibtesama.com

تدل على أن هناك عذابين سيصيبان المنافقين قبل عذاب يوم القيامة، العذاب الأول: ما يصيبهم الله به فى الدنيا إما بعقاب من عنده وإما بأيدى المؤمنين، والعذاب الثانى: عذاب القبر.

قال الحسن البصرى: «سنعذبهم مرتين: عذاب الدنيا، وعذاب القبر»(١).

* وقال تعالى: ﴿فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتِ مَا مَكَرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ (٤٥) النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ (غافر:٤٥:٤٦).

* والآية حجة واضحة لأهل السنة الذين أثبتوا عذاب القبر، فإن الحق تبارك وتعالى قرر أن آل فرعون يُعرضون على النار غُدوًا وعشيًا، وهذا قبل يوم القيامة؛ لأنه قال بعد ذلك: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ ، قال القرطبى: «الجمهور على أن هذا العرض يكون فى البرزخ، وهو حجة فى تثبيت عذاب القبر»(٢).

* وقال تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (السجدة:٢١)، وقد احتج بهذه الآية جماعة (منهم عبد الله بن عباس) على عذاب القبر، وفى الاحتجاج بها شىء؛ لأن هذا عذاب فى الدنيا يستدعى به رجوعهم من الكفر ولم يكن هذا مما يخفى على حبر الأمة وترجمان القرآن، لكن من فقهه فى القرآن ودقة فهمه فيه، فهم منها عذاب القبر فإنه سبحانه أخبر أن له فيهم عذابين أدنى وأكبر، فأخبر أنه يذيقهم بعض الأدنى ليرجعوا، فدل على أنه بقى لهم من الأدنى بقية يعذبون بها بعد عذاب الدنيا، ولهذا قال من العذاب الأدنى، ولم يقل ولنذيقنهم العذاب الأدنى... فتأمله.

وهذا نظير قول النبى ﷺ: «فيفتح له طاقة إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها» ولم يقل فيأتيه حرها وسمومها، فإن الذى وصل إليه بعض ذلك وبقى له أكثره والذى ذاقه أعداء الله فى الدنيا بعض العذاب الأدنى، وبقى لهم ما هو أعظم منه»(٣).

* وقال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (إبراهيم:٢٧).

---

(١) فتح البارى (٣/ ٢٣٣).

(٢) فتح البارى (١١/ ٢٣٣).

(٣) الروح (ص: ١٠٢).

www.ibtesama.com

وفى الحديث الذى رواه البخارى عن البراء بن عازب عن النبى ﷺ: «إذا أُقعد المؤمن فى قبره أتى ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله فذلك قوله: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ﴾، وفى رواية أخرى: وزاد: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ نزلت فى عذاب القبر».

* وقال تعالى: ﴿فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ (٨٣) وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ (٨٤) وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَكِن لاَّ تُبْصِرُونَ (٨٥) فَلَوْلا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ (٨٦) تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (٨٧) فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ (٨٩) وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلامٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١) وَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ (الواقعة:٨٣:٩٤).

وقد استدل الإمام ابن القيم بهذه الآيات على عذاب القبر «فى كتاب الروح».

* وقال تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيئَـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾ (نوح:٢٥).

ـ قال الألوسى فى «روح المعانى»:

« ﴿فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾ هى نار البرزخ والمراد: عذاب القبر. ومن مات فى ماء أو نار أو أكلته السباع أو الطير مثلاً أصابه ما يصيب المقبور من العذاب»[1].

* وقال فخر الدين الرازى فى «مفاتيح الغيب»: «تمسّك أصحابنا فى إثبات عذاب القبر بقوله: ﴿أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾ وذلك من وجهين:

الأول: أن الفاء فى قوله تعالى: ﴿فَأُدْخِلُوا نَارًا﴾ تدل على أنه حصلت تلك الحالة عقيب الإغراق فلا يمكن حملها على عذاب الآخرة، وإلا بطلت دلالة هذه الفاء.

الثانى: أنه قال: ﴿فَأُدْخِلُوا﴾ على سبيل الإخبار عن الماضى. وهذا إنما يصدق لو وقع ذلك»[2] اهـ.

* وقال تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ (٤٥) يَوْمَ لا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلا هُمْ يُنصَرُونَ (٤٦) وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ (الطور:٤٥:٤٧).

---

(١) تفسير القرطبى (١٠/ ٦٧٩٠).

(٢) مفاتيح الغيب/ للرازى (١٥/ ٧٥١).

www.ibtesama.com

قال ابن جرير فى «تفسيره»(١):

«عن البراء: ﴿عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾ قال: عذاب القبر.

وعن قتادة: أن ابن عباس كان يقول: إنكم لتجدون عذاب القبر فى كتاب الله ﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ﴾.

قال ابن جرير: والصواب من القول فى ذلك عندى أن يقال: إن الله تعالى أخبر أن للذين ظلموا أنفسهم بكفرهم به عذابًا دون يومهم الذى فيه يُصعقون، وذلك يوم القيامة، فعذاب القبر دون يوم القيامة؛ لأنه فى البرزخ، والجوع الذى أصاب كفار قريش...».

* وهذا يحتمل أن يراد به عذابهم بالقتل وغيره فى الدنيا وأن يراد به عذابهم فى البرزخ وهو أظهر؛ لأن كثيراً منهم مات ولم يُعذَّب فى الدنيا وقد يقال وهو أظهر: إن من مات منهم عذب فى البرزخ، ومن بقى منهم عذب فى الدنيا بالقتل وغيره، فهو وعيد بعذابهم فى الدنيا وفى البرزخ»(٢).

* قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ (طه:١٢٤).

قال رسول الله ﷺ: «عذاب القبر»(٣).

* وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِى أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوءٍ بَلَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (النحل:٢٨، ٢٩).

* قال العلامة ابن كثير فى «تفسيره»(٤):

«يخبر تعالى عن حال المشركين الظالمى أنفسهم عند احتضارهم ومجىء الملائكة إليهم...

وهم يدخلون جهنم من يوم مماتهم بأرواحهم، وينال أجسادهم فى قبورهم من حرها

(١) تفسير ابن جرير (١١/ ٣٦: ٣٧).

(٢) الدر المنثور/ للسيوطى (٦/ ١٢٠) ـ والروح لابن القيم (ص: ١٠٢)

(٣) أخرجه الحاكم (١/ ٣٨) وقال: صحيح على شرط مسلم ووافقه الذهبى.

(٤) تفسير ابن كثير (٤/ ٨٨).

www.ibtesama.com

وسمومها، فإذا كان يوم القيامة سلكت أرواحهم فى أجسادهم وخلدت فى نار جهنم، كما قال تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وعشيًا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أدخلُوا آل فِرعَوْن أَشَدَّ الْعذابِ﴾ اهـ.

• ومن ورائهم برزخ إلى يوم يُبعثون •

قال الإمام ابن القيم: إنه ينبغى أن يُعلم أن عذاب القبر ونعيمه اسم لعذاب البرزخ ونعيمه وهو ما بين الدنيا والآخرة، وقال تعالى: ﴿وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (المؤمنون:١٠٠). وهذا البرزخ يشرف أهله فيه على الدنيا والآخرة، وسمى عذاب القبر ونعيمه، وأنه روضة أو حفرة نار، باعتبار غالب الخلق. فالمصلوب والحرق والغرق وأكيل السباع والطيور له من عذاب البرزخ ونعيمه قسطه الذى تقتضيه أعماله، وإن تنوعت أسباب النعيم والعذاب وكيفياتهما، فقد ظن بعض الأوائل أنه إذا حرق جسده بالنار وصار رمادًا، وذرى بعضه فى البحر وبعضه فى البر فى يوم شديد الريح أنه ينجو من ذلك فأوصى بنيه أن يفعلوا به ذلك. فأمر الله البحر فجمع ما فيه، وأمر البر فجمع ما فيه، ثم قال: قم فإذا هو قائم بين يدى الله، فسأله ما حملك على ما فعلت؟ فقال: خشيتك يارب وأنت أعلم، فما تلافاه أن رحمه، فلم يفت عذاب البرزخ ونعيمه لهذه الأجزاء التى صارت فى هذه الحال، حتى لو عُلق الميت على رءوس الأشجار فى مهاب الرياح لأصاب جسده من عذاب البرزخ حظه ونصيبه، ولو دفن الرجل الصالح فى أتون من النار لأصاب جسده من نعيم البرزخ وروحه نصيبه وحظه، فيجعل الله النار على هذا بردًا وسلامًا، والهواء على ذلك نارًا وسمومًا، فعناصر العالم ومواده منقادة لربها وفاطرها وخالقها يصرفها كيف يشاء، ولا يستعصى عليها منها شىء أراده، بل هى طوع مشيئته مذللة منقادة لقدرته، ومن أنكر هذا فقد جحد رب العالمين وكفر به وأنكر ربوبيته[1].

• الأدلة على عذاب القبر من السُنة المطهرة •

اعلم ـ أخى الحبيب ـ أن الأحاديث الواردة فى عذاب القبر ونعيمه متواترة وهى أخبار ثابتة توجب العلم وتنفى الشك والريب.

---

(١) الروح (ص: ٩٨: ٩٩).

www.ibtesama.com

* يقول شارح الطحاوية: «وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ فى ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا نتكلم فى كيفيته، إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته، لكونه لا عهد له به فى هذه الدار، والشرع لا يأتى بما تحيله العقول بل إن الشرع قد يأتى بما تحار فيه العقول، فإن عودة الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود فى الدنيا، بل تعاد إليه إعادة غير الإعادة المألوفة فى الدنيا»(١).

* ويقول الإمام ابن القيم: «أما أحاديث عذاب القبر ومساءلة منكر ونكير فكثيرة متواترة عن النبى ﷺ »(٢).

* ولقد ترجم الإمام البخارى فى كتاب الجنائز (لعذاب القبر) فقال: باب ما جاء فى عذاب القبر.

* عن أنس رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «العبدُ إذا وُضع فى قبره وتولّى وذهب أصحابه حتى أنَّه لَيسمع قرع نعالهم أتاه ملكان فأقعداه فيقولان له: ما كنت تقول فى هذا الرجل محمد ﷺ ؟ فيقول: أشهد أنَّهُ عبد الله ورسوله. فيقال انظر إلى مقعدك من النَّار أبدلك الله به مقعداً من الجنة. قال النبى ﷺ: فيراهما جميعًا. وأمَّا الكافرُ أو المنافق فيقول: لا أدرى، كنتُ أقول ما يقول الناسُ. فيقال: لا دَرَيتَ ولا تليت، ثم يُضربُ بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيحُ صيحةً يسمعها من يليه إلا الثقلين» (أخرجه البخارى) ورواه مسلم من طرق عن قتادة بنحوه وزاد فيه:

«قال قتادة: وذُكر لنا أنَّهُ يفسح له فى قبره سبعون ذراعًا ـ يعنى المؤمن ـ ويملأ عليه خضرًا إلى يوم يبعثون» (أخرجه مسلم).

وقال ﷺ: «لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يُسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع» (أخرجه مسلم).

* وعن ابن عباس (رضى الله عنهما) أنَّ رسول الله ﷺ: «كان يعلمهم هذا الدعاء كما يُعلم السورة من القرآن قولوا: «اللَّهم إنى أعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجَّال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات» (أخرجه مسلم).

(١) شرح الطحاوية (ص: ٤٥٠).

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ٤٣) ـ والروح (ص: ٧٠).

www.ibtesama.com

* وعن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «إنَّ أحَدكمْ إذا مات عُرض عليه مقعده بالغداة والعشى، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النَّار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة» (متفق عليه).

* وعن عائشة رضى الله عنها قالت: دخلت علىّ عجوزان من عُجز يهود المدينة فقالتا: إنَّ أهل القبور، يعذَّبون فى قبورهم. قالت: فكذبتهما ولم أنعم أن أصدقهما، فخرجتا ودخل علىَّ رسول الله ﷺ فقلت له: يا رسول الله إن عجوزين من عجز يهود المدينة دخلتا علىَّ فزعمتا أن أهل القبور يعذبون فى قبورهم، فقال: صدقتا إنهم يعذبون عذابًا تسمعه البهائم، ثم قالت: فما رأيته بعدُ فى صلاة إلا يتعوذ من عذاب القبر» (أخرجه مسلم).

* وعن أبى هريرة رضى الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «إذا قُبر الميتُ ـ أو قال أحدكم ـ أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما: المنكر والآخر النكير فيقولان: ما كنت تقول فى هذا الرجل؟ فيقول ما كان يقول: هو عبد الله ورسوله أشهدُ أن لا إله إلا الله وأنَّ محمدًا عبدهُ ورسولهُ. فيقولان قد كنا نعلم أنَّك تقول هذا. ثم يُفسح له فى قبره سبعونَ ذراعًا فى سبعين ثم ينور له فيه، ثم يقال له: نم فيقول: أرجع إلى أهلى فأخبرهم، فيقولان نم كنومة العروس الذى لا يوقظه إلا أحب أهليه إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك، وإن كان منافقًا قال: سمعت الناس يقولون، فقلت مثله، لا أدرى. فيقولان: قد كنَّا نعلم أنَّك تقول ذلك. فيقال للأرض التئمى عليه، فتلتئم عليه، فتختلف أضلاعه، فلا يزال فيها معذبًا حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك»(١).

* وقال رسول الله ﷺ: «إذا وُضعت الجنازة فاحتملها الرجال على أعناقهم فإنْ كانت صالحة قالت: قَدمِّونى قدِّمونى، وإن كانت غير صالحة قالت: يا ويلها، أين يذهبون بها؟ يسمع صوتها كل شىء إلا الإنسان، ولو سمعها الإنسان لصعق»(٢).

* وعن زيد بن ثابت قال: قال أبو سعيد ولم أشهده من النبى ﷺ فى حائط لبنى النجار على بغلة له ونحنُ معهُ إذ حادت به فكادت تلقيه، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة، فقال: «مَنْ يعرفَ أصحابَ هذه الأقبر؟» فقال رجلٌ: أنا. قال: «فمتى ماتَ

(١) رواه الترمذى عن أبى هريرة وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٧٢٤).

(٢) رواه البخارى (٣/ ٢٤٤) فى الجنائز: باب كلام الميت على الجنازة وفى (٣/ ١٨١) فى الجنائز: باب حمل الرجال الجنازة دون النساء، وباب قول الميت وهو على الجنازة: قدمونى.

www.ibtesama.com

هؤلاء؟» قال: ماتوا فى الإشراك. فقال: «إنَّ هذه الأمَّةُ تُبتلى فى قبورها، فلولا أن لا تدافنوا لدعوتُ الله أن يُسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع منه، ثم أقبل علينا بوجهه فقال: تعوذوا بالله من عذاب النار». قالوا: نعوذُ بالله من عذاب النار. فقال: «تعوذُوا بالله من عذاب القبر». قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر. قال: «تعوذُوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن». قالوا: نعوذُ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن. قال: «تعوذُوا بالله من فتنة الدجَّال». قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال»(١).

* وعن سمرة بن جندب قال: كان النبىﷺ إذا صلى صلاة أقبل علينا بوجهه فقال: «من رأى منكم الليلة رؤيا؟» قال: فإن رأى أحد رؤيا قصها فيقول: «ما شاء الله». فسألنا يومًا فقال: «هل رأى أحد منكم رؤيا؟» قلنا: لا، قال: «لكنى رأيت الليلة رجلين أتيانى فأخذا بيدى وأخرجانى إلى الأرض المقدسة فإذا رجل جالس ورجل قائم بيده كلّوب من حديد يدخله فى شدقه حتى يبلغ قفاه، ثم يفعله بشدقه الآخر مثل ذلك، ويلتئم شدقه هذا فيعود فيصنع مثله، قلت: ما هذا؟ قالا: انطلق، فانطلقنا حتى أتينا على رجل مضطجع على قفاه ورجل قائم على رأسه بصخرة أو فِهر ـ أى: حجر ـ فيشدخ بها رأسه، فإذا ضربه تدهده الحجر فانطلق إليه ليأخذه فلا يرجع إلى هذا حتى يلتئم رأسه، وعاد رأسه كما هو فعاد إليه فضربه، قلت: ما هذا؟ قالا: انطلق، فانطلقنا إلى نقب مثل التنور أعلاه ضيق وأسفله واسع يوقد تحته نار فإذا فيه رجال ونساء عراة فيأتيهم اللهب من تحتهم، فإذا اقترب ارتفعوا حتى كادوا يخرجوا، فإذا خمدت رجعوا، فقلت: ما هذا؟ قالا: انطلق فانطلقنا حتى أتينا على نهر من دم فيه رجل قائم وعلى وسط النهر رجل بين يديه حجارة، فأقبل الرجل الذى فى النهر، فإذا أراد أن يخرج رمى الرجل بحجر فى فيه فردَّه حيث كان، فجعل كلما جاء ليخرج رمى فى فيه بحجر فرجع كما كان، فقلت: ما هذا؟ قالا: انطلق فانطلقنا حتى أتينا إلى روضة خضراء فيها شجرة عظيمة وفى أصلها شيخ وصبيان، وإذا رجل قريب من الشجرة بين يديه نار يوقدها، فصعدا بى الشجرة وأدخلانى دارًا لم أر قط أحسن منها، فيها شيوخ وشبان ثم صعدا بى فأدخلانى دارًا هى أحسن وأفضل، قلت: طوفتمانى الليلة فأخبرانى عما رأيت، قالا: نعم... الذى رأيته يشق شدقه كذاب يحدث بالكذب فتحمل عنه حتى تبلغ الآفاق فيصنع به إلى يوم القيامة. والذى رأيته يُشدخ رأسه فرجل علَّمه الله القرآن فنام عنه

(١) أخرجه مسلم (٢٨٦٧) الجنة وصفة نعيمها.

www.ibtesama.com

بالليل ولم يعمل به بالنهار، يُفعل به إلى يوم القيامة. وأما الذى رأيت فى النقب فهم الزناة، والذى رأيته فى النهر فآكل الربا، وأما الشيخ الذى فى أصل الشجرة فإبراهيم والصبيان حوله فأولاد الناس، والذى يوقد النار فمالك خازن النار، والدار الأولى دار عامة المؤمنين، وأما هذه الدار فدار الشهداء، وأنا جبريل وهذا ميكائيل فرفع رأسه فرفعت رأسى فإذا قصر مثل السحابة قالا: ذلك منزلك، قلت: دعانى أدخل منزلى قالا: إنه بقى لك عمر لم تستكمله فلو استكملته أتيت منزلك»(١).

* قال الإمام ابن القيم: «وهذا نص فى عذاب البرزخ فإن رؤيا الأنبياء وحى مطابق لما فى نفس الأمر»(٢).

* وعن عوف بن مالك رضى الله عنه قال: «صلّى رسول الله ﷺ على جنازة فحفظت من دعائه وهو يقول: «اللَّهم اغفر له وارحمه وعافه واعف عنه وأكرم نُزلهَ ووسع مدخله واغسله بالماء والثلج والبرد، ونقِّه من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من الدنسِ، وأبدلهُ دارً خيرًا من داره وأهلاً خيرًا من أهله وزوجًا خيرًا من زوجه، وأدخله الجَنة وأعذه من عذاب القبر ومن عذاب النار» قال: حتى تمنيت أن أكون ذلك الميت. وفى رواية: «وقه فتنة القبر وعذاب النار»(٣).

• عذاب القبر ينال من هو مستحق •

قال الإمام ابن القيم: ومما ينبغى أن يُعلم أن عذاب القبر هو عذاب البرزخ، فكل من مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه قُبر أو لم يُقبر، فلو أكلته السباع أو أحرق حتى صار رمادًا ونُسف فى الهواء أو صلب أو غرق فى البحر وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى القبور»(٤).

* * *

(١) أخرجه البخارى ومسلم وأحمد.

(٢) الروح (ص: ٧٨: ٧٩).

(٣) أخرجه مسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه وأحمد.

(٤) الروح (ص: ٧٨).

www.ibtesama.com

• أسباب عذاب القبر •

* قال الإمام ابن القيم: «ما الأسباب التى تعذب بها أصحاب القبور؟ فجوابها من وجهين: مجمل ومفصل:

أما المُجمل: فإنهم يُعذَّبون على جهلهم بالله وإضاعتهم لأمره وارتكابهم لمعاصيه، فلا يعذب الله روحًا عرفته وأحبته وامتثلت أمره، واجتنبت نهيه، ولا بدنًا كانت فيه أبدًا فإن عذاب القبر وعذاب الآخرة أثر غضب الله وسخطه على عبده. فمن أغضب الله وأسخطه فى هذه الدار ثم لم يتب ومات على ذلك كان له من عذاب البرزخ بقدر غضب الله وسخطه عليه. فمستقل ومستكثر ومصدق ومكذب.

وأما الجواب المفصل: فقد أخبر النبى ﷺ عن الرجلين اللذين رآهما يعذَّبان فى قبورهما يمشى أحدهما بالنميمة بين الناس، ويترك الآخر الاستبراء من البول،....».

* فعذاب القبر من معاصى القلب والعين والأذن والفم واللسان والبطن والفرج واليد والرجل والبدن كله.

* فالنمام والكذّاب والمغتاب وشاهد الزور وقاذف المحصن والداعى إلى البدعة، والقائل على الله ورسوله ما لا علم له به والمجازف فى كلامه، وآكل الربا، وآكل أموال اليتامى ظلمًا، وآكل السحت من الرشوة، وآكل مال أخيه المسلم بغير حق أو مال المعاهد، وشارب المسكر وآكل لقمة الشجرة الملعونة «الحشيش»، والزانى واللوطى، والسارق والخائن والغادر والمخادع والماكر، وآخذ الربا ومعطيه وكاتبه وشاهداه، والمحلل والمحلل له، والمحتال على إسقاط فرائض الله وارتكاب محارمه، ومؤذى المسلمين ومتتبع عوراتهم، والحاكم بغير ما أنزل الله، والمفتى بخلاف ما شرعه الله، والمعين على الإثم والعدوان، وقاتل النفس التى حرم الله، والملحد فى حرم الله، والمعطل لحقائق أسماء الله وصفاته الملحد فيها، والمقدم رأيه وذوقه وسياسته على سنة رسول الله ﷺ ، والنائحة والمستمع إليها، ونوّاحى جهنم وهم المغنون الغناء الذى حرمه الله ورسوله والمستمع إليهم، والذين يبنون المساجد على القبور يوقدون عليها القناديل والسرج، والمطففون فى استيفاء مالهم إذا أخذوا، وهضم ما عليهم إذا بذلوه، والجبارون والمتكبرون والمراءون والهمازون واللمازون والطاعنون على السلف، والذين يأتون الكهنة والمنجمين والعرّافين، فيسألونهم ويصدقونهم، وأعوان الظلمة الذين باعوا

www.ibtesama.com

آخرتهم بدنيا غيرهم، والذى يفتخر بالمعصية ويتكثر بها بين إخوانه وأضرابه وهو المجاهر، والذى لا تأمنه على مالك وحرمتك، والفاحش اللسان البذىء الذى تركه الخلق إتقاء شره وفُحشه، والذى يؤخر الصلاة إلى آخر وقتها وينقرها ولا يذكر الله فيها إلا قليلاً، ولا يؤدى زكاة ماله طيبة بها نفسه، ولا يحج مع قدرته على الحج، ولا يؤدى الحقوق مع قدرته عليها، ولا يتورع من لحظة ولا لفظة ولا أكلة ولا خطوة. ولا يبالى بما حصَّل المال من حلال أو حرام، ولا يصل رحمه، ولا يرحم المسكين ولا الأرملة ولا اليتيم ولا الحيوان البهيم، بل يدع اليتيم ولا يحض على طعام المسكين، ويرائى العالمين، ويمنع الماعون، ويشتغل بعيوب الناس عن عيبه، وبذنوبهم عن ذنبه، فكل هؤلاء وأمثالهم يُعذبون فى قبورهم بهذه الجرائم بحسب كثرتها وقلتها وصغيرها وكبيرها، ولما كان أكثر الناس كذلك كان أكثر أصحاب القبور معذبين والفائز منهم قليل، فظواهر القبور تراب، وبواطنها حسرات وعذاب،... ظواهرها بالتراب والحجارة المنقوشة مبنيات. وفى باطنها الدواهى والبليات. تغلى بالحسرات كما تغلى القدور بما فيها. ويحق لها وقد حيل بينها وبين شهواتها وأمانيها[1].

• الأسباب المفصلة لعذاب القبر •

(١) الشرك بالله والكفر به:

ومن أعظم أسباب عذاب القبر ـ الإشراك بالله ـ .

قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ (الأنعام:٩٣).

وذلك أن الكافر إذا احتُضر بشَّرته الملائكة بالعذاب والنكال والأغلال والسلاسل والجحيم وغضب الرحمن الرحيم فتفرق روحه فى جسده وتعصى وتأبى الخروج فتضربهم الملائكة حتى تُخرج أرواحهم من أجسادهم قائلين لهم ﴿أَخْرِجُوا أَنفسكم الْيَوْمَ تُجْزَون عَذابَ الْهُونِ..﴾ [2].

---

(١) الروح/ لابن القيم (١٠٣: ١٠٦) بتصرف

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ١٥٦).

www.ibtesama.com

وقال تعالى عن آل فرعون: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ (غافر:٤٦).

فالمراد بالنار هنا عذاب القبر ونيرانه لأن الله (عز وجل) قال بعدها: «ويوم تقوم الساعة أدخلوا آل فرعون أشد العذاب».

* وعن أبى أيوب قال: خرج النبى ﷺ وقد وجبت الشمس فسمع صوتًا فقال: «يهودُ تُعذَّب فى قبورها» (متفق عليه).

(٢) النفاق:

إن المنافقين أشد خطرًا على الإسلام من الكفار الذين يجهرون بعداوتهم للإسلام وأهله... فهم الذين يُشعلون نار الفتنة بين المسلمين ويهدمون جدار الإسلام ـ باسم الإسلام ـ ولذلك فإن الله يُشعل قبورهم نارًا كما أشعلوا نيران الفتنة بين المسلمين.

قال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ (التوبة:١٠١).

أما قوله تعالى: ﴿سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ﴾ قال قتادة والربيع بن أنس: إحداهما فى الدنيا والآخرة هى عذاب القبر.

وفى بعض أحاديث ـ سؤال الملكين ـ جاء التصريح بأن المنافق يُعذَّب فى قبره.

قال ﷺ: «.. وإن كان منافقًا قال: سمعت الناس يقولون قولاً، فقلت مثله، لا أدرى، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال للأرض: التئمى عليه، فتلتئم عليه، فتختلف أضلاعه، فلا يزال فيها معذبًا،حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك» (السلسلة الصحيحة:١٣٩١).

(٣) الكذب:

ففى الحديث الذى رواه البخارى عن سمرة بن جندب (رضى الله عنه) والذى يصوّر بعض مشاهد العذاب فى القبر... قال ﷺ: «... فانطلقنا، فأتينا على رجل مُستلق لقفاهُ، وإذا آخرُ قائمٌ عليه بكلوب من حديد، وإذا هو يأتى أحد شقى وجهه فيشرشرُ شدقهُ إلى قفاهُ، ومنخره إلى قفاهُ، وعينه إلى قفاهُ، ثم يتحول إلى الجانب الآخر فيفعلُ به مثل ما فعل بالجانب الأول، فما يفرغُ من ذلك الجانب حتى يصح ذلك الجانبُ كما كان ثم يعودُ عليه فيفعل مثل ما فعل المرة الأولى...» الحديث.

www.ibtesama.com

الكلوبُ: حديدة معوجة ينزع بها الشيء أو يعلق.

يُشرشِرُ: أي يقطع.

ثم جاء البيان فى آخر الحديث بقول الملكين للرسول ﷺ: «... وأما الرجلُ الذى أتيتَ عليه يُشرشرُ شدقهُ إلى قفاهُ، ومنخره إلى قفاهُ، وعينهُ إلى قفاهُ، فإنهُ الرجل يغدو من بيته فيكذبُ الكذبة تبلغُ الآفاق...» الحديث.

وفى رواية: «أما الذى رأيته يُشق شدقهُ فكذابٌ يحدثُ بالكذبة فتُحمل عنه حتى تبلغ الآفاق فيُصنعُ به ما رأيت إلى يوم القيامة...» (أخرجه البخارى).

(٤-٥) هجر القرآن بعد تعلمه والنوم عن الصلاة المكتوبة:

وفى نفس الحديث السابق يوضح لنا النبى ﷺ مشهد عذاب القبر لمن هجر القرآن بعد تعلّمه ولمن ينام عن الصلاة المكتوبة... قال ﷺ: «... وأنا أتينا على رجل مُضطجع، وإذا آخر قائمٌ عليه بصخرة، وإذا هو يهوى بالصخرة لرأسه فيثلغُ رأسهُ فيتدهدهُ الحجرُ ها هنا، فيتبعُ الحجر، فيأخذهُ فلا يرجعُ إليه حتى يصح رأسهُ كما كان، ثم يعودُ عليه فيفعل به مثل ما فعل المرة الأولى!...».

«يَثْلَغْ رأسهُ»: أي يشدخه ويشقه.

«يَتَدَهْدَهُ»: أي يتدحرج والمراد أنه دفعه من عُلوٍ إلى أسفل وتدهده إذا انحط.

ثم جاء البيان فى آخر الحديث بقول الملكين للرسول ﷺ: «... وأما الرجلُ الأول الذى أتيتَ عليه يُثلغُ رأسه بالحجر، فإنه الرجل يأخذُ القرآن فيرفضهُ وينامُ عن الصلاة المكتوبة».

وفى رواية: «والذى رأيته يُشدخُ رأسه فرجلٌ علمهُ الله القرآن، فنام عنهُ بالليل ولم يعمل فيه بالنهار، يُفعلُ به إلى يوم القيامة» (أخرجه البخارى).

قال ابن حجر: قال ابن هبيرة: رفْض القرآن بعد حفظه جناية عظيمة لأنه يوهم أنه رأى فيه ما يوجب رفضه، فلما رفض أشرف الأشياء وهو القرآن عوقب فى أشرف أعضائه وهو الرأس.

وقال أيضًا: يحتمل أن يكون التعذيب على مجموع الأمرين ترك القراءة وترك العمل.

أما النوم عن الصلاة المكتوبة وترك صلاتها مع جماعة المسلمين بل يثقل رأسه على

www.ibtesama.com

الفراش، فجزاؤه أن يُثلغ ويرضخ هذا الرأس الذى هذا فعله وشأنه، وهكذا يُعذب إلى قيام الساعة، فقد جاء فى بعض الروايات:

«... فيُفعل به إلى يوم القيامة»[١].

* وذكر أيضًا عن عمرو بن دينار قال: كان رجل من أهل المدينة وكانت له أخت فى ناحية المدينة، فاشتكت وكان يأتيها يعودها ثم ماتت فدفنها، فلما رجع ذكر أنه نسى شيئًا فى القبر كان معه، فاستعان برجل من أصحابه، قال: فنبشنا القبر ووجدت ذلك المتاع، فقال للرجل: تنحَّ حتى أنظر على أى حال أختى، فرفع بعض ما على اللحد فإذا القبر مشتعل نارًا فردَّه وسوى القبر، فرجع إلى أمه فقال: ما كان حال أختى؟ فقالت: ما تسأل عنها وقد هلكت؟ فقال: لتخبرينى، قالت: كانت تؤخر الصلاة ولا تصلى فيما أظن بوضوء، وتأتى أبواب الجيران فتلقم أذنها أبوابهم وتُخرج حديثهم[٢].

(٦) أكل الربا:

وفى الحديث السابق أيضًا: «... فانطلقنا فأتينا على نهر حسبتُ أنه كان يقولُ أحمر مثل الدم، وإذا فى النهر رجلٌ سابحٌ يسبحْ، وإذا على شط النهر رجلٌ قد جمع عندهُ حجارة كثيرة، وإذا ذلك السابحُ يسبحُ ما يسبحُ، ثم يأتى ذلك الذى قد جمع عندهُ الحجارة فيفغر ـ أى يفتح ـ له فاه فيُلقمه حجرًا فينطلق يسبح ثم يرجعُ إليه، كلما رجَعَ إليه فَغَرَ فاهُ فألقمه حجرًا...» الحديث.

وفى آخر الحديث: «وأما الرجل الذى أتيت عليه يسبح فى النهر ويلقم الحجر فإنه آكل الربا».

(٧) الزنا:

وفى الحديث السابق كذلك: «... فانطلقنا فأتينا على مثل التنور، قال: وأحسبُ أنه كان يقول: فإذا فيه لغطٌ وأصواتٌ، قال: فطلعنا فيه فإذا فيه رجالٌ ونساءٌ عُراة، وإذا هم يأتيهم لهبٌ من أسفل منهم إذا أتاهم ذلك اللهبُ ضوضوا....» ـ أى صاحوا ـ .

وفى آخر الحديث: «وأما الرجال والنساء العُراة الذين هم فى مثل بناء التنور فإنهم الزُناة والزوانى».

---

(١) فتح البارى (٣/ ٢٥١).

(٢) الروح (ص: ٩١).

www.ibtesama.com

* قال الحافظ ابن حجر فى «الفتح»[١]:

«مناسبة العرى لهم لاستحقاقهم أن يُفضحوا؛ لأن عادتهم أن يستتروا فى الخلوة فعوقبوا بالهتك، والحكمة فى إتيان العذاب من تحتهم كون جنايتهم من أعضائهم السفلى.

(٨، ٩) عدم الاستبراء من البول والمشى بين الناس بالنميمة:

فعن ابن عباس رضى الله عنهما قال: مر النبى ﷺ بحائط ـ أى بستان ـ من حيطان المدينة فسمعَ صوت إنسانين يُعذبان فى قبورهما، فقال النبى ﷺ: «إنهما ليُعذبان، وما يُعذبان فى كبير»، ثم قال: «بلى وإنهُ لكبير[٢] كان أحدهُما لا يستتر من بوله: وفى رواية: البول، وكان الآخر يمشى بالنميمة، ثم دعا بجريدة رطبة، وفى رواية: بعسيب رطب فكسرها كسرتين، وفى الرواية: فشقها نصفين، فوضع على كل قبر منهما كسرةً، فقيل له:يا رسول الله لِمَ فعلت هذا؟

* قال ﷺ: «لعلهُ أن يُخففَ عنهما ما لم ييبسا» (متفق عليه).

ـ وعن ابن عباس رضى الله عنهما عن النبى ﷺ: «إن عامة عذاب القبر من البول فتنزهوا منه»[٣].

* وقال ﷺ: «تنزهوا من البول فإن عامة عذاب القبر منه»[٤].

---

(١) فتح البارى (١٢/ ٤٦٥).

(٢) قال الحافظ ابن حجر: وقيل: ويحتمل أن الضمير فى قوله: «وأنه» يعود على العذاب، لما ورد فى «صحيح ابن حبان» من حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ: «يعذبان عذابًا شديدًا فى ذنب هين»، وقيل: المعنى ليس بكبير فى اعتقادهما أو فى اعتقاد المخاطبين وهو عند الله كبير كقوله تعالى ﴿وتحسبونه هينًا وهو عند الله عظيم﴾ (النور: ١٥)، وقيل: ليس بكبير الاحتراز منه، أى كان لا يشق عليهما الاحتراز من ذلك، وهذا الأخير جزم به البغوى وغيره، ورجحه ابن دقيق العيد وجماعة، وقيل: ليس بكبير بمجرده وإنما صار كبيرًا بالمواظبة عليه، ويرشد إلى ذلك السياق فإنه وصف كلاً منهما بما يدل على تجدد ذلك منه واستمراره عليه للإتيان بصيغة المضارعة بعد حرف كان. والله أعلم. أهـ.

قال الحافظ: معنى «الاستتار» أنه لا يجعل بينه وبين بوله ستره، يعنى: لا يتحفظ منه، فتوافق رواية «لا يستنزه» لأنها من التنزه وهو الإبعاد، وفى حديث أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ عند ابن خزيمة وصححه: «اكثر عذاب القبر من البول» أى: بسبب ترك التحرز منه. أهـ (الفتح: ١/ ٣٨٠) بتصرف.

(٣) رواه البزار والطبرانى والحاكم وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢١٠٢).

(٤) رواه الدارقطنى عن أنس وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٠٠٢).

www.ibtesama.com

(١٠) الغيبة:

ففى الحديث السابق الذى ذكر فيه النبى ﷺ أن أحدهما كان لا يستتر من البول وأن الآخر كان يمشى بالنميمة...

جاء فى بعض روايات هذا الحديث أن النبى ﷺ قال: «وأما الآخر فيُعذَّب فى الغيبة»(١).

وعن ميمونة ـ مولاة النبى ﷺ ـ أن النبى ﷺ قال لها: «يا ميمونة إن من أشد عذاب القبر: من الغيبة والبول»(٢).

• سبب تخصيص عذاب القبر من البول والغيبة والنميمة •

وقد ذكر بعضهم السر فى تخصيص البول والنميمة والغيبة بعذاب القبر وهو أن القبر أول منازل الآخرة، وفيه أنموذج ما يقع فى يوم القيامة من العقاب والثواب. والمعاصى التى يعاقب عليها العبد يوم القيامة نوعان: حق لله، وحق لعباده، وأول ما يُقضى فيه يوم القيامة من حقوق الله: الصلاة، ومن حقوق العباد: الدماء.

وأما البرزخ فيقضى فيه فى مقدمات هذين الحقين، ووسائلهما. فمقدمة الصلاة: الطهارة من الحدث والخبث، ومقدمة الدماء: النميمة، والوقيعة فى الأعراض، وهما أيسر أنواع الأذى، فيبدأ فى البرزخ بالمحاسبة، والعقاب عليهما.

(١١) جرّ الإزار خيلاء:

قال ﷺ: «بينما رجلٌ يجر إزاره إذ خُسف به فهو يتجلجل إلى يوم القيامة» (أخرجه البخارى).

وفى رواية: «بينما رجل يمشى فى حُلة تُعجبه نفسه مرجِل جُمته إذ خسف الله به فهو يتجلجل إلى يوم القيامة» (أخرجه البخارى).

قال الحافظ ابن حجر (رحمه الله): قال ابن فارس: التجلجل أن يسوخ فى الأرض مع اضطراب شديد ويندفع من شق إلى شق... فالمعنى يتجلجل فى الأرض أى ينزل فيها مضطربًا متدافعًا. اهـ.

---

(١) رواه أحمد وابن ماجه عن أبى بكرة وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٤٤١).

(٢) رواه ابن سعد بإسناد حسن.

www.ibtesama.com

(١٢) إيذاء الناس باللسان:

ففى حديث أبى هريرة (رضى الله عنه) ـ فى رواية ابن حبان ـ أن النبى ﷺ قال: «كان أحدهما لا يستتر من البول وكان الآخر يؤذى الناس بلسانه ويمشى بينهم بالنميمة»[١].

وإيذاء الناس باللسان يكون بالسب واللعن والكذب والاستهزاء والسخرية والقذف والفحش والغيبة وغيرها.

(١٣) حبس الحيوان وتعذيبه:

قال ﷺ: «ارحم من فى الأرض يرحمك من فى السماء»[٢].

ومن هذا المنطلق فإن الذى يعذب الحيوان ولا يرحمه فإن الله لا يرحمه لأن الرحمة لا تكون إلا للرحماء.

وفى حديث الكسوف الذى رواه مسلم عن جابر (رضى الله عنه): أن النبى ﷺ قال: «... وعُرضت علىَّ النار فرأيت فيها امرأة من بنى إسرائيل تُعذَّب فى هرةٍ لها. ربطتها فلم تُطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض» (أخرجه مسلم).

* قال البيهقى فى «إثبات عذاب القبر»[٣]: «ورأى النبى ﷺ حين صلى صلاة الخسوف من يجر قُصبه فى النار، ومن يُعذَّب فى السرقة، والمرأة التى كانت تعذب فى الهرة وقد صاروا فى قبورهم رميمًا فى أعين أهل زمانه، ولم ير من صلى معه من ذلك ما رأى».

(١٤) الدَّيْن:

فالميت قد يُحبس فى قبره بسبب الدَّين ولذلك يجب على كل مسلمٍ أن يرد إلى الناس حقوقهم قبل أن يترك الدنيا بكل ما فيها ويذوق العذاب الأليم بسبب تلك المظالم.

* عن جابر بن عبد الله قال: «توفى رجل فغسلناه وحنطناه وكفناه، ثم أتينا به النبى ﷺ ليصلى عليه فخطّ خطًا، ثم قال: «هل عليه دَيْن؟». قلنا: نعم. قال: «صلوا على صاحبكم»، فقال أبو قتادة: يا رسول الله دينه علىَّ؟، فقال النبى ﷺ: «هما عليك حق

---

(١) رواه ابن حبان وصححه الحافظ فى الفتح.

(٢) رواه الطبرانى فى الكبير عن جرير وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٨٩٦).

(٣) «اثبات عذاب القبر» للبيهقى (ص: ٩٧).

www.ibtesama.com

وبرء الميت؟»، قال: نعم. فصلى عليه، ثم لقيه فى الغد فقال: «ما فعل الديناران؟». فقال: يا رسول الله إنما مات أمس. ثم لقيه من الغد فقال: «ما فعل الديناران؟»، فقال يا رسول الله قد قضيتهما. فقال رسول الله ﷺ: «الآن بردت عليه جلده»(١).

* وعن سعد بن الأطول رضى الله عنه: «أن أخاه مات وترك ثلاثمائة درهم، وترك عيالاً، قال: فأردت أن أنفقها على عياله، قال: فقال لى نبى الله ﷺ: «إن أخاك محبوس بدَينه، فاذهب فاقض عنه»، فذهبت فقضيت عنه، ثم جئت، قلت: يا رسول الله، قد قضيت عنه إلا دينارين ادعتهما امرأة، وليست لها بينة، قال: «أعطها فإنها محقة» وفى رواية «صادقة»(٢).

فقد أخبر الرسول ﷺ أن ذلك الصحابى محبوس بسبب دينه، ويمكن أن يُفسر هذا الحبس الحديث الآخر حيث قال الرسول ﷺ: «إنه مأسور بدينه عن الجنة».

(١٥) الغلول من الغنيمة:

الغلول: هو أن يأخذ الغازى شيئًا من الغنيمة دون عرضه على ولى الأمر لقسمته.

قال ﷺ فى الرجل الذى أخذ الغلول: «والذى نفسى بيده إن الشملة التى أخذها يوم خيبر من المغانم لم تُصبها المقاسم لتشتعل عليه نارًا» ـ أى فى قبره» (متفق عليه).

(١٦) الإعراض عن ذكر الله:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ﴾ (طه:١٢٤).

عن أبى سعيد فى قوله (معيشة ضنكا) قال: يُضيَّق عليه قبره حتى تختلف أضلاعه فيه.

وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ فى قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ قال: «عذاب القبر»(٣).

وقال الإمام ابن القيم فى الداء والدواء: وفُسرت المعيشة الضنك بعذاب القبر ولا ريب أنه من المعيشة الضنك. ـ والآية تتناول ما هو أعمّ منه.

---

(١) رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبى.

(٢) رواه أحمد وصححه الألبانى فى أحكام الجنائز.

(٣) رواه البزار وقال ابن كثير: إسناده جيد.

www.ibtesama.com

(١٧) النياحة على الميت:

قال ﷺ: «إن الميت يُعذَّب ببكاء أهله عليه» (متفق عليه).

وقال ﷺ: «الميت يُعذَّب فى قبره بما نيح عليه» (أخرجه مسلم).

وهذا العذاب يكون لمن أوصى أهله بالنياحة عليه بعد موته أو لمن لم يوص أهله بترك النياحة مع علمه أنهم سيفعلون ذلك.. أما من أوصى بترك النياحة فلما مات لم يتركوا النياحة عليه فهذا لا شىء عليه.

والمقصود بالبكاء المذكور فى الحديث الأول هو النياحة المذكورة فى الحديث الثانى وذلك لأن مجرد البكاء لا شىء فيه بالنسبة للميت وأهله لأن البكاء رقة فى القلب تظهر بوضوح عند الموت وفراق الأحبه... ولقد بكى النبى ﷺ عند موت ابنه إبراهيم وعند موت بعض أصحابه (رضى الله عنهم وعن إبراهيم).

(١٨) الإفطار فى رمضان من غير عذر:

عن أبى أمامة (رضى الله عنه) قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «بينما أنا نائم أتانى رجلان فأخذا بضبعى فأتيا بى جبلاً وعراً فقالا: اصعد. فقلت: إنى لا أطيقه. فقالا: إنا سنسهله لك... فصعدت حتى إذا كنت فى سواء الجبل. إذا بأصوات شديدة قلت: ما هذه الأصوات؟ قالوا: هذا عواء أهل النار ثم انطلق بى فإذا أنا بقوم معلقين بعراقيبهم مشققة أشداقهم تسيل أشداقهم دمًا، قال: قلت: من هؤلاء؟ قال: الذين يفطرون قبل تحلة صومهم»(١).

(١٩) من منعت لبنها عن طفلها بغير عذر:

ففى الحديث السابق أن رسول الله ﷺ قال: «... ثم انطلق بى فإذا أنا بنساء تنهش ثديهن الحيات. قلت: ما بال هؤلاء؟ قال: هؤلاء يمنعهن أولادهن ألبانهن...»(٢).

(٢٠) اللواط:

قال ﷺ: «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول به»(٣). قال ابن عباس: «يُنظر أعلى بناء فى القرية فيُلقى منه ثم يُتبع بالحجارة كما فُعل بقوم لوط».

---

(١) رواه ابن خزيمة وابن حبان وصححه الألبانى فى صحيح الترغيب (٩٩٥).

(٢) رواه ابن خزيمة والحاكم وابن حبان، وصححه الألبانى فى الصحيحة (٣٩٥١).

(٣) رواه أحمد والنسائى وأبو داود وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٥٨٩).

www.ibtesama.com

ولقد عاقب الله قوم لوط عقابًا شديدًا فى الدنيا، وهذا مع ما ينتظرهم من العقوبة فى الآخرة... ولشناعة تلك الجريمة وقبحها عاقب الله مرتكبيها بأربعة أنواع لم يجمعها على قوم غيرهم: وهى أنه طمس أعينهم وجعل أعالى قراهم سافلها وأمطرهم بحجارة من سجيل منضود، وأرسل عليهم الصيحة، وفى هذه الشريعة صار القتل بالسيف ـ على الراجح ـ هو عقوبة الفاعل والمفعول به إذا كان عن رضى واختيار.

وقال ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ: «إن اللوطى إذا مات من غير توبة فإنه يُمسخ فى قبره خنزير».

(٢١) السرقة:

ففى حديث الكسوف الذى رواه مسلم عن جابر (رضى الله عنه) أن النبى ﷺ قال: «... وحتى رأيت فيها صاحب المحجن يجر قُصبه فى النار. كان يسرق الحاج بمحجنه فإن فطن له قال: إنما تعلَّق بمحجنى وإن غفل عنه ذهب به...».

والمحجن: عصا مغففة الطرف.

(٢٢) أمر الناس بالبر ونسيان النفس:

قال تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة:٤٤).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لا تَفْعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ (الصف:٢، ٣).

وقال ﷺ: «رأيتُ ليلة أُسرى بى رجالاً تُقرضُ شفاههم بمقاريض من نار، فقلتُ: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: الخُطباء من أمتكَ، يأمرون الناس بالبر وينسون أنفُسهم، وهُمْ يتلون الكتاب، أفلا يعقلون؟!»(١).

وعند البيهقى: «أتيت ليلة أُسرى بى على قوم تُقرض شفاههم بمقاريض من نار، كلما قُرضت وفَّت، فقلت: يا جبريل من هؤلاء؟ قال: خطباء أمتك الذين يقولون ما لا يفعلون، ويقرءون كتاب الله ولا يعملون به»(٢).

* * *

(١) رواه أبو يعلى وابن حبان وصححه الألبانى فى الصحيحة بمجموع طرقه (٢٩١).
(٢) رواه البيهقى عن أنس وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٢٩).

www.ibtesama.com

• الأسباب المنجية من عذاب القبر •

قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ:

«فجوابها أيضًا من وجهين: مجمل ومفصل.

* أما المجمل: فهو تجنب تلك الأسباب التى تقتضى عذاب القبر، ومن أنفعها أن يجلس الرجل عندما يريد النوم لله ساعة يحاسب نفسه فيها على ما خسره وربحه فى يومه، ثم يجدد له توبة نصوحًا بينه وبين الله، فينام على تلك التوبة ويعزم على أن لا يعاود الذنب إذا استيقظ، ويفعل هذا كل ليلة، فإن مات من ليلته مات على توبة وإن استيقظ استيقظ مستقبلاً للعمل مسرورًا بتأخير أجله، حتى يستقبل ربه ويستدرك ما فاته وليس للعبد أنفع من هذه النومة، ولا سيما إذا عقَّب ذلك بذكر الله واستعمال السنن التى وردت عن رسول الله ﷺ عند النوم حتى يغلبه النوم، فمن أراد الله به خيرًا وفقه لذلك، ولا قوة إلا بالله.

أما الجواب المُفصَّل: فنذكر أحاديث عن رسول الله ﷺ فيما ينجى من عذاب القبر.

(١) الإيمان والتقوى والعمل الصالح:

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق:٢، ٣).

ففى تلك الآيات وعد الله أهل التقوى بأن يجعل لهم مخرجًا من كل ضيق وليس هناك شدة ولا ضيق أعظم من شدة السكرات وخروج الروح ودخول القبر.

فمن كان فى الدنيا تقيًا فإن الفرَج والمخرج يكون له ثوابًا فى قبره...

قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ: «وقد جاء فيما ينجى من عذاب القبر حديث فيه الشفاء، رواه أبو موسى المدينى وبيَّن علته فى كتابه فى «الترغيب والترهيب» وجعله شرحًا له رواه من حديث الفرج بن فضاله،... عن عبد الرحمن بن سمرة، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن فى صفة بالمدينة فقام علينا فقال: «إنى رأيت البارحة عجبًا، رأيت رجلاً من أمتى أتاه ملك الموت ليقبض روحه فجاء برُّه بوالديه فردَّ ملك الموت عنه. ورأيت رجلاً من أمتى قد احتوشته الشياطين فجاءه ذكر الله فطيرَّ الشياطين عنه. ورأيت رجلاً من أمتى قد احتوشته ملائكة العذاب فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم.

www.ibtesama.com

ورأيت رجلاً من أمتى يلهث عطشًا كلما دنا من حوض مُنع وطُرد، فجاءه صيام شهر رمضان فأسقاه وأرواه. ورأيت رجلاً من أمتى ورأيت النبيين جلوسًا حلقًا حلقًا، كلما دنا إلى حلقة طُرد ومنع، فجاءه غُسله من الجنابة فأخذ بيده فأقعده إلى جنبى. ورأيت رجلاً من أمتى من بين يديه ظلمة ومن خلفه ظلمة، وعن يمينه ظلمة، وعن يساره ظلمة، ومن فوقه ظلمة، وهو متحير فيه فجاءه حجه وعمرته فاستخرجاه من الظلمة وأدخلاه فى النور، ورأيت رجلاً من أمتى يتقى وهج النار وشرورها فجاءته صدقته فصارت سترًا بينه وبين النار وظللاً على رأسه. ورأيت رجلاً من أمتى يكلم المؤمنين ولا يكلمونه فجاءته صلته لرحمه فقالت: يا معشر المؤمنين إنه كان وصولاً لرحمه فكلموه فكلمه المؤمنون وصافحوه وصافحهم. ورأيت رجلاً من أمتى قد احتوشته الزبانية فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر فاستنقذه من أيديهم وأدخله فى ملائكة الرحمة. ورأيت رجلاً من أمتى جاثيًا على ركبتيه وبينه وبين الله حجاب فجاءه حُسن خلقه فأخذه بيده فأدخله على الله عز وجل. ورأيت رجلاً من أمتى قد ذهبت صحيفته من قبل شماله فجاءه خوفه من الله عز وجل فأخذ صحيفته فوضعها فى يمينه. ورأيت رجلاً من أمتى خفَّ ميزانه فجاءه أفراطه فثقلوا ميزانه. ورأيت رجلاً من أمتى قائمًا على شفير جهنم فجاءه رجاؤه من الله عز وجل فاستنقذه من ذلك ومضى. ورأيت رجلاً من أمتى قد هوى فى النار فجاءته دمعته التى قد بكى من خشية الله عز وجل فاستنقذته من ذلك. ورأيت رجلاً من أمتى قائمًا على الصراط، يرعد كما ترعد السعفة فى ريح عاصف فجاءه حسن ظنه بالله عز وجل فسكَّن روعه ومضى. ورأيت رجلاً من أمتى يزحف على الصراط يحبو أحيانًا ويتعلق أحيانًا فجاءته صلاته علىَّ فأقامته على قدميه وأنقذته. ورأيت رجلاً من أمتى انتهى إلى أبواب الجنة فغلقت الأبواب دونه فجاءته شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة» قال الحافظ أبو موسى: هذا حديث حسن جدًا، وقال الإمام ابن القيم: وسمعت شيخ الإسلام يعظم أمر هذا الحديث، وقال أصول السنة تشهد له وهو من أحسن الأحاديث»[1].

(٢) الاستقامة على طاعة الله (جل وعلا):

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ

(١) الروح (ص: ١١٠: ١١٢).

www.ibtesama.com

وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلاً مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾ (فصلت:٣٠:٣٢).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٣) أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأحقاف:١٣، ١٤).

* فلقد أجرى الله الكريم عادته بكرمه أنه من عاش على شيء مات عليه ومن مات على شيء بُعث عليه... فمن عاش على الطاعة مخلصًا لله ومتبعًا لهدى رسول الله ﷺ فإنه يموت على الطاعة وينور الله له قبره بتلك الطاعة بل ويصبح قبره روضة من رياض الجنة جزاءً لكل لحظة عاشها في طاعة الله (جل وعلا).

(٣) الشهادة في سبيل الله تعالى:

قال ﷺ: «للشَّهيد عندَ الله سَبعُ خصال: يُغفرُ لهُ في أوَّل دَفعة من دمه، ويَرى مَقعده من الجنَّة، ويُحلَّى حُلَّةَ الإيمان، ويُزوجُ اثنين وسبعين زوجة من الحور العين ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضعُ على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خيرٌ من الدُّنيا وما فيها، ويَشفعُ في سبعين إنسانًا من أهل بيته»(١).

بل قال رجلٌ للحبيب ﷺ: «يا رسول الله ما بال المؤمنين يُفتنون في قبورهم إلا الشهيد؟ قال ﷺ: «كفى ببارقة السيوف على رَأسه فتنة»(٢).

* قال الشيخ الألباني: (تنبيه): تُرجى هذه الشهادة لمن سألها مخلصًا من قلبه ولو لم يتيسر له الاستشهاد في المعركة بدليل قوله ﷺ: «منْ سأل الله الشهادة بصدق، بلغهُ الله منازل الشهداء، وإن مات على فراشه» (أخرجه مسلم).

(٤) من مات شهيداً في غير حرب:

لقد أخبر الصادق المصدوق ﷺ بأن هناك شهداء غير الذين يُقتلون في سبيل الله... ولقد علمنا أن الشهيد يُجار من فتنة وعذاب القبر.

* قال ﷺ: «ما تعدون الشهيد فيكم؟» قالوا: يا رسول الله! من قُتل في سبيل الله فهو شهيد. قال: «إن شهداء أمتي إذًا لقليل» قالوا: فمن هم يا رسول الله؟ قال: «من قُتل في سبيل الله فهو شهيد. ومن مات في سبيل الله فهو شهيد. ومن مات في الطاعون فهو

(١) رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥١٨٢).
(٢) رواه النسائي والترمذي بإسنادٍ صحيح.

www.ibtesama.com

شهيد. ومن مات فى البطن فهو شهيد» (أخرجه مسلم).

* وقال ﷺ: «من فصل فى سبيل الله فمات أو قُتل أو رفصته فرسه أو بعيره أو لدغته هامة أو مات فى فراشه بأى حتف شاء الله فإنه شهيد وإن له الجنة»(١).

وقال ﷺ: «من قتله بطنه لم يُعذَّب فى قبره»(٢).

* والموت بداء البطن: هو الاستسقاء وانتفاخ البطن. وقيل: هو الإسهال. وقيل الذى يشتكى بطنه.

وقال ﷺ: «الطاعون شهادة لكل مسلم»(٣).

وقال ﷺ: «من قُتل دون ماله فهو شهيد ومن قُتل دون دمه فهو شهيد ومن قُتل دون دينه فهو شهيد ومن قُتل دون أهله فهو شهيد»(٤).

وقال ﷺ: «من قُتل دون ماله مظلومًا فله الجنة»(٥).

وقال ﷺ: «من قُتل دون مظلمته فهو شهيد»(٦).

وقال ﷺ: «الشهداء سبعة سوى القتل فى سبيل الله: المطعون شهيد والغرق شهيد وصاحب ذات الجنب شهيد والمبطون شهيد والحرق شهيد والذى يموت تحت الهدم شهيد والمرأة تموت بجمع شهيدة»(٧).

تموت بجمع: أى تموت وفى بطنها ولد.

فكل هؤلاء الذين ذكرهم الحبيب ﷺ شهداء... والشهداء هم الذين أكرمهم الحق (جل وعلا) فى الدنيا بنعمة الشهادة وفى القبر بالنعيم والنجاة من الفتنة والعذاب... وفى الآخرة بالخلود فى الجنان مع الأحباب.

(٥) المرابطة فى سبيل الله تعالى:

قال ﷺ: «رباط يومٍ فى سبيل الله أفضل من صيام شهر وقيامه ومن مات فيه وُقى فتنة

(١) رواه أبو داود والحاكم عن أبى مالك الأشعرى وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٤١٣).
(٢) رواه أحمد والترمذى والنسائى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٤٦١).
(٣) أخرجه البخارى ومسلم وأحمد والحاكم عن أنس.
(٤) رواه أحمد والترمذى والنسائى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٤٤٥).
(٥) رواه النسائى عن ابن عمرو وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٤٤٦).
(٦) رواه النسائى والضياء وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٦٤٤٧).
(٧) أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبى.

www.ibtesama.com

القبر ونما له عمله إلى يوم القيامة»[١].

وقال ﷺ: «كل ميت يُختم على عمله إلا الذى مات مرابطًا فى سبيل الله فإنه ينمو له عمله إلى يوم القيامة ويؤمَّن من فتَّان القبر»[٢].

وفى رواية الطبرانى: «من مات مرابطًا فى سبيل الله أمَّنه الله من فتنة القبر».

(٦) قراءة سورة تبارك:

أيها الأخ الحبيب... أيتها الأخت الفاضلة:

لا تغفلوا عن قراءة سورة المُلك (تبارك) كل ليلة فلقد أخبر الحبيب ﷺ أنها تمنع من عذاب القبر.

قال ﷺ: «سورة تبارك هى المانعة من عذاب القبر»[٣].

وقال ﷺ: «سورة من القرآن ما هى إلا ثلاثون آية خاصمت عن صاحبها حتى أدخلته الجنة وهى تبارك»[٤].

(٧) تجنب أسباب عذاب القبر:

ومن أسباب النجاة من عذاب القبر أن يتجنب العبد كل الأسباب التى تؤدى إلى عذاب القبر: مثل النميمة وعدم الاستتار والتنزه من البول... والكذب وهجر القرآن وعدم العمل به... وأكل الربا والوقوع فى الزنا.

فكل هذه الأشياء من أسباب عذاب القبر فعلينا أن نتجنبها لننجو جميعًا من عذاب القبر.

وكذلك علينا أن نتجنب الأسباب التى تؤدى إلى سوء الخاتمة ألا وهى: الشك والجحود الذى تسببه البدع وفساد المعتقد والنفاق وحب المعاصى والإصرار عليها وتعلق القلب بغير الله والانتحار والعدول عن الاستقامة وتسويف التوبة وحب الدنيا وطول الأمل.

---

(١) رواه الترمذى عن سلمان وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٤٨١).
(٢) رواه أبو داود والترمذى والحاكم وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٤٥٦٢).
(٣) رواه ابن مردويه عن ابن مسعود وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٦٤٣).
(٤) رواه الطبرانى فى الأوسط والضياء عن أنس وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٣٦٤٤).

www.ibtesama.com

(٨) التوبة الصادقة عند الموت:

قال الإمام ابن القيم ـ رحمه الله ـ فى كتاب (الروح) وهو يذكر أنفع الأسباب المنجية من عذاب القبر:

ومن أنفعها أن يجلس الرجل عندما يريد النوم لله ساعة يحاسب نفسه فيها على ما خسره أو ربحه فى يومه، ثم يجدد له توبة نصوحًا بينه وبين الله، فينام على تلك التوبة ويعزم على أن لا يعود إلى الذنب إذا استيقظ، ويفعل هذا كل ليلة، فإذا مات فى ليلته مات على توبة، وإن استيقظ استيقظ مستقبلاً للعمل مسرورًا بتأخر أجله حتى يستقبل ربه ويستدرك ما فاته. اهـ.

* وما أجمل أن يختم العبد تلك الساعة بسيد الاستغفار.

فقد قال ﷺ: «سيّدُ الاستغفار أنْ تقولَ: اللهمَّ أنتَ ربّى، لا إله إلا أنت، خلقتنى وأنا عبدُك، وأنا على عهدكَ ووعدك ما استطعتُ؛ أعوذ بك من شرّ ما صنعت أبوءُ لك بنعمتك علىَّ، وأبوءَ بذنبى، فاغفر لى فإنه لا يغفرُ الذنوب إلا أنت.

قال: ومَن قَالها من النَّهار موقنًا بها فمات من يومه قبلَ أن يُمسى فهو من أهل الجنة، ومَنْ قالها من الليل وهو مُوقنٌ بها فمَات قبلَ أن يُصبح فهو من أهل الجنة»[(١)].

(٩) الموت فى ليلة الجمعة أو فى يوم الجمعة:

قال ﷺ: «ما من مسلم يموت يوم الجمعة أو ليلة الجمعة إلا وقاه الله تعالى فتنة القبر»[(٢)].

وهذا السبب ليس من كسب العبد وإنما ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده.

قال الحكيم الترمذى: «ومن مات يوم الجمعة فقد انكشف الغطاء عما له عند الله تعالى؛ لأن يوم الجمعة لا تُسجَّر فيه جهنم وتغلق أبوابها ولا يعمل سلطان النار ما يعمل فى سائر الأيام، فإذا قبض الله عبدًا من عبيده، فوافق قبضه يوم الجمعة كان ذلك دليلاً لسعادته وحسن مآربه، وأنه لم يقبض فى هذا اليوم العظيم إلا من كتب الله له السعادة عنده.

---

(١) أخرجه البخارى وأحمد والنسائى عن شداد بن أوس.

(٢) رواه أحمد والترمذى عن ابن عمرو وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٧٧٣).

www.ibtesama.com

(١٠) الدعاء:

ولا ينبغى أبدًا أن يغفل المسلم عن الدعاء.. فالدعاء من أعظم أسباب النجاة فى الدنيا والآخرة.

سمع النبى ﷺ رجلاً يقول فى التشهد: (اللهم إنى أسألك بأنَّ لك الحمدُ، لا إله ألا أنت، وحدك لا شريك لكَ، المنَّانُ يا بديع السموات والأرض، ياذا الجلال والإكرام، يا حى يا قيوم إنى أسألك الجنة، وأعوذ بك من النار).

ـ فقال ﷺ لأصحابه: «تدرونَ بما دعا؟» قالوا: الله ورسولهُ أعلم. قال: «والذى نفسى بيده؛ لقد دعا الله باسمه العظيم (وفى رواية: الأعظم) الذى إذا دُعى به أجابَ، وإذا سُئل به أعطى»(١).

فعلينا أن نسأل الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العُليا وبإسمه الأعظم أن ينجينا من عذاب القبر (ونحن مُوقنون بالإجابة).

(١١) شرب ماء زمزم بنية النجاة من عذاب القبر:

قال ﷺ: «ماء زمزمٍ لما شُرب له»(٢).

وكان ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ إذا شرب ماء زمزم قال: «اللهم إنى أسألك علمًا نافعًا ورزقًا واسعًا وشفاءً من كل داء».

فمن كان مريضًا أو صاحب حاجة فليشرب منه وليدع بما شاء.

وأوصى نفسى وإخوانى وأخواتى بأن يشربوا ماء زمزم بنية أن يُنزل الله نصره على المسلمين وأن يجيرنا من عذاب القبر وعذاب النار وأن يرزقنا صُحبة الحبيب ﷺ فى جنته ودار كرامته.

أخى الحبيب... أختى الفاضلة:

* كانت هذه بعض أسباب النجاة من عذاب القبر...

فأسأل الله (جل وعلا) أن ينجينا وإياكم من عذاب القبر ومن عذاب النار وأن يجمعنا جميعًا فى جنته ودار كرامته إخوانًا على سُررٍ متقابلين.

---

(١) أخرجه الحاكم وصححه ووافقه الذهبى.

(٢) رواه أحمد ابن ماجه والبيهقى وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٥٥٠٢).

www.ibtesama.com

• فتنة القبر وسؤال الملكين •

* يقول «شارح الطحاوية»: «وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ فى ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلاً، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا نتكلم فى كيفيته، إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته، لكونه لا عهد له به فى هذه الدار، والشرع لا يأتى بما تحيله العقول، ولكنه قد يأتى بما تحار فيه العقول. فإن عود الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود فى الدنيا، بل تعاد الروح إليه إعادة غير الإعادة المألوفة فى الدنيا» اهـ.

* وقال ابن القيم: «أما أحاديث عذاب القبر ومساءلة منكر ونكير فكثيرة، متواترة عن النبى ﷺ »(١).

* ويقول ﷺ: «ما من شىء لم أكن رأيته، إلا رأيته فى مقامى هذا، حتى الجنة والنار، ولقد أُوحى إلىَّ أنكم تُفتنون فى قبوركم، مثلَ أو قريبًا من فتنة المسيح الدجال...»(٢).

* قال ﷺ: «.. وأما فتنة القبر فبى تُفتنون وعنى تُسألون فإذا كان الرجل الصالح أُجلس فى قبره غير فزعٍ، ثم يقالُ له ما هذا الرجلُ الذى كان فيكم؟ فيقولُ: محمدٌ رسولُ الله جاءَنا بالبينات من عند الله، فصدَّقناهُ، فيفرجُ له فُرجةٌ قبل النار، فينظرُ إليها يحطمُ بعضُها بعضًا، فيقالُ له: انظر إلى ما وقاك الله، ثم يُفرجُ لهُ فُرجة إلى الجنة، فينظرُ إلى زهرتها وما فيها، فيقالُ له: هذا مقعدك منها، ويقالُ له: على اليقين كنتَ، وعليه متَّ، وعليه تُبعثُ إن شاء الله، وإذا كان الرجلُ السوءُ أجلس فى قبره فزعًا، فيقالُ له: ما كنت تقول: فيقولُ: لا أدرى، فيقال: ما هذا الرجل الذى كان فيكم؟ فيقولُ: سمعتُ الناس يقولون قولاً فقلت كما قالوا، فيفرج له فرجةٌ من قبل الجنة، فينظرُ إلى زهرتها وما فيها، فيقالُ له: انظر إلى ما صرفَ الله عنكَ، ثم يفرجْ له فرجةٌ قبل النار، فينظر إليها يحطم بعضهُا بعضًا، ويقالُ: هذا مقعدكَ منها، على الشكّ كنت، وعليه مت، وعليه تُبعثُ إن شاء الله، ثم يعذبُ»(٣).

---

(١) الروح (ص: ٧٠).

(٢) أخرجه أحمد والبخارى ومسلم عن أسماء بنت أبى بكر.

(٣) رواه أحمد عن عائشة وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (١٣٦١).

www.ibtesama.com

* وقال ﷺ: «إنَّ العبدَ المؤمن إذا كانَ فى انقطاع من الدُّنيا وإقبال من الآخرة نزلَ إليه منَ السماء ملائكةٌ بيض الوجوه، كأن وجوهَهُمَ الشمس، معهم كفنٌ من أكفان الجنة، وحنوطٌ من حنوط الجنة.. ـ إلى أن قال ـ فتعادُ روحه، فيأتيه ملَكان، فيجلسانه، فيقولان لهُ: من ربُّك؟ فيقولُ: ربى الله، فيقولان لهُ: ما دينُك؟ فيقولُ: دينى الإسلامُ، فيقولان لهُ: ما هذا الرجلُ الذى بُعثَ فيكم؟ فيقولُ: هوَ رسولُ الله، فيقولان لهُ وما علمُك؟ فيقولُ: قرأت كتاب الله فآمنت به وصدَّقتُ، فينادى مناد من السماء أن صدق عبدى، فأفرشوهُ من الجنة، وألبسوهُ من الجنَّة، وافتحوا لهُ بابًا إلى الجَنَّة، فيأتيه من رَوحها وطيبها، ويفسحُ لهُ فى قبره مدَّ بصره، ويأتيه رجلٌ حسنُ الوجه، حسنُ الثّياب، طيِّب الريح، فيقول: أبشر بالذى يسرّك هذا يومك الذى كنت توعد. فيقولُ لهُ: من أنت؟ فوجهُك الوجهُ يجىءُ بالخير، فيقولُ: أنا عملُك الصالحُ، فيقولُ: ربِّ أقم الساعةَ، رب أقمِ الساعةَ، حتى أرجعَ إلى أهلى ومالى.

وإنَّ العبد الكافرَ إذا كان فى انقطاع من الدُّنيا، وإقبال منَ الآخرة، نزلَ إليه من السماء ملائكةٌ سودُ الوجوه، معهمُ المُسوحُ، فيجلسون منهُ مدَّ البصرُ ـ إلى أن قال ـ فتُعاد روحه فى جسده، ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان لهُ: منْ ربكَ؟ فيقولُ: هاهْ هاهْ لا أدرى، فيقولان لهُ: ما دينُك؟ فيقولُ: هاه هاه لا أدرى، فيقولان لهُ: ما هذا الرجل الذى بُعث فيكم؟ فيقول: هاه هاه لا أدرى، فينادى مناد من السماء، أن كذب عبدى، فأفرشوهُ من النار، وافتحوا له بابًا إلى النار فيأتيه من حَرِّهَا وسَمومُها، ويضيق عليه قبرهُ، حتَّى تختلف أضلاعهُ، ويأتيه رجلٌ قبيح الوجه، قبيحُ الثياب، منتنُ الريح، فيقولُ: أبشر بالذى يسؤوك، هذا يومك الذى كنت توعدُ، فيقولُ: من أنت فوجهك الوجهُ يجىءُ بالشرّ؟ فيقولُ: أنا عملك الخبيث، فيقولُ: ربِّ لا تُقمِ الساعة»[1].

• سؤال القبر للروح والبدن معًا •

* قال «شارح الطحاوية»[2]: «وليس السؤال فى القبر للروح وحدها، كما قال ابن حزم وغيره، وأفسد منه قول من قال: إنه للبدن بلا روح! والأحاديث الصحيحة ترد القولين. وكذلك عذاب القبر يكون للنفس والبدن جميعًا، باتفاق أهل السنة والجماعة،

(١) رواه أحمد وأبو داود والحاكم عن البراء وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (١٦٧٦).
(٢) شرح العقيدة الطحاوية (ص: ٤٥١).

www.ibtesama.com

تُنعم النفس وتُعذب مفردة عن البدن ومتصلة به».

قال الإمام ابن القيم: فلتعلم أن مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون فى نعيم أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه، وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة، وأنها تتصل بالبدن أحيانًا ويحصل له معها النعيم أو العذاب، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى الأجساد، وقاموا من قبورهم لرب العالمين. ومعاد الأبدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى[1].

• هل السؤال فى القبر عام فى حق المسلمين والمنافقين والكفار أو يختص بالمسلم والمنافق؟ •

قال أبو عمر بن عبد البر فى (كتاب التمهيد): والآثار الدالة تدل على أن الفتنة فى القبر لا تكون إلا لمؤمن أو منافق، من كان منسوبًا إلى أهل القبلة ودين الإسلام بظاهر الشهادة.

وأما الكافر الجاحد المبطل فليس ممن يُسأل عن ربه ودينه ونبيه، وإنما يسأل عن هذا أهل الإسلام، فيثبت الله الذين آمنوا ويرتاب المبطلون.

والقرآن والسنة تدل على خلاف هذا القول، وأن السؤال للكافر والمسلم، قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (إبراهيم:٢٧). وقد ثبت فى الصحيح أنها نزلت فى عذاب القبر حين يُسأل: من ربك وما دينك ومن نبيك؟

وفى حديث البراء بن عازب الطويل: «وأما الكافر إذا كان فى قبل من الآخرة وانقطاع من الدنيا، نزل عليه ملائكة من السماء معهم مسوح»، وذكر الحديث إلى أن قال: ثم تعاد روحه فى جسده فى قبره، وذكر الحديث.

وفى لفظ: «فإذا كان كافرًا جاءه ملك الموت فجلس عند رأسه».

وفى لفظ آخر فى حديث البراء: «وإن الكافر إذا كان فى قبل من الآخرة وانقطاع من الدنيا».

* وبالجملة فعامة من روى حديث البراء بن عازب قال فيه: وأما الكافر بالجزم

(١) الروح (ص: ٦٩).

www.ibtesama.com

وبعضهم قال: وأما الفاجر، وبعضهم قال: وأما المنافق والمرتاب، وهذه اللفظة من شك بعض الرواة، وهكذا فى الحديث لا أدرى أى ذلك قال، وأما من ذكر الكافر والفاجر فلم يشك، ورواية من لم يشك مع كثرتهم أولى من رواية من شك مع انفراده على أنه لا تناقض بين الروايتين، فإن المنافق يُسأل كما يسأل الكافر والمؤمن، فيثبت الله أهل الإيمان ويضل الله الظالمين، وهم الكفار والمنافقون.

* وعن أبى سعيد، قال: شهدنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جنازة ـ فذكر الحديث ـ وقال: وإن كان كافرًا أو منافقًا يقول له: ما تقول فى هذا الرجل؟ فيقول: لا أدرى، وهذا صريح فى أن السؤال للكافر والمنافق، وقول أبى عمر رحمه الله: وأما الكافر الجاحد المبطل فليس ممن يُسأل عن ربه ودينه ونبيه، فيقال له: ليس كذلك بل هو من جملة المسئولين وأولى بالسؤال من غيره، وقد أخبر الله فى كتابه أنه يسأل الكافر يوم القيامة. قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ (القصص:٦٥) وقال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٩٢) عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الحجر:٩٢) وقال تعالى: ﴿فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْئَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ﴾ (الأعراف:٦) فإذا سئلوا يوم القيامة فكيف لا يُسألون فى قبورهم فليس لما ذكره أبو عمر رحمه الله وجه[١].

• هل سؤال منكر ونكير مختص بهذه الأمة أو يكون لها ولغيرها •

* قال الإمام ابن القيم فى كتابه «الروح»[٢].

«وأما المسألة الثانية عشرة وهى أن سؤال منكر ونكير هل هو مختص بهذه الأمة أو يكون لها ولغيرها؟.

فهذا موضع قد تكلم فيه الناس، فقال أبو عبد الله الترمذى: إنما سؤال الميت فى هذه الأمة خاصة؛ لأن الأمم قبلنا كانت الرسل تأتيهم بالرسالة، فإذا أبوا كفت الرسل واعتزلوهم، وعوجلوا بالعذاب، فلما بعث الله محمدًا صلى الله عليه وآله وسلم بالرحمة إمامًا للخلق، كما قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الأنبياء:١٠٧). أمسك عنهم العذاب وأعطى السيف حتى يدخل فى دين الإسلام من دخل لمهابة السيف، ثم يرسخ الإيمان فى قلبه فأُمهلوا فمن هنا ظهر أمر النفاق، وكانوا يسرون

(١) الروح (ص: ١١٢: ١١٥) بتصرف.
(٢) الروح (ص: ١١٦: ١١٧).

www.ibtesama.com

الكفر ويعلنون الإيمان، فكانوا بين المسلمين فى ستر، فلما ماتوا قيض الله لهم فتانى القبر، ليستخرج سرهم بالسؤال وليميز الله الخبيث من الطيب، فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة، ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء.

وخالف فى ذلك آخرون منهم عبد الحق الإشبيلى والقرطبى، وقالوا: السؤال لهذه الأمة ولغيرها، وتوقف فى ذلك آخرون منهم أبو عمر بن عبد البر فقال: فى حديث زيد ابن ثابت، عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «إن هذه الأمة تبتلى فى قبورها»[1] ومنهم من يرويه: تُسأل.

وعلى هذا اللفظ يحتمل أن تكون هذه الأمة خصت بذلك، فهذا أمر لا يقطع عليه. وقد احتج من خصه بهذه الأمة بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن هذه الأمة تبتلى فى قبورها». وبقوله: «أُوحى إلىّ أنكم تفتنون فى قبوركم»، وهذا ظاهر فى الاختصاص بهذه الأمة. قالوا: ويدل على قول الملكين له: «ما كنت تقول فى هذا الرجل الذى بُعث فيكم؟ فيقول: المؤمن أشهد أنه عبد الله ورسوله، فهذا خاص بالنبى صلى الله عليه وآله وسلم، وقوله فى الحديث الآخر: «إنكم بى تُمتحنون وعنى تُسألون»، وقال آخرون ولا يدل هذا على اختصاص السؤال بهذه الأمة دون سائر الأمم فإن قوله: «إن هذه الأمة»، إما أن يراد به أمة الناس، كما قال تعالى: ﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُم﴾ (الأنعام:٣٨).

وكل جنس من أجناس الحيوان يسمى أمة، وفى الحديث: «لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها». وفيه أيضًا حديث النبى الذى قرصته نملة فأمر بقرية النمل فأحرقت، فأوحى الله إليه من أجل أن قرصتك نملة واحدة أحرقت أمة من الأمم تسبح الله. وإن كان المراد به أمته ﷺ الذى بعث فيهم لم يكن فيه ما ينفى سؤال غيرهم من الأمم، بل قد يكون ذكرهم إخباراً بأنهم مسئولون فى قبورهم، وأن ذلك لا يختص بمن قبلهم لفضل هذه الأمة وشرفها على سائر الأمم. وكذلك قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «أوحى إلى أنكم تفتنون فى قبوركم». وكذلك إخباره عن قول الملكين: «ما هذا الرجل الذى بعث فيكم؟» هو إخبار لأمته بما تمتحن به فى قبورها،والظاهر والله أعلم أن كل نبى مع أمته كذلك وأنهم معذبون فى قبورهم بعد السؤال لهم وإقامة الحجة عليهم، كما يعذبون فى الآخرة بعد السؤال وإقامة الحجة. والله سبحانه وتعالى أعلم» اهـ.

(١) رواه مسلم (٢٨٦٧)، وأحمد (١٠٧٧٤).

www.ibtesama.com

• هل يُمتحن الأطفال والمجانين فى قبورهم؟ •

واختلف فى غير المكلفين من الصبيان والمجانين، فذهب جمع من العلماء إلى أنهم لا يُفتنون منهم القاضى أبو يعلى وابن عقيل، ووجهة نظر هؤلاء أن المحنة تكون لمن كُلف، أما من رُفع عنه القلم فلا يدخل فى المحنة، إذ لا معنى لسؤاله عن شىء لم يكلف به.

* قال الإمام ابن قيم الجوزية فى كتابه «الروح»[1].

«أما المسألة الثالثة عشرة وهى أن الأطفال هل يُمتحنون فى قبورهم؟

اختلف الناس فى ذلك على قولين: هما وجهان لأصحاب أحمد.

وحجة من قال: إنهم يسألون أنه يشرع الصلاة عليهم والدعاء لهم وسؤال الله أن يقيهم عذاب القبر وفتنة القبر.

كما ذكر مالك فى موطئه عن أبى هريرة رضى الله عنه: « أن النبى ﷺ صلى على جنازة صبى فسمع من دعائه: اللهم قه عذاب القبر».

واحتجوا بما رواه على بن معبد عن عائشة رضى الله عنها، أنه مر عليها بجنازة صبى صغير، فقيل لها ما يبكيك يا أم المؤمنين؟ فقالت: هذا الصبى بكيت له شفقة عليه من ضمة القبر.

واحتجوا بما رواه هناد بن السرى: ثنا أبو معاوية، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب، عن أبى هريرة رضى الله عنه، قال: إن كان ليصلى على المنفوس ما إن عمل خطيئة قط، فيقول: اللَّهم أجره من عذاب القبر. قالوا: والله سبحانه يكمل لهم عقولهم ليعرفوا بذلك منزلتهم ويلهمون الجواب عما يُسألون عنه. قالوا: وقد دل على ذلك الأحاديث الكثيرة، التى فيها أنهم يمتحنون فى الآخرة.

وحكاه الأشعرى عن أهل السنة والحديث: فإذا امتحنوا فى الآخرة لم يمتنع امتحانهم فى القبور.

قال الآخرون: السؤال إنما يكون لمن عقل الرسول والمرسل، فيسأل هل آمن بالرسول وأطاعه أم لا؟ فيقال له: ما كنت تقول فى هذا الرجل الذى بُعث فيكم؟ فأما الطفل

(١) الروح (ص: ١١٧، ١١٩).

www.ibtesama.com

الذى لا تمييز له بوجه ما فكيف يقال له: ما كنت تقول فى هذا الرجل الذى بُعث فيكم؟ ولو رُدَّ إليه عقله فى القبر، فإنه لا يُسأل عما لم يتمكن من معرفته والعلم به، ولا فائدة فى هذا السؤال، وهذا بخلاف امتحانهم فى الآخرة، فإن الله سبحانه يرسل إليهم رسولاً ويأمرهم بطاعة أمره وعقولهم معهم، فمن أطاعه منهم نجا، ومن عصاه أدخله النار، فذلك امتحان بأمر يأمرهم به ويفعلونه ذلك الوقت لا أنه سؤال عن أمر مضى لهم فى الدنيا من طاعة أو عصيان، كسؤال الملكين فى القبر.

وأما حديث أبى هريرة رضى الله عنه فليس المراد بعذاب القبر فيه عقوبة الطفل، على ترك طاعة أو فعل معصية قطعًا، فإن الله لا يعذب أحدًا بلا ذنب عمله، بل عذاب القبر قد يراد به الألم الذى يحصل للميت بسبب غيره، وإن لم يكن عقوبة على عمل عمله، ومنه قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الميت ليعذَّب ببكاء أهله عليه»، أى: يتألم بذلك ويتوجع منه لا أنه يعاقب بذنب الحى ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ (الأنعام: ١٦٤). وهذا كقول النبى ﷺ: «السفر قطعة من العذاب»[1] فالعذاب أعم من العقوبة.

ولا ريب أن فى القبر من الآلام والهموم والحسرات ما قد يسرى أثره إلى الطفل، فيتألم به فيشرع للمصلى عليه أن يسأل الله تعالى له أن يقيه ذلك العذاب. والله أعلم» اهـ.

• وما أنت بمُسمعٍ مَن فى القبور •

ذهب جمع من أهل العلم إلى نفى سماع الأموات وممن ذهب إلى ذلك ابن عابدين، وابن الهمام، وابن نجيم والحصفكى وغيرهم من أئمة الأحناف، والمازرى والباجى والقاضى عياض من المالكية والقاضى أبو يعلى من الحنابلة ومال إليه الشيخ الألبانى فى تحقيقه «للآيات البينات» فى عدم سماع الأموات.

* وهناك من رأى أنهم يسمعون فى الجملة ولا يسمعون فى كل الأحوال... وهناك من رأى أنهم يسمعون فى كل الأحوال لكنهم لا يستطيعون الانتفاع بما يسمعونه أو حتى مجرد الرد.

* قال الإمام ابن القيم: «وأما قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ (فاطر: ٢٢) فسياق الآية يدل على أن المراد منها: أن الكافر الميت القلب لا تقدر على إسماعه إسماعًا ينتفع به، كما أن من فى القبور لا تقدر على إسماعهم إسماعًا ينتفعون به ولم يُرد

(١) رواه البخارى (١٨٠٤)، ومسلم (١٩٢٧)، وابن ماجه (٢٨٨٢).

www.ibtesama.com

سبحانه أن أصحاب القبور لا يسمعون شيئًا ألبتة، كيف وقد أخبر النبى صلى الله عليه وآله وسلم أنهم يسمعون خفق نعال المشيعين؟ وأخبر أن قتلى بدر سمعوا كلامه وخطابه. وشُرع السلام عليهم بصيغة الخطاب للحاضر الذى يسمع. وأخبر أن من سلَّم على أخيه المؤمن ردَّ عليه السلام. وهذه الآية نظير قوله: ﴿إِنَّكَ لا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ (النمل:٨٠)، وقد يقال نفى إسماع الصم مع نفى إسماع الموتى، يدل على أن المراد عدم أهلية كل منهما للسماع. وأن قلوب هؤلاء لما كانت ميتة صماء كان إسماعها ممتنعًا بمنزلة خطاب الميت والأصم، وهذا حق ولكن لا ينفى إسماع الأرواح بعد الموت إسماع توبيخ وتقريع بواسطة تعلقها بالأبدان فى وقت ما، فهذا غير الإسماع المنفى والله أعلم.

وحقيقة المعنى أنك لا تستطيع أن تُسمع من لم يشأ الله أن يُسمعه، ﴿إِنْ أَنتَ إِلاَّ نَذِيرٌ﴾.. أى إنما جعل الله لك الاستطاعة على الإنذار الذى كلفك إياه لا على إسماع من لم يشأ الله إسماعه»[(١)].

* قال الشيخ عمر الأشقر فى «القيامة الصغرى»:

«ثبت فى الأحاديث الصحيحة أن الميت يسمع قرع نعال أصحابه، بعد وضعه فى قبره، فعن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ قال: «إن العبد إذا وضع فى قبره، وتولى عنه أصحابه، إنه ليسمع قرع نعالهم...»[(٢)].

ووقف الرسول ﷺ بعد ثلاثة أيام من معركة بدر على قتلى بدر من المشركين فنادى رجالاً منهم، فقال: «يا أبا جهل بن هشام، يا أميّة بن خلف، يا عتبة بن ربيعة، يا شيبة بن ربيعة، أليس قد وجدتم ما وعدكم ربكم حقًا؟ فإنى قد وجدت ما وعدنى ربى حقًا»، فقال عمر بن الخطاب: «يا رسول الله! كيف يسمعوا أنى يجيبوا وقد جُيفوا»[(٣)] قال: «والذى نفسى بيده! ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا»، ثم أمر فسُحبوا، فألقوا فى قليب بدر»[(٤)].

---

(١) الروح (ص: ٦٠: ٦١).

(٢) أخرجه مسلم (٤/ ٢٢٠٣/ ح ٢٨٧٤) كتاب الجنة.

(٣) أى: أنتنوا، وصاروا جيفًا.

(٤) رواه البخارى، كتاب الجنائز: باب ما جاء فى عذاب القبر. ورواه مسلم فى كتاب الجنة: باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه (٤/ ٢٢٠٠/ ح ٢٨٧٠)، ورواه أبو داود، والنسائى أيضًا، انظر: «جامع الأصول» (١١/ ١٨٠).

www.ibtesama.com

* وقد ساق ابن تيمية جملة من الأحاديث التى تدل على أن الموتى يسمعون، ثم قال: «فهذه النصوص وأمثالها تُبين أن الميت يسمع فى الجملة كلام الحى، ولا يجب أن يكون السمع له دائمًا، بل قد يسمع فى حال دون حال، كما قد يعرض للحى، فإنه يسمع أحيانًا خطاب من يخاطبه، وقد لا يسمع لعارض يعرض له»(١).

وقد أجاب شيخ الإسلام على إشكال من يقول: إن الله نفى السماع عن الميت فى قوله: ﴿فَإِنَّك لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ ، وكيف تزعمون أن الموتى يسمعون؟ فقال: «وهذا السمع سمع إدراك، ليس يترتب عليه جزاء، ولا هو السمع المنفى بقوله: ﴿فَإِنَّك لا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ ، فإن المراد بذلك: سمع القبول والامتثال، فإن الله جعل الكافر كالميت الذى لا يستجيب لمن دعاه، وكالبهائم التى تسمع الصوت، ولا تفقه المعنى، فالميت وإن سمع الكلام وفقه المعنى، فإنه لا يمكنه إجابة الداعى، ولا امتثال ما أُمر به، ونُهى عنه، فلا ينتفع بالأمر والنهى، وكذلك الكافر لا ينتفع بالأمر والنهى، وإن سمع الخطاب وفهم المعنى، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ﴾ ، وقد جاءت النصوص دالة أيضًا على أن الميت مع سماعه يتكلم، فإن منكرًا ونكيرًا يسألونه، فالمؤمن يوفق للجواب الحق، والكافر والمنافق يضل عن الجواب، ويتكلم أيضًا فى غير سؤال منكر ونكير، وكل هذا مخالف لما عهده أهل الدنيا من كلام، فإن الذى يسأل ويتكلم الروح، وهى التى تجيب وتقعد وتُعذَّب وتنعم، وإن كان لها نوع اتصال بالجسد، وقد سبق القول أن بعض الناس قد يسمعون الكلمة من الميت، وأن الرسول ﷺ كان يسمع من هذا شيئًا كثيرًا»(٢).

• هل هناك أناسٌ سمعوا عذاب القبر؟ •

إن الله تبارك وتعالى إذا شاء أطلع بعض عباده فى دار الدنيا على عذاب أهل القبور، وقد شاهده أناس كثيرون وسمعوا أصوات المعذبين فى قبورهم ورأوهم بعيونهم يعذَّبون فى قبورهم فى آثار معروفة(٣).

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٥/ ٣٦٤).

(٢) مجموع الفتاوى (٥/ ٣٦٤).

(٣) «الروح» ص (٩٦). و«شرح الطحاوية» (٤٠١).

www.ibtesama.com

• سماع النبى ﷺ أصوات المعذبين:

وقد أعطى الله رسوله القدرة على سماع المعذبين فى قبورهم، ففى الحديث الذى يرويه مسلم فى «صحيحه» عن زيد بن ثابت رضى الله عنه قال: «بينما النبى ﷺ فى حائط لبنى النجار، على بغلة له، ونحن معه، إذ حادت به[١]، فكادت تلقيه، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة، فقال: «من يعرف أصحاب هذه الأقبر؟» فقال رجل: أنا، قال: «فمتى مات هؤلاء؟» قال: ماتوا فى الإشراك، فقال: «إن هذه الأمة تُبتلى فى قبورها فلولا أن لا تدافنوا[٢]، لدعوت الله أن يُسمعكم من عذاب القبر الذى أسمع منه»[٣].

وفى «صحيحى» البخارى ومسلم و«سنن النسائى» عن أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه: «خرج رسول الله ﷺ بعدما غربت الشمس، فسمع صوتًا، فقال: «يهود تُعذَّب فى قبورها»[٤].

ويدل على سماع الرسول ﷺ للمعذبين فى قبورهم الحديث الذى يرويه البخارى ومسلم فى«صحيحهما» عن ابن عباس وفيه أن الرسول ﷺ مرّ بقبرين، فقال: «إنهما ليعذبان وما يعذبان فى كبير...» الحديث.

• سماع غير النبى ﷺ أصوات المعذَّبين:

* قال الشيخ عمر الأشقر:

«لم يزل بعض الناس يتحدثون عن سماعهم أو رؤيتهم للمعذبين فى قبورهم، ومن هؤلاء ثقات أعلام لا مطعن فى دينهم وأمانتهم.

يقول ابن تيمية فى ذلك: «قد يكشف لكثير من أبناء زماننا يقظة ومنامًا، ويعلمون ذلك ويتحققونه، وعندنا من ذلك أمور كثيرة»[٥].

وقال فى موضع آخر فى معرض رده على المكذبين بعذاب القبر: «وإذا عرف أن النائم يكون نائمًا وتقعد روحه وتقوم وتمشى، وتذهب وتتكلم وتفعل أفعالا وأمورًا بباطن بدنه مع روحه، ويحصل لبدنه وروحه بها نعيم وعذاب، مع أن جسده مضطجع،

(١) حادت به: أى مالت عن الطريق ونفرت.

(٢) لا تدافنوا: أى مخافة أن لا تدافنوا.

(٣) رواه مسلم فى «صحيحه»، كتاب الجنة: باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه (٤/ ٢١٩٩).

(٤) «جامع الأصول» (١١/ ١٧٢).

(٥) «مجموع الفتاوى» (٢٤/ ٣٧٦).

www.ibtesama.com

وعينيه مغمضة، وفمه مطبق، وأعضاؤه ساكنة، وقد يتحرك لقوة الحركة الداخلة، وقد يقوم ويمشى ويتكلم ويصيح، لقوة الأمر فى باطنه، كان هذا مما يعتبر به أمر الميت فى قبره، فإن روحه تقعد، وتجلس، وتُسأل، وتنعم، وتعذب، وتصيح وذلك متصل ببدنه، مع كونه مضطجعًا فى قبره، وقد يقوى ذلك حتى يظهر ذلك فى بدنه، وقد يُرى خارجًا من قبره، والعذاب عليه، وملائكة العذاب موكلة به، فيتحرك بدنه، ويمشى ويخرج من قبره، وقد سمع غير واحد أصوات المعذبين فى قبورهم، وقد شوهد من يخرج من قبره وهو معذب، ومن يقعد بدنه أيضًا إذا قوى الأمر، لكن ليس هذا لازمًا فى حق كل ميت، كما أن قعود بدن النائم لما يراه، ليس لازمًا لكل نائم، بل هو بحسب قوة الأمر»[1].

• عذاب القبر تسمعه البهائم •

وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها قالت: «دخلت علىَّ عجوز من عجائز يهود المدينة فقالت: إن أهل القبور يعذبون فى قبورهم. قالت: فكذبتها، ولم أنعم أن أصدقها قالت: فخرجت ودخل علىَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت: يا رسول الله، إن عجوزًا من عجائز يهود أهل المدينة دخلت فزعمت أن أهل القبور يعذبون فى قبورهم، قال: «صدقت إنهم يُعذَّبون عذابًا تسمعه البهائم كلها قالت: فما رأيته بعد فى صلاة إلا يتعوذ من عذاب القبر».

وقال بعض أهل العلم: ولهذا السبب يذهب الناس بدوابهم إذا مغلت إلى قبور اليهود والنصارى والمنافقين كالإسماعيلية والنصيرية والقرامطة من بنى عبيد وغيرهم الذين بأرض مصر والشام، فإن أصحاب الخيل يقصدون قبورهم لذلك كما يقصدون قبور اليهود والنصارى، قال: فإذا سمعت الخيل عذاب القبر أحدث لها ذلك فزعًا وحرارة تذهب بالمغل.

• حكاية عجيبة لاستماع الدابة عذاب القبر بمرأى الناس •

وقد قال عبد الحق الإشبيلى: حدثنى الفقيه أبو الحكم بن برخان ـ وكان من أهل العلم والعمل ـ أنهم دفنوا ميتًا بقريتهم فى شرف إشبيلية، فلما فرغوا من دفنه قعدوا ناحية يتحدثون ودابة ترعى قريبًا منهم، فإذا بالدابة قد أقبلت مسرعة إلى القبر، فجعلت

(١) مجموع الفتاوى (٥/ ٥٢٥) ـ والقيامة الصغرى (ص: ٥٢: ٥٣) نقلاً من سكب العبرات.

www.ibtesama.com

أذنها عليه كأنها تسمع، ثم ولت فارة ثم عادت إلى القبر، فجعلت أذنها عليه كأنها تسمع، ثم ولت فارَّة، فعلت ذلك مرة بعد أخرى، قال أبو الحكم: فذكرت عذاب القبر، وقول النبى صلى الله عليه وآله وسلم: «إنهم ليعذبون عذابًا تسمعه البهائم»[١].

• ما الحكمة فى ستر عذاب القبر عن الناس دون البهائم؟ •

ولما كانت هذه الحكمة منفية فى حق البهائم، سمعت ذلك وأدركته كما حادت برسول الله ﷺ بغلته وكادت تلقيه لما مر بمن يُعذَّب فى قبره.

* قال الإمام ابن القيم: وحدثنى صاحبنا أبو عبد الله محمد بن الرزيز الحرانى أنه خرج من داره بعد العصر بآمد إلى بستان قال: فلما كان قبل غروب الشمس توسطت القبور، فإذا بقبر منها وهو جمرة نار مثل كوز الزجاج، والميت فى وسطه، فجعلت أمسح عينى وأقول: أنائم أنا أم يقظان؟ ثم التفت إلى سور المدينة، وقلت: والله ما أنا بنائم، ثم ذهبت إلى أهلى وأنا مدهوش، فأتونى بطعام فلم أستطع أن آكل، ثم دخلت البلد فسألت عن صاحب القبر فإذا به مكاس[٢] قد توفى ذلك اليوم، فرؤية هذه النار فى القبر كرؤية الملائكة والجن تقع أحيانًا لمن شاء الله أن يريه ذلك[٣].

• هل النار التى فى القبور من نار الدنيا؟ •

* قال الإمام ابن القيم: «إن النار التى فى القبر والخضرة ليست من نار الدنيا ولا من زروع الدنيا، فيشاهده من شاهد نار الدنيا، وخضرها وإنما هى من نار الآخرة وخضرها وهى أشد من نار الدنيا، فلا يحس به أهل الدنيا فإن الله سبحانه يحمى عليه ذلك التراب والحجارة التى عليه وتحته حتى يكون أعظم حرًا من جمر الدنيا، ولو مسها أهل الدنيا لم يحسوا بذلك. بل أعجب من هذا أن الرجلين يُدفنان أحدهما إلى جنب الآخر وهذا فى حفرة من حر النار لا يصل حرها إلى جاره، وذلك فى روضة من رياض الجنة لا يصل روحها ونعيمها إلى جاره، وقدرة الرب تعالى أوسع وأعجب من ذلك، وقد أرانا الله من آيات قدرته فى هذه الدار ما هو أعجب من ذلك بكثير، ولكن النفوس مولعة بالتكذيب بما لم تُحط به علمًا إلا من وفقه الله وعصمه، فيفرش للكافر لوحان

(١) الروح (ص: ٧٠: ٧١).

(٢) المكّاس: هو جابى المال.

(٣) الروح/ للإمام ابن القيم (ص: ٨٩: ٩٠).

www.ibtesama.com

من نار فيشتعل عليه قبره بهما كما يشتعل التنور، فإذا شاء الله سبحانه أن يُطلع على ذلك بعض عبيده أطلعه وغيَّبه عن غيره، إذ لو اطلع العباد كلهم لزالت كلمة التكليف والإيمان بالغيب، ولما تدافن الناس كما فى «الصحيحين» عنه صلى الله عليه وآله وسلم: «لولا أن لا تدافنوا لدعوت الله أن يُسمعكم من عذاب القبر ما أسمع»[١].

• مشاهد تخلع القلوب •

وقال ابن أبى الدنيا: حدثنى عبد المؤمن بن عبد الله بن عيسى القيسى أنه قيل لنباش قد تاب: ما أعجب ما رأيت؟ قال: نبشت رجلاً، قال: فإذا هو مُسمَّر بالمسامير فى سائر جسده ومسمار كبير فى رأسه، وآخر فى رجليه، قال: وقيل لنباش آخر: ما أعجب ما رأيت؟ قال رأيت جمجمة إنسان مصبوب فيها رصاصا. قال: وقيل لنباش آخر ما كان سبب توبتك؟ قال: عامة من كنت أنبش كنت أراه مُحوَّل الوجه عن القبلة.

وقال ابن القيم: قلت: وحدثنى صاحبنا أبو عبد الله محمد بن مساب السلاهى ـ وكان من خيار عباد الله، وكان يتحرى الصدق ـ قال: جاء رجل إلى سوق الحدادين ببغداد، فباع مسامير صغار المسمار برأسين، فأخذها الحداد وجعل يحمى عليها فلا تلين معه حتى عجز عن ضربها فطلب البائع فوجده فقال من أين لك هذه المسامير؟ فقال: لقيتها فلم يزل به حتى أخبره أنه وجد قبراً مفتوحًا وفيه عظام ميت منظومة بهذه المسامير، قال: فعالجتها على أن أُخرجها فلم أقدر، فأخذت حجراً فكسرت عظامه وجمعتها قال: وأنا رأيت تلك المسامير. قلت له فكيف صفتها؟ قال: المسمار صغير برأسين[٢].

• هل عذاب القبر دائم أو منقطع؟ •

* وقال الإمام ابن القيم: جوابها أنه نوعان:

• **نوع دائم**، سوى ما ورد فى بعض الأحاديث أنه يخفف عنهم ما بين النفختين، فإذا قاموا من قبورهم قالوا: ﴿يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا﴾ (يس:٥٢).

ويدل على دوامه قوله تعالى: ﴿النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ (غافر:٤٦)، ويدل

(١) الروح (ص: ٨٩).

(٢) الروح (ص: ٩٢: ٩٣).

www.ibtesama.com

عليه ما تقدم فى حديث سمرة، الذى رواه البخارى فى رؤيا النبى صلى الله عليه وآله وسلم وفيه: «فهو يُفعل به ذلك إلى يوم القيامة». وفى حديث ابن عباس فى قصة الجريدتين، لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا. فجعل التخفيف مقيداً بمدة رطوبتهما فقط. وفى حديث الربيع بن أنس عن أبى العالية عن أبى هريرة: «ثم أتى على قوم ترضخ رؤوسهم بالصخر كلما رضخت عادت لا يفتر عنهم من ذلك شىء». وقد تقدم. وفى «الصحيح» فى قصة الذى لبس بُردين وجعل يمشى يتبختر فخسف الله به الأرض فهو يتجلجل فيها إلى يوم القيامة».

وفى حديث البراء بن عازب فى قصة الكافر: «ثم يُفتح له باب إلى النار فينظر إلى مقعده فيها حتى تقوم الساعة». رواه الإمام أحمد فى بعض طرقه ثم يخرق له خرقًا إلى النار فيأتيه من غمها ودخانها إلى يوم القيامة.

• **النوع الثانى: إلى مدة ثم ينقطع:**

وهو عذاب بعض العصاة الذين خفت جرائمهم فيعذب بحسب جرمه، ثم يخفف عنه كما يعذب فى النار مدة، ثم يزول عنه العذاب. وقد ينقطع عنه العذاب بدعاء أو صدقة أو استغفار أو ثواب حج أو قراءة تصل إليه من بعض أقاربه أو غيرهم[١]، وهذا كما يشفع الشافع فى المعذب فى الدنيا، فيخلص من العذاب بشفاعته، ولكن هذه شفاعة قد لا تكون بذلك بإذن المشفوع عنده، والله سبحانه وتعالى لا يتقدم أحد بالشفاعة بين يديه إلا من بعد إذنه، فهو الذى يأذن للشافع أن يشفع إذا أراد أن يرحم المشفوع له، ولا تغتر بغير هذا، فإنه شرك وباطل يتعالى الله عنه، من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه. ولا يشفعون إلا لمن ارتضى. ما من شفيع إلا من بعد إذنه. ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له. قل لله الشفاعة جميعًا له ملك السموات والأرض[٢].

* و«العذاب يستمر إذا كان العبد كافراً أو منافقًا نفاق كفر، وإن كان مسلمًا عاصيًا فيختلف باختلاف كبر المعصية وصغرها وحصول العفو عن بعض العصاة دون بعض، فقد يعذب بعض العصاة وقد لا يستمر التعذيب على بعض العصاة، وقد يُرفع عن بعض»[٣].

---

(١) هذا على مذهب الإمام ابن القيم فى وصول ثواب القراءة من الغير.

(٢) «الروح» لابن القيم ص (١١٩ ـ ١٢٠).

(٣) «فتاوى الحافظ ابن حجر» نقلاً عن كتاب «القبر» لأشرف عبد المقصود ص (١٦).

www.ibtesama.com

• أطفال المؤمنين فى الجنة •

* عن أبى هريرة رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال: «ذرارى المؤمنين يكفلهم إبراهيم عليه السلام فى الجنة»(١).

وعن أبى هريرة، عن النبى ﷺ قال: «أولاد المسلمين فى جبل فى الجنة، يكفلهم إبراهيم وسارة ـ عليهما السلام ـ فإذا كان يوم القيامة دُفعوا إلى آبائهم»(٢).

* وذهبت طائفة إلى أنه يُشهد لأطفال المؤمنين عمومًا أنهم فى الجنة ولا يُشهد لآحادهم، كما يشهد للمؤمنين عمومًا أنهم فى الجنة، ولا يشهد لآحادهم وهو قول إسحاق بن راهويه، نقله عنه إسحاق بن منصور وحرب فى مسائلهما. ولعل هذا يرجع إلى الطفل المُعين لا يُشهد لأبيه بالإيمان، فلا يُشْهَد له حينئذ أنه من أطفال المؤمنين، فيكون الوقف فى آحادهم كالوقف فى إيمان آبائهم.

وحكى ابن عبد البر عن طائفة من السلف القول بالوقف فى أطفال المؤمنين.

* واستدل القائلون بالوقف، بما أخرجه مسلم، من حديث فضيل بن عمرو، عن عائشة بنت طلحة، عن عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها، قالت: توفى صبى، فقلت: طوبى له، عصفور من عصافير الجنة. فقال رسول الله ﷺ: «أو لا تدرين أن الله خلق الجنة وخلق النار، فخلق لهذه أهلاً، ولهذه أهلاً»(٣).

* ويعارض هذا ما خرّجه مسلم، من حديث أبى السليل، عن أبى حسان، قال: قلت لأبى هريرة: إنه قد مات لى ابنتان، فما أنت محدثى عن رسول الله ﷺ بحديث تطيب به أنفسنا عن موتانا، قال: نعم، صغارهم دَغَاميص أهل الجنة، يتلقى أحدهم أباه ـ أو قال أبويه ـ فيأخذ بثوبه، أو قال بيده: فلا ينتهى حتى يُدخله الله وأباه الجنة»(٤).

---

(١) ابن حبان رقم (١٨٢٦) «موارد»، والحاكم (٢/ ٣٧٠)، وأحمد فى «المسند» (٢/ ٣٢٦)، وهو حديث حسن «الأحاديث الصحيحة» رقم (٦١٣).

(٢) صححه الحاكم (١/ ٣٨٤)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبى.

(٣) أخرجه مسلم (٢٦٦٢) القدر ـ والنسائى (٤/ ٥٧) ـ وأبو داود (٤٧١٣).

(٤) مسلم رقم (٢٦٣٥) فى البر والصلة والآداب: باب فضل من يموت له ولد فيحتسبه.

www.ibtesama.com

وفى «الصحيحين» عن أنس رضى الله عنه، عن النبى ﷺ قال: «ما من الناس مسلم يموت له ثلاثة من الولد لم يبلغوا الحنْث إلا أدخله الله الجنة بفضل رحمته إياهم»(١). ولهذا قال الإمام أحمد: هو يرجى لأبويه، فكيف يُشك فيه. يعنى: أنه يرجى لأبويه بسببه دخول الجنة.

ولعل النبى ﷺ نهى أولاً عن الشهادة لأطفال المسلمين بالجنة قبل أن يطلع على ذلك؛ لأن الشهادة على ذلك تحتاج إلى علم به، ثم اطلع على ذلك فأخبر به، والله أعلم.

* قال الإمام ابن رجب الحنبلى فى «أهوال القبور»(٢):

بقيّة المؤمنين سوى الشهداء ينقسمون إلى: أهل تكليف، وغير أهل تكليف، فهذان قسمان.

أحدهما: غير أهل التكليف، كأطفال المؤمنين.

فالجمهور على أنهم فى الجنة. وقد حكى الإمام أحمد الإجماع على ذلك.

وكذلك نص الشافعى على أن أطفال المسلمين فى الجنة.

وجاء صريحًا عن السلف على أن أرواحهم فى الجنة.

• الفرق بين حياة الشهداء وغيرهم من المؤمنين •

قال الإمام ابن رجب الحنبلى: «والفرق بين حياة الشهداء وغيرهم من المؤمنين الذين أرواحهم فى الجنة من وجهين:

أحدهما: أن أرواح الشهداء تُخلق لها أجساد، وهى الطير التى تكون فى حواصلها، ليكمل بذلك نعيمها، ويكون أكمل من نعيم الأرواح المجردة عن الأجساد، فإن الشهداء بذلوا أجسادهم للقتل فى سبيل الله، فعُوضوا عنها بهذه الأجساد فى البرزخ.

والثانى: أنهم يُرزقون فى الجنة، وغيرهم لم يثبت له فى حقه مثل ذلك، فإنه جاء أنهم يعلقون فى شجر الجنة. وروى يعلقون بفتح اللام وضمها، فقيل: إنهما بمعنى وأنَّ المراد الأكل من الشجر. قال ابن عبد البر. وقيل: بل رواية الضم معناها الأكل، ورواية

(١) البخارى رقم (١٢٤٨) فى الجنائز: باب فضل من مات له ولد فاحتسب، ورقم (١٣٨٢) باب ما قيل فى أولاد المسلمين، والنسائى (٤/ ٢٤) فى الجنائز: باب ثواب من احتسب ثلاثة من صلبه.
(٢) أهوال القبور (ص: ١٣٢، ١٣٧).

www.ibtesama.com

الفتح معناها التعلق. وهو التستر. وبكل حال فلا يلزم مساواتهم للشهداء فى كمال تنعمهم بالأكل، والله أعلم»[١].

* وقال الإمام ابن القيم عن نعيم الشهداء وعُلو درجتهم:

نصيبهم (أى الشهداء) من هذا النعيم فى البرزخ أكمل من نصيب غيرهم من الأموات على فرشهم، وإن كان الميت على فراشه أعلى درجة منهم، فله نعيم يختص به ولا يشاركه فيه من هو دونه، ويدل على هذا أن الله سبحانه جعل أرواح الشهداء فى أجواف طير خضر، فإنهم بذلوا أنفسهم لله حتى أتلفها أعداؤه فيه أعاضهم منها فى البرزخ أبدانًا خيرًا منها تكون فيها إلى يوم القيامة، ويكون نعيمها بواسطة تلك الأبدان أكمل من نعيم الأرواح المجردة عنها، ولهذا كانت نسمة المؤمن فى صورة طير أو كطير، ونسمة الشهيد فى جوف طير، وتأمل لفظ الحديثين فإنه قال: «نسمة المؤمن طير» فهذا يعم الشهيد وغيره، ثم خص الشهيد بأن قال: «فى جوف طير»، ومعلوم أنها إذا كانت فى جوف طير صدق عليها أنها طير، فصلوات الله وسلامه على من يصدق كلامه بعضه بعضًا، ويدل على أنه حق من عند الله.

• الأنبياء أحياء... يصلون فى قبورهم •

* عن ثابت البنانى عن أنس مرفوعًا: «الأنبياء ـ صلوات الله عليهم أحياء فى قبورهم يصلون»[٢].

---

(١) أهوال القبور (ص: ١٦٥).

(٢) قال الشيخ الألبانى ـ رحمه الله ـ فى «السلسلة الصحيحة» (٢/ ١٨٧/ ح ٦٢١)، أخرجه البزار فى «مسنده» (٢٥٦)، وتمام الرازى فى «الفوائد» وعنه ابن عساكر فى «تاريخ دمشق»، وابن عدى فى «الكامل»، والبيهقى فى «حياة الأنبياء».

* قال الشيخ الألبانى ـ رحمه الله ـ فى «السلسلة الصحيحة» (٢/ ١٩٠ ـ ١٩١):

«قد كنت برهة من الدهر أرى أن هذا الحديث ضعيف لظنى أنه مما تفرّد به ابن قتيبة ـ كما قال البيهقى ـ ولم أكن قد وقفت عليه فى «مسند أبى يعلى» و«أخبار أصبهان»: فلما وقفت على إسناده فيهما تبين لى أنه إسناد قوى، وأن التفرد المذكور غير صحيح، ولذلك بادرت إلى إخراجه فى هذا الكتاب تبرئة للذمة، وأداء للأمانة العلمية، ولو أن ذلك قد يفتح الطريق لجاهل أو حاقد إلى الطعن والغمز واللمز، فلست أُبالى بذلك ما دمت أنى أقوم بواجب دينى أرجو ثوابه من الله تعالى وحده.

فإذا رأيت أيها القارىء الكريم فى شىء من تآليفى خلاف هذا التحقيق فاضرب عليه، واعتمد هذا وعض عليه بالنواخذ، فإنى لا أظن أنه يتيسر لك الوقوف على مثله والله ولىّ التوفيق».

www.ibtesama.com

* وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «مررت على موسى، وهو قائم يصلى فى قبره» وفى رواية: «أتيت على موسى ليلة أُسرى بى عند الكثيب الأحمر وهو قائم يصلى فى قبره»(١).

* وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد رأيتنى فى الحجر وأنا أُخبر قريشًا عن مسراى فسألونى عن أشياء من بيت المقدس لم أُثبتها فكَرُبت كربًا ما كربت مثله قط، فرفعه الله عز وجل لى أنظر إليه ما يسألونى عن شىء إلا أنبأتهم به، وقد رأيتنى فى جماعة الأنبياء، فإذا موسى قائم يصلى فإذا رجل ضرب جعد كأنه من رجال شنوءة، وإذا عيسى بن مريم قائم يصلى أقرب الناس به شبهًا عروة بن مسعود الثقفى، وإذا إبراهيم قائم يصلى أشبه الناس به صاحبكم ـ يعنى: نفسه ـ فحانت الصلاة فأممتهم فلما فرغت من الصلاة قال لى قائل: يا محمد هذا مالك صاحب النار فسلِّم عليه، فالتفتُّ إليه فبدأنى بالسلام»(٢).

* قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وأما كونه رأى موسى قائمًا يصلى فى قبره، ورآه فى السماء أيضًا فهذا لا منافاة بينهما فإن أمر الأرواح من جنس أمر الملائكة فى اللحظة الواحدة تصعد وتهبط كالملك، ليست فى ذلك كالبدن.

وهذه الصلاة ونحوهما مما يتمتع بها الميت، ويتنعم بها كما يتنعم أهل الجنة بالتسبيح، فإنهم يُلهمون التسبيح كما يلهم الناس فى الدنيا النَفَس، فهذا ليس من عمل التكليف الذى يطلب له ثواب منفصل، بل نفس هذا العمل هو من النعيم الذى تتنعم به الأنفس وتتلذذ به.

وقول النبى ﷺ: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، وعلم ينتفع به، وولد صالح يدعو له»، يريد به العمل الذى يكون له ثواب، ويتنعمون بذكره وتسبيحه، ويتنعمون بقراءة القرآن، ويقال لقارىء القرآن: اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها.

ويتنعمون بمخاطبتهم لربهم ومناجاته، وإن كانت هذه الأمور فى الدنيا أعمالاً يترتب عليها الثواب فهى فى الآخرة أعمال يتنعم بها صاحبها أعظم من أكله وشربه ونكاحه، وهذه كلها أعمال أيضًا، والأكل والشرب والنكاح فى الدنيا مما يؤمر به ويُثاب عليه مع

(١) أخرجه مسلم والنسائى وأحمد وأبو يعلى.

(٢) أخرجه مسلم والنسائى وابن سعد وابن منده.

www.ibtesama.com

النية الصالحة وهو فى الآخرة نفس الثواب الذى يتنعم به... والله أعلم»[١].

* وأخرج أبو نعيم فى «الحلية» عن سعيد بن جبير قال:

«أنا ـ والله الذى لا إله إلا هو ـ أدخلت ثابتًا البنانى لحده، ومعى حميد الطويل، فلما سوّينا عليه اللبن، سقطت لبنة، فإذا أنا به يصلى فى قبره، وكان يقول فى دعائه: «اللهم إن كنت أعطيت أحدًا من خلقك الصلاة فى قبره فأعطينيها فما كان الله تعالى ليردّ دعاءه»[٢].

* وعن يوسف بن عطية قال: سمعت ثابتًا يقول لحميد الطويل: هل بلغك أن أحدًا يصلى فى قبره إلا الأنبياء؟ قال: لا. قال: ثابت: اللَّهم إنْ أذنت لأحد أن يصلى فى قبره فأذن لثابت أن يصلى فى قبره»[٣].

* وأخرج ابن سعد فى «الطبقات»، وابن أبى شيبة فى «المسند» عن ثابت البنانى قال: «اللَّهم إن كنت أعطيت أحدًا الصلاة فى قبره فأعطنى الصلاة فى قبرى»[٤].

• الموتى يعرفون زيارة الأحياء ويستبشرون بها •

* فى «الصحيحين» عنه ﷺ من وجوه متعددة: «أنه أمر بقتلى بدر فألقوا فى قليب، ثم جاء حتى وقف عليهم وناداهم بأسمائهم: «يا فلان ابن فلان، ويا فلان ابن فلان هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقًا، فإنى وجدت ما وعدنى ربى حقًا، فقال له عمر: يا رسول الله، ما تخاطب من أقوام قد جُيفوا، فقال: «والذى بعثنى بالحق ما أنتم بأسمع لما أقول منهم ولكنهم لا يستطيعون جوابًا».

وثبت عنه ﷺ: «أن الميت يسمع قرع نعال المشيعين إذا نصرفوا عنه».

* وقد شرع النبى ﷺ لأمته إذا سلّموا على أهل القبور أن يسلّموا عليهم سلام من يخاطبونه فيقول: السلام عليكم دار قوم مؤمنين،... وهذا خطاب لمن يسمع ويعقل. ولولا ذلك لكان هذا الخطاب بمنزلة خطاب المعدوم والجماد. والسلف مُجمعون على

---

(١) مجموع الفتاوى (ص: ٣٢٩: ٣٣٠).

(٢) رواه أبو نعيم فى الحلية (٢/ ٣١٩) ـ والسيوطى فى «بشرى الكئيب بلقاء الحبيب» (ص: ٧٢).

(٣) سنده صحيح: رواه أبو نعيم فى «الحلية» (٢/ ٣١٩). انظر: «التحرير المرسّخ فى أحوال البرزخ» لمحمد بن طولون الصالحى ص (٢٤٢).

(٤) سنده حسن: أخرجه أبو نعيم فى «الحلية» (٢/ ٣١٩).

www.ibtesama.com

هذا وقد تواترت الآثار عنهم بأن الميت يعرف زيارة الحى له ويستبشر به.

* ويكفى فى هذا تسمية المسلّم عليهم زائرًا ولولا أنهم يشعرون به لما صحّ تسميته زائرًا، فإن المزور إن لم يعلم بزيارة من زاره لم يصح أن يُقال زاره، هذا هو المعقول من الزيارة عند جميع الأمم، وكذلك السلام عليهم أيضًا، فإن السلام على من لا يشعر ولا يعلم بالمسلم مُحال، وقد علم النبى صلى الله عليه وآله وسلم أمته إذا زاروا القبور أن يقولوا: «سلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إن شاء الله بكم لاحقون، يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين، نسأل الله لنا ولكم العافية».

وهذا السلام والخطاب والنداء لموجود يسمع ويخاطب ويعقل ويرد، وإن لم يسمع المسلم الرد، وإذا صلى الرجل قريبًا منهم شاهدوه وعلموا صلاته وغبطوه على ذلك.

وقد ثبت فى «الصحيح» أن الميت يستأنس بالمشيعين لجنازته بعد دفنه فروى مسلم فى «صحيحه».. عن عمرو بن العاص وهو فى سياق الموت...»، «ثم أقيموا حول قبرى قدر ما تُنحر جَزور ويقسم لحمها حتى أستأنس بكم»[١].

* وصح عن عمرو بن دينار أنه قال: «ما من ميت يموت إلا وهو يعلم ما يكون فى أهله بعده، وإنهم ليغسلونه ويكفنونه وإنه لينظر إليهم».

وصح عن مجاهد أنه قال: «إن الرجل ليبشر فى قبره بصلاح ولده من بعده»[٢].

• أعمال الأحياء تعرض على الموتى •

* عن أبى الدرداء قال: «إن أعمالكم تُعرض على موتاكم فيُسرّون، ويُساءون»[٣].

فكان أبو الدرداء يقول عند ذلك: اللَّهم إنى أعوذ بك أن أعمل عملاً أُخزى به عند عبد الله بن رواحة»[٤].

* وعن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ أعمالكم تُعرض على أقاربكم وعشائركم من الأموات، فإن كان خيرًا استبشروا، وإن كان غير ذلك، قالوا:

---

(١) «الروح» لابن القيم ص (٥ ـ ١٢).

(٢) الروح (ص: ١٥).

(٣) قال الألبانى فى «الصحيحة» (٦/ ١/ ٦٠٧): وهذا إسناد رجاله ثقات.

(٤) «أهوال القبور» ص (١١٧).

www.ibtesama.com

اللَّهم لا تُمتهم حتى تهديهم كما هديتنا»[١].

* «دخل عبَّاد بن عبَّاد على إبراهيم بن صالح وهو على فلسطين فقال عظنى، قال:بم أعظك أصلحك الله؟ بلغنى أن أعمال الأحياء تعرض على أقاربهم من الموتى فانظر ما يُعرض على رسول الله ﷺ من عملك فبكى إبراهيم حتى أخضل لحيته»[٢].

• أرواح الموتى تتلاقى وتتزاور •

* قال الإمام ابن القيم:

«المسألة الثانية فى أن أرواح الموتى تتلاقى وتتزاور وتتذاكر أم لا؟».

فهى أيضًا مسألة شريفة كبيرة القدر وجوابها أن الأرواح قسمان: أرواح معذبة، وأرواح مؤمنة.

* فالمعذّبة: فى شغل بما هى فيه من العذاب عن التزاور والتلاقى.

* والأرواح المنعمة المرسلة غير المحبوسة: تتلاقى وتتزاور وتتذاكر ما كان منها فى الدنيا، وما يكون من أهل الدنيا، فتكون كل روح مع رفيقها الذى هو على مثل عملها، وروح نبينا ﷺ فى الرفيق الأعلى. قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَئِكَ رَفِيقًا﴾ (النساء:٦٩).

وهذه المعية ثابتة فى الدنيا، وفى البرزخ، والمرء مع من أحب فى هذه الدور الثلاثة».

* وعن أبى قتادة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «إذا ولى أحدكم أخاه فليُحسِّن كفنه، فإنهم يُبعثون فى أكفانهم ويتزاورون فى أكفانهم»[٣].

* وعن أبى أيوب الأنصارى رضى الله عنه قال: «إذا قُبضت نفْس العبد تلقّاه أهل الرحمة من عباد الله كما يلقون البشير فى الدنيا، فيقبلون عليه ليسألوه، فيقول بعضهم لبعض: أنْظروا أخاكم حتى يستريح؛ فإنه كان فى كرب، فيقبلون عليه؛ فيسألونه: ما

(١) رواه أحمد فى «المسند» (٣/ ١٦٤ ـ ١٦٥)، وضعفه الألبانى فى «الضعيفة» رقم (٨٦٣)، ثم عاد عن ذلك، وصححه فى «الصحيحة» (٦/ ١/ ٦٠٥/ ح ٢٧٥٨).

(٢) تفسير ابن كثير (٣/ ٤١٣).

(٣) رواه سمويه والخطيب البغدادى عن أنس وصححه الألبانى فى صحيح الجامع (٨٤٥).

www.ibtesama.com

فعل فلان؟ ما فعلتُ فلانة؟ هل تزوّجت؟ فإذا سألوا عن الرجل قد مات قبله، قال لهم: إنه قد هلك، فيقولون: إنا لله وإنا إليه راجعون، ذُهب به إلى أمه الهاوية (النار) فبئست الأم وبئست المربية. قال: فيُعرض عليهم أعمالهم، فإذا رأوا حسنًا فرحوا واستبشروا وقالوا: هذه نعمتك على عبدك فأتمها، وإن رأوا سوءًا قالوا: اللَّهم راجع بعبدك»[1].

* وعن أبى حازم عن أبى هريرة ـ أحسبه رفعه ـ قال: قال رسول ﷺ: «إن المؤمن ينزل به الموت ويعاين ما يعاين، فودّ لو خرجتْ ـ يعنى: نفسه ـ والله يحب لقاءه، وإن المؤمن يُصعد بروحه إلى السماء، فتأتيه أرواح المؤمنين فيستخبرونه عن معارفهم من أهل الأرض، فإذا قال: تركتُ فلانًا فى الدنيا أعجبهم ذلك، وإذا قال: إن فلانًا قد مات، قالوا: ما جيء به إلينا.

وإن المؤمن يُجلَس فى قبره فيُسأل: من ربه؟ فيقول: ربى الله. فيُقال: من نبيك؟ فيقول: نبيى محمد ﷺ. قال: فما دينك؟ قال: دينى الإسلام. فيُفتح له باب فى قبره فيقول أو يُقال: انظر إلى مجلسك. ثم يرى القبر، فكأنما كانت رقدة.

فإذا كان عدوًا لله نزل به الموت وعاين ما عاين، فإنه لا يحب أن تخرج روحه أبدًا، والله يبغض لقاءه، فإذا جلس فى قبره أو أُجلس، فيُقال له: من ربك؟ فيقول: لا أدرى! فيُقال: لا دَرَيتْ. فيُفتح له باب من جهنم، ثم يُضرب ضربة تُسمع كل دابة إلا الثقلين، ثم يُقال له: نَمْ كما ينام المنهوش ـ فقلت لأبى هريرة: ما المنهوش؟ قال: الذى ينهشه الدواب والحيّات ـ ثم يُضيق عليه قبره»[2].

• أرواح الأحياء والأموات تتلاقى •

* قال الإمام ابن القيم: «المسألة الثالثة: هل تتلاقى أرواح الأحياء وأرواح الأموات أم لا؟

فشواهد هذه المسألة وأدلتها أكثر من أن يحصيها إلا الله تعالى، والحس والواقع من

---

(١) صحيح موقوف على أبى أيوب الأنصارى وله حكم الرفع: أخرجه ابن المبارك فى «الزهد» (١٤٩/ ٤٤٣). وقال الألبانى: إسناده صحيح «الصحيحة» رقم (٢٧٥٨)، ثم قال: وكونه موقوفًا لا يضرّ فإنه يتحدث عن أمور غيبية لا يمكن أن تُقال بالرأى، فهو فى حكم المرفوع يقينًا.

(٢) صحيح: أخرجه البزار فى «مسنده»، وقال السيوطى فى «شرح الصدور» ص (٣٨): سنده صحيح. قال الألبانى: الحديث صحيح، انظر: «الصحيحة» (٢/ ٢٦٣ ـ ٢٦٥/ ح ٢٦٢٨).

www.ibtesama.com

أعدل الشهود بها، فتلتقى أرواح الأحياء والأموات كما تلتقى أرواح الأحياء، وقد قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُس حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (الزمر:٤٢).

* عن سعيد بن جبير عن ابن عباس فى هذه الآية قال: بلغنى أن أرواح الأحياء والأموات تلتقى فى المنام فيتساءلون بينهم، فيمسك الله أرواح الموتى ويرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها.

* وقال ابن كثير عند تفسير الآية السابقة: «فيه دلالة على أنها تتجمع فى الملأ الأعلى كما ورد بذلك الحديث المرفوع الذى رواه ابن منده وغيره»(١).

* وقال ابن القيم: «وهذا باب طويل جدًا، فإن لم تسمح نفسك بتصديقه، أو قلت: هذه منامات هى غير معصومة، فتأمل من رأى صاحبًا له، أو قريبًا، أو غيره فأخبره بأمر لا يعلمه إلا صاحب الرؤيا، أو أخبره بمال دفنه أو حذره من أمر يقع، أو بشره بأمر يوجد فوقع كما قال، أو أخبره بأنه يموت هو أو بعض أهله إلى كذا وكذا، فيقع كما أخبر أو أخبره بخصب أو جدب أو عدو أو نازلة، أو مرض، أو بغرض له فوقع كما أخبره، والواقع من ذلك لا يحصيه إلا الله والناس مشتركون فيه.

وقد رأينا نحن وغيرنا من ذلك عجائب. وأبطل من قال: إن هذه كلها علوم وعقائد فى النفس تظهر لصاحبها عند انقطاع نفسه عن الشواغل البدنية بالنوم، وهذا عين الباطل والمحال، فإن النفس لم يكن فيها قط معرفة هذه الأمور التى يخبر بها الميت، ولا خطرت ببالها ولا عندها علامة عليها ولا أمارة بوجه ما؟ ونحن لا ننكر أن الأمر قد يقع كذلك. وإن من الرؤيا ما يكون من حديث النفس وصورة الاعتقاد، بل كثير من مرائى الناس إنما هى مجرد صور اعتقادهم المطابق وغير المطابق».

* وقال ابن القيم: «وبالجملة فهذا أمر لا ينكره إلا من هو أجهل الناس بالأرواح وأحكامها وشأنها»(٢).

* وفى وصية ثابت بن قيس بعد موته خير دليل.

فإنه لما قُتل فى يوم اليمامة، وعليه درع له نفيسة، فمر به رجل من المسلمين فأخذها

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٥).

(٢) انظر: كتاب «الروح» وفيه هذه المسألة بالتفصيل (٢٦ ـ ٤٥).

www.ibtesama.com

فبينما رجل من المسلمين نائم إذ أتاه ثابت فى منامه، فقال له: أوصيك بوصية فإياك أن تقول هذا حلم فتضيعه، إنى لما قُتلت أمس مرّ بى رجل من المسلمين فأخذ درعى ومنزله فى أقصى الناس، وعند خبائه فرس يستن فى طوله، وقد كفأ على الدرع بُرمة، وفوق البرمة رحل، فأت خالد بن الوليد فمُره أن يبعث إلى درعى فيأخذها، وإذا قدمت إلى المدينة على خليفة رسول الله ﷺ ـ يعنى أبا بكر الصديق ـ فقل له: إن علىّ من الدّيْن كذا وكذا وفلان من رقيقى عتيق وفلان.... فأتى الرجل خالدًا فأخبره فبعث إلى الدرع فأتى بها وحدَّث أبا بكر برؤياه فأجاز وصيته.

أنفذ أبو بكر رضى الله عنه وصية ثابت بن قيس التى أوصى بها فى المنام بعد الممات.

ولا نعلم أحدًا أُجيزت وصيته بعد موته غير ثابت بن قيس ـ رحمه الله.

فقد اتفق خالد وأبو بكر الصديق والصحابة معه على العمل بهذه الرؤيا وتنفيذ الوصية بها، وانتزاع الدرع مّمن هى فى يده بها وهذا محض الفقه»[1].

* ولله در الصالحين: قال حمّاد بن زيد: قال هشام بن حسان، حدثتنى أم عبد الله ـ وكانت من خيار نساء أهل البصرة ـ قالت: رأيت فيما يرى النائم كأنى دخلت دارًا حسنة، ثم دخلت بستانًا، فذكرت من حسنه ما شاء الله. فإذا أنه فيه برجل متكىء على سرير من ذهب وحوله الوصفاء بأيديهم الأكاويب، قالت: فإنى لمتعجبة من حسن ما أرى، إذ قيل: هذا مروان المحملى أقبل، فوثب فاستوى جالسًا على سريره،... قالت: واستيقظت من منامى، فإذا جنازة مروان قد مرّ بها على بابى الساعة»[2].

• أشياء لا يشملها حكم الفناء (فى القبر) •

وهناك أشياء لا يشملها حكم الفناء منها:

١ ـ الروح، فالروح لا تفنى.

٢ ـ الولدان المخلدون.

٣ ـ الحور العين.

---

(١) «الروح» ص (١٩).

(٢) الروح (ص: ٢٤) نقلاً من سكب العبرات.

www.ibtesama.com

٤ ـ خزان النار وخزنة الجنة.

٥ ـ العرش.

٦ ـ الكرسى.

٧ ـ الجنة.

٨ ـ النار.

٩ ـ اللوح المحفوظ.

١٠ ـ القلم.

١١ ـ عَجْب الذنب من الإنسان فمنها يُركَّب الخلق يوم القيامة كما جاء فى الحديث الصحيح.

١٢ ـ أجساد الأنبياء، جاء فى «شرح النونية الكافية الشافية» (١/ ٩٧):

ثمانيـــة حكـم البقـــاء يعمّـها ... من الخلـق والباقـون فـى حيّـز العـدم

هى العـرش والكرسـى ونـار وجنـة ... وشجب[1] وأرواح كذا الروح والقلم

* وقال الإمام ابن القيم فى النونية:

والعـرش والكرسـى لا يفنيهمـا ... أيـضًا وأنهمـــا لمخلـوقـــان

والحـور لا تفنى كذلـك جنـة الـ ... مـأوى ومـــا فيهـــا مـن الولـدان

ولأجـل هـذا قـــال جـهـم إنهـا ... عـدم ولـم تُخلـق إلـى ذا الآن

والأنبيـاء فإنهـم تحـت الثـرى ... أجسامـهم حُفظـت مـن الديدان

ما للبلـى بلحومهـم وجسومهـم ... أبدًا وهـم تحـت الـتراب يـدان

وكـذا عجـب الظـهـر لا يبلـى ... بلى منه تُركَّب خلقة الإنسـان»[2]

١٣ ـ أجساد الشهداء: فقد روى البخارى رحمه الله عن جابر رضى الله عنه قال: (لما حضر أُحد دعانى أبى من الليل فقال لى: ما أرانى إلا مقتولاً فى أول من يُقتل من أصحاب النبى ﷺ وإنى لا أترك بعدى أعز علىّ منك غير نفس رسول الله ﷺ، وإن

(١) الشَجب: الهلاك والحزن.

(٢) «النونية الكافية الشافية» لابن القيم (١/ ٩٥، ٩٦) شرح ابن عيسى.

www.ibtesama.com

علىّ دينًا فاقض واستوص بأخواتك خيرًا. فأصبحنا وكان أول قتيل، فدفنت معه آخر فى قبره، ثم لم تطب نفسى أن أتركه مع آخر فاستخرجته بعد ستة أشهر فإذا هو كيوم وضعته غير أذنه)[١].

• ما ينتفع به الميت •

* قال الشيخ الألبانى ـ رحمه الله ـ فى «أحكام الجنائز»:

* ويَنتَفعُ الميتُ من عمل غيره بأمور:

• **أولاً: دعاء المسلم له:** إذا توفرت فيه شروطُ القبول، لقول الله تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلاًّ لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحشر:١٠).

وأما الأحاديثُ فهى كثيرةٌ جدًا، وقد سبق بعضها، ويأتى بعضها فى زيارة القبور، ودُعاء النبى ﷺ لهم، وأمره بذلك، ومنها قوله ﷺ: «دعوةُ المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مُستجابةٌ، عند رأسه ملكٌ موكلٌ، كلما دعا لأخيه بخير، قال الملكُ المُوكل به: آمين ولك بمثلٍ»[٢].

بل إن صلاة الجنازة جُلها شاهد لذلك؛ لأن غالبها دعاءٌ للميت، واستغفار له.

• **ثانيًا: قضاءُ ولى الميت صومَ النذر عنه،** وفيه أحاديثُ:

الأول: عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ قال:

«من ماتَ وعليه صيامٌ، صامَ عنه وليه»[٣].

الثانى: عن ابن عباس رضى الله عنه:

«أن امرأةً ركبت البحر فنذرت، إن الله تبارك وتعالى أنجاها أن تصوم شهرًا، فأنجاها الله عز وجل، فلم تصم حتى ماتت، فجاءت قرابةٌ لها ـ إما أختها أو ابنتهُا ـ إلى النبى ﷺ، فذكرت ذلك له، فقال:

«أرأيتُك لو كان عليها دينٌ كنت تقضينه؟» قالت: نعم. قال: «فدينُ الله أحقُّ أن

(١) مختصر معارج القبول (ص: ٢٣٤، ٢٣٥).

(٢) أخرجه مسلم (٨/ ٨٦: ٨٧) والسياق له ـ وأبو داود (١/ ٢٤٠).

(٣) أخرجه البخارى (٤/ ١٥٦) ومسلم (٣/ ١٥٥).

www.ibtesama.com

يُقضى، فاقضِ عن أمك»[١].

الثالث، عنه أيضًا:

«أن سعد بن عُبادة رضى الله عنه استفتى رسول الله ﷺ: إن أمى ماتت وعليها نذرٌ؟ فقال: «اقضه عنها»[٢].

ثالثًا، قضاء الدَّين عنه من أى شخصٍ وليًا كان أو غيره وفيه أحاديث كثيرة:

رابعًا، ما يفعله الولد الصالحُ من الأعمال الصالحة فإن لوالديه مثل أجره، دون أن ينقص من أجره شيءٌ؛ لأن الولد من سعيهما وكسبهما، والله عز وجل يقول: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى﴾ (النجم:٣٩).

وقال رسول الله ﷺ: «إن أطيبَ ما أكل الرجلُ من كسبه، وإن ولده من كسبه»[٣].

* ويُؤيدُ ما دلت عليه الآية والحديث، أحاديث خاصةٌ وردت فى انتفاعِ الوالد بعمل ولده الصالح كالصدقة والصيام والعتقِ ونحوه، وهى هذه:

الأول، عن عائشة رضى الله عنها:

«أن رجلاً قال: إن أمى افتُلتت[٤] نفسُها ولم تُوص، وأظنها لو تكلمت تصدقت، فهل لها أجرٌ إن تصدقتُ عنها ولى أجرٌ؟ قال: «نعم، فتصدق عنها»[٥].

الثانى، عن أبى هريرة رضى الله عنه:

«أن رجلاً قال للنبى ﷺ: إن أبى مات وترك مالاً ولم يُوص فهل يُكفِّر عنه أن أتصدق عنه؟ قال: «نعم»[٦].

خامسًا، ما خلفه من بعده من آثار صالحة وصدقات جارية لقوله تبارك وتعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾ (يس:١٢) وفيه أحاديثُ:

---

(١) أخرجه البخارى (٤/ ١٥٨: ١٥٩) ومسلم (٣/ ١٥٦) ـ وأبو داود (٢/ ٨١).

(٢) أخرجه البخارى (٥/ ٤٤٠، ٤٩٤) ومسلم (٦/ ٧٧).

(٣) رواه أبو داود والنسائى والترمذى وحسنه ـ وله شاهد من حديث ابن عمرو رواه أبو داود وابن ماجه بسند حسن.

(٤) افتُلتت: أى ماتت فجأة.

(٥) أخرجه البخارى (٣/ ١٩٨) ومسلم (٣/ ٨١).

(٦) أخرجه مسلم (٥/ ٧٣) والنسائى (٢/ ١٢٩).

www.ibtesama.com

الأول: عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله[١] إلا من ثلاثة أشياء، إلا من صدقةٍ جارية، أو علمٍ يُنتفعُ به، أو ولدٍ صالح[٢] يدعو له».

الثانى: عن أبى هريرة رضى الله عنه أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ:

«إن مما يلحقُ المؤمن من عمله وحسناته بعد موته، علمًا نشره، وولدًا صالحًا تركه، ومُصحفًا ورَّثه، أو مسجدًا بناهُ، أو بيتًا لابن السبيل بناهُ، أو نهرًا أجراهُ، أو صدقةً أخرجها من ماله فى صحته وحياته تلحقه من بعد موته»[٣].

الثالث: حديث جرير بن عبد الله رضى الله عنه قال: قال ﷺ:

«من سنَّ فى الإسلام سُنةً حسنةً فله أجرُها، وأجر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شىءٌ، ومن سن سنةً فى الإسلام سيئةً كان عليه وزرُها، ووزر من عمل بها من بعده من غير أن ينقُص من أوزارهم شىءٌ»[٤]، ثم تلى هذه الآية: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ﴾، قال: «فقسَّمه بينهم».

* وعن أنس رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«سبع يُجرى للعبد أجرهن وهو فى قبره بعد موته: مَنْ علّم علمًا، أو أجرى نهرًا، أو حفر بئرًا، أو غرس نخلاً، أو بنى مسجدًا، أو ورّث مصحفًا، أو ترك ولدًا يستغفر له بعد موته»[٥].

---

(١) أى: فائدة عمله وتجديد ثوابه، قال الخطابى فى «المعالم»:

«فيه دليلٌ على أن الصوم والصلاة وما دخل فى معناهما من عمل الأبدان لا تجرى فيها النيابة وقد يستدل به من يذهب إلى أن من حج عن ميت فإن الحج فى الحقيقة للحاج دون المحجوج عنه، وإنما يلحقهُ الدعاء، ويكون له الأجرُ فى المال الذى أعطى إن كان حج عنه بمال».

(٢) قُيد بالصالح؛ لأن الأجر لا يحصلُ من غيره، وأما الوزرٌ فلا يلحقُ بالوالد من سيئة ولده إذا كان نيته فى تحصيل الخير، وإنما ذكر الدعاء تحريضًا على الدعاء لأبيه، لا لأنه قيدٌ؛ لأن الأجر يحصلُ للوالد من ولده الصالح، كلما عمل عملاً صالحًا، سواء أدعا لأبيه أم لا، كمن غرس شجرة يحصل له من أكل ثمرتها ثوابٌ سواء أدعا له من أكلها أم لم يدعُ، وكذلك الأم.

كذا فى «مبارق الأزهار فى شرح مشارق الأنوار» لابن الملك.

(٣) رواه ابن ماجه عن أبى هريرة وحسنه الألبانى فى صحيح الجامع (٢٢٣١).

(٤) أخرجه مسلم (٣/ ٨٨، ٨٩) والنسائى (١/ ٣٥٥، ٣٥٦).

(٥) حسن: رواه البزار وسمويه، وحسّنه الألبانى فى «صحيح الجامع» رقم (٣٦٠٢).

www.ibtesama.com

* وعن أبى أمامة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«أربعة تجرى عليهم أجورهم بعد الموت: من مات مرابطًا فى سبيل الله، ومن علّم علمًا أجرى له عمله ما عُمل به، ومن تصدّق بصدقة فأجرها يجرى له ما وُجدت، ورجل ترك ولدًا صالحًا يدعو له»(١).

* * *

رحلة إلى الدار الآخرة
للشيخ محمود المصري - أبو عمار

إنتهى الجزء الثاني من المجلد
ويليه الجزء الثالث
قريبا إن شاء الله

** معرفتي **
www.ibtesama.com
منتديات مجلة الإبتسامة

(١) صحيح: رواه أحمد، والطبرانى فى «الكبير»، وصححه الألبانى فى «صحيح الجامع» رقم (٨٧٧).

www.ibtesama.com